فأي الفريقين
أحق بالأمن
إن كنتم تعلمون

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ ـــ ٢٠٠٦م

رقم الإيداع

(٢٠٠٦/٨١٠٥)

الترقيم الدولي

I.S.B.N.

(977- 430 – 003 – 3)

دار الصفوة

للنشر والتوزيع

٤٢ ش جزيرة بدران شبرا ت وفاكس ٥٧٧٤٩٢١

E-mail. darelsafwah@yahoo.com

مصر ـ القاهرة

فَأَيُّ الفَرِيقَيْنِ

أَحَقُّ بِالأَمْنِ

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

عبد العزيز بن ناصر الجليل

دار الصفوة

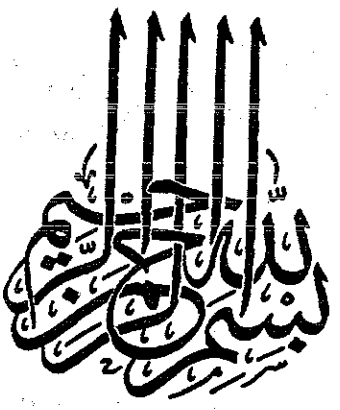
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

[الأنعام:٨٠]

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. أما بعد:

فإن الله عز وجل خلق الثقلين الجن والإنس ليعبدوه، وسخر لهم ما في السموات والأرض ليستعينوا بذلك على القيام بهذه الغاية العظيمة. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦] وجعل ذلك مركوز في عقولهم وفطرهم ولكن من رحمته سبحانه أنه لم يكلهم إلى ذلك فحسب بل أعانهم بإنزال الكتب وإرسال الرسل ليبينوا للناس غاية خلقهم ومصيرهم، ويعرفوهم بربهم سبحانه وأسمائه وصفاته وكيفية عبادته، ووعدهم إن هم قاموا بذلك بأن يأمنوا ويسعدوا ويسلموا في الدنيا على أنفسهم وأعراضهم وعقولهم وأموالهم، وفي الآخرة لهم الأمن التام بدخولهم دار السلام آمنين مطمئنين. وتوعدهم إن هم أعرضوا عن عبادته سبحانه وكفروا به بالخوف والجوع والمعيشة الضنك، والشقاء في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة. قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟

يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف:٩٦] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٥،٦٦]، وقال تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن: ١٦،١٧] وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤].

ولقد ذكرَّ الله عز وجل مشركي قريش بهذه النعمة العظيمة ليوحدوه ويتركوا ما هم عليه من الشرك فقال سبحانه: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴾ [قريش: ٣،٤] وقال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

إذن فالأمن نعمة عظيمة من نعم الله عز وجل على عباده يطلبها الناس ويبحثون عنها بشتى الوسائل. وهو ضرورة من ضرورات الحياة. ولكن الناس يتفاوتون ويتشتت سعيهم في طلبها، حيث أخطأها الكثير منهم، ووفق الله عز وجل القليل من عباده إلى سبيل تحصيلها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وإن المتأمل في عالمنا المعاصر ليرى دون عناء ما يعج به من المخاوف

والمزعجات والمقلقات، والقتل، والجوع، والأمراض النفسية والأسرية والاجتماعية ويرى الهلع على وجوه الكثير من الناس من جراء ما يهدد وجودهم وأعراضهم وأموالهم وقبل ذلك دينهم. وقد صاحب ذلك حملة ماكرة خبيثة ملبسة مضللة من الكفار، وأذنابهم المنافقين في وسائل إعلامهم المختلفة وذلك بالتلاعب بالمصطلحات، والتلبيس على الناس في معنى الأمن ووسائله، ومعنى الإرهاب وطرائقه. وجاءوا بزخرف من القول ليصرفوا الناس عن الأسباب الحقيقية للمخاوف وذهاب الأمن فأبعدوهم عن الأسباب الحقيقية لاختلال الأمن في حياة الأفراد والمجتمعات والدول والتي ذكرها الله عز وجل في كتابه الكريم، وجعلها سنناً ثابتة لا تتغير ولا تتحول. وجاءوا بأسباب أملتها عليهم أهواؤهم ومصالحهم؛ فجعلوا الحق باطلاً والباطل حقاً. وهكذا شأن شياطين الجن والإنس الذين أخبرنا الله عز وجل عنهم بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

فبين سبحانه في هذه الآية الكريمة أن تضليل شياطين الإنس والجن للناس بأقوالهم المزخرفة المضلّلة لا ينطلي إلا على من ضعف دينه وإيمانه بالآخرة. وإلا فإن المؤمن بربه الذي يصدر عن كتابه سبحانه وسنة نبيه ﷺ لا يصغي لهذا المكر ولا يرضاه ولا يقبله.

يتحدث الاستاذ : ضميرية عن هذه الحرب الشرسة فيقول: (وإذا كانت الحروب العسكرية، ليست الميدان الوحيد للنزال والصراع، وليست الوسيلة المضمونة للغلبة على المسلمين، ولا الأداة المشروعة في المواثيق الدولية؛ فإنَّ هناك ميداناً آخر للنزال، وهو ميدان الفكر والإعلام، والدعاية والمعلومات، فليكنْ ذلك وسيلة مأمونةً ومضمونةَ التأثير في التشويه والتشويش.

والصورة القريبة لهذه الحرب الجديدة التي نراها اليوم ونعيش أحداثها، هي هذه الهجمة الشَّرسة على الإسلام والمسلمين بإلصاق تهمة «الإرهاب» و «التعصب» و «الأصولية»... بعد أن أسقطوا على هذه الألفاظ كلَّ نعوت الشرِّ والسُّوء. وقد كان اليهود وراء نشر هذه المصطلحات وإشاعتها، ثم وجدت قبولاً عند الدوائر المعادية للإسلام والمسلمين، وانتقلت بعد ذلك، عن طريق العدوى والتقليد الأعمى، إلى الصحافة ووسائل الإعلام العربية، بعد انتشار الصحوة الإسلامية، وفي أعقاب عودة شباب هذه الأمة إلى دينهم، بعد رحلة التيه والضياع والتغريب. في الوقت الذين يصفون أنفسهم بأنهم دعاة الأمن والسلام!!!

ولذلك كان من التخطيط اليهودي الصليبي أن يُرمى الإسلام والمسلمون بهذه التهم، وأن يُخلط بينها وبين حقِّ المسلمين في العمل على نشر الدعوة الإسلامية وحمايتها، وتعبيد الناس لربِّ العالمين، ومحاربة الأعداء لاستنقاذ المسلمين المستضعفين، وردّ حقوقهم المغتصبة...

وعند إشاعة هذه التهمة يدخل الإسلام والمسلمون في قفص الاتهام، ويُضطرُّون لإنفاق الجهد في الدفاع عن النفس، والعمل على نفي التهمة بكل الوسائل والأساليب، وعلى جميع المستويات، ويستتبع هذا: مواقفُ التبرير والتنازل والتمحُّل، ويومئذ يفرح الأعداء الماكرون بنجاح المخطط الذي أتقنوا تنفيذه حيث تبادلوا المواقع مع المسلمين، ووقفوا موقف الهجوم علينا، وهم الغارقون في الطين، والضالعون في الجريمة، والمفسدون في الأرض، بكل ألوان الفساد الديني والخلقي والسياسي والاجتماعي والأُسَري، بل إنهم هم المفسدون للحياة الفطرية والطبيعية في البر والبحر)[1].

ولما كانت الحملة على الإسلام وثوابته ومفاهيمه شديدة وشرسة ولاسيما في هذه السنوات الأخيرة من قبل الكفار وإخوانهم من المنافقين في ديار الإسلام؛ أصبح جهاد الدفع في هذه الحرب متعيناً على كل قادر بلسانه وقلمه وبيانه وماله، وذلك لرفع اللبس عن المسلمين وإزالة الشبهات وبيان سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، وذلك بالرجوع إلى القرآن وهديه ومجاهدة الأعداء به قال تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٢].

ومشاركة مني مع إخواني المجاهدين للكفار والمنافقين ضد هذا الغزو الماكر الخبيث أكتب هذه الرسالة المتواضعة والتي تحمل قوله تعالى : ﴿ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ لعلي أجلي فيها المعنى القرآني

(١) يسألونك عن الأرهاب، د. عثمان ضميرية ص٩، ١٠ (بتصرف يسير).

الرباني للأمن وأسبابه ومصادره، ومعنى الإرهاب وضوابطه. ولعلي أن أسهم بذلك في إزالة اللبس والتدليس الذين تعرض له مفهوم الأمن والإرهاب، وانخدع به كثير من الناس، وأبين فيه إن شاء الله تعالى من هم الأعداء الحقيقيون للأمن وغير ذلك من المباحث. وقبل الدخول في صلب الموضوع ألخص بعض الدوافع التي دفعت إلى كتابة هذه الموضوع المهم ليتبين لنا أهميته، ومن أهم هذه الدوافع ما يلي:

أولاً: بيان نعمة الله عز وجل على عباده في الأمن وأن كثير من الناس في غفلة عن هذه النعمة العظيمة وأكثرهم لا يشكرون، وبيان عظمة هذه النعمة في عصرنا الحاضر بالذات، ولا سيما ونحن نرى من حرمها وقد أحاطت بهم المخاوف والأفزاع والقتل والتشريد وسلب الأموال وهتك الأعراض من كل جانب، وبيان أن هذه النعمة لا يقدرها حق قدرها إلا من فقدها. والحديث عن الأمن هو حديث عن ضرورة من ضروريات الحياة الإنسانية.

ثانياً: بيان المعنى الصحيح للأمن في الدنيا، وأنه أشمل من كونه في الأنفس والعقول والأموال والأعراض فحسب، بل إن أعظم الأمن هو الأمن في الأديان وحماية الناس من أن يفتنوا في دينهم وعقيدتهم. وهذا المفهوم الشامل قد غاب عن حياة كثير من الناس اليوم. وقد أسهم في تغييبه الإعلام الماكر للكافرين وإخوانهم من المنافقين حيث لم يضعوا للدين وحمايته أي اعتبار في تحقيق الأمن. مع أن الله عز وجل قد أفهمنا في كتابه الكريم أن أيَّ خلل في أمن الناس فمصدره الخلل في دينهم وإيمانهم،

فبضعف الدين والإيمان، أو غيابه يحصل اختلال الأمن في بقية ضروريات الإنسان من نفس ومال وعقل وعرض. فلعل في هذه الرسالة بسطا للمفهوم الشامل للأمن، وبيانا لسنة عظيمة من سنن الله التي لا تتبدل ولا تتحول، والتي ترسم لنا حقيقة الأمن وميزانه، ومتى يتحقق ومتى يختل وذلك في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ثالثاً: مواجهة التلبيس المضلل للناس في هذا الزمان من أعداء هذا الدين من الكفار والمنافقين الذين أنتهزوا الأحداث الأخيرة في توظيفها ضد الدين وأهله، وحاولوا خداع الناس وتضليلهم بتحريف معنى الأمن والإرهاب عن معناهما الشرعي إلى المعنى الذي يريدونه، وتوظيفه في حرب الإسلام وأهله. فانطلى هذا التلبيس على كثير من المسلمين، وأصاب الكثير منهم الخوف والهلع من الكفار. ولعل في هذه الرسالة كشفا لألاعيب الأعداء وتلبيسهم وبيان تلاعبهم بالمصطلحات. يتحدث الأستاذ ضميرية عن خطورة التلبيس والتلاعب بالمصطلحات في قلب الحقائق فيقول: (في أدبنا العربي ألوان من الكتابة الطريفة؛ فلا يكاد يخطر ببالك فنٌّ من الفنون، أو باب من أبواب القول، إلا وتجد فيه مبحثاً في كتاب، أو تجد فيه كتاباً قائماً برأسه. ولعلَّ أول ما يخطر بالذاكرة عند هذا القول: ما كتبه العلاّمة اللغوي الأديب، أبو منصور الثعالبي (المتوفى ٤٢٩هـ) في كتابه «تحسين القبيح وتقبيح الحسن»، وقد جمع فيه ما قيل من نثر أو شعر في تحسين ما تمَّ التعارف على تقبيحه، وتقبيح ما اتفق الناس على تحسينه، وأودعه لُمَعاً من غُرر البلغاء ونُكَت الشعراء في تحسين القبيح وتقبيح الحسن؛ إذ هما غاية

البراعة والقدرة على جزل الكلام في سرِّ البلاغة وسحر الصناعة...

وليس عجبا كذلك – إذا اختلت المفاهيم، وانقلبت الموازين وتبدلت القيم– أن يصبح الحياء عيبا قبيحا، فيقال : الحياء يمنع الرزق، وقد قُرِنَتِ الهيبةُ بالخيبة، والحياءُ بالحرمان. وقال بعضهم: استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان وأموركم بالوقاحة والإبرام، ودَعُوا الحياءَ لربَّات الحجال...

وقد يذمُّ المرء شيئاً حسنا يعتقد حُسْنه وفائدته، ولكنه يقبِّحه ويذمّه ليخلص من حرج، أو ليعتذر عمّا بَدَر منه؛ فيمدحه تارة ويذمُّه أو يقبِّحه تارة أخرى...

طرأتْ هذه الفكرةُ، (تقبيحُ الحسنِ وتحسينُ القبيح)، على ذهني وأنا أتابع بعض الأخبار والكتابات حيال الإرهاب، وقد تكاثرت في هذه الآونة، وتناولها الكاتبون والباحثون والمحلِّلون من زوايا مختلفة، وبأساليب شتى، ولأغراض متباينة... تماماً كما تعوَّدنا أن نجد كلَّ بضع سنوات اهتماماً بظاهرةٍ أو مشكلة – حقيقية أو مصطنعة– تطفو على السطح، وتسخَّر من أجلها جميع وسائل الإعلام ومنافذ النشر؛ فأحياناً يعيش العالم في حالة هوس بالمؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية، تعقد هنا وهناك، وأحياناً أخر نلحظ عناية بالحديث عن الاستنساخ والهندسة الوراثية، وفي مرحلة أخرى يعيش العالم في حمَّى الجمرة الخبيثة مقترناً بالأرهاب، ثم يتناسى الناس، أو يتناسى أصحاب المصلحة، الحديث عن الأولى ولا يزال الاهتمام بالثانية

(الإرهاب) يتنامي ويتعاظم، حيث يتعاظم تأثير الدعاية والإعلام والإعلان في هذا العصر، وأصبح وسيلة من وسائل الضغط على الرأي العام، وقوةً خطيرة مؤثِّرة في الإقناع)[1].

ويبين ابن القيم رحمه الله تعالى خطر التلبيس عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٢] فيقول: (فنهى عن لبس الحق بالباطل وكتمانه. ولبسه به: خلطه به حتى يلتبس أحدهما بالآخر. ومنه التلبيس، وهو التدليس والغش الذي يكون باطنه خلاف ظاهره، فكذلك الحق إذا لبس بالباطل يكون فاعله قد أظهر الباطل في صورة الحق وتكلم بلفظ له معنيان: معنى صحيح، ومعنى باطل فيتوهم السامع أنه أراد المعنى الصحيح ومراده الباطل فهذا من الإجمال في اللفظ)[2].
ولخطورة تلبيسهم نجد من أبناء المسلمين من هو سمَّاع لهم يردد ما يزخرفون به دون تفكير وتمحيص.

رابعاً: فضح الأعداء الحقيقيين لأمن الناس الذين يتترسون وراء مكافحة الإرهاب، والحرص على توفير الأمن للناس؛ مع أنهم مصدر الإرهاب والخوف والجرائم والفساد، وبيان ذلك بالأدلة الموثقة من أقوالهم وأفعالهم وجرائمهم الشنيعة، وإفسادهم للدين والنفس والعقل والمال والعرض بشتى وسائلهم، وبيان ما تعانيه مجتمعاتهم من الأمراض النفسية والاجتماعية البشعة التي أتلفت الأنفس والأموال والأعراض، وساعدهم

(١) يسألونك عن الأرهاب، ص ١٢-١٤ باختصار.
(٢) الصواعق المرسلة ٣/ ٩٢٦.

في ذلك أناس من المنافقين من بنى جلدتنا غرتهم أنفسهم، وشياطينهم من الأنس والجن فراحوا ينفذون ما يريده الغرب الكافر في تغريب الأمة، والسير بها في ركاب الغرب، ووضعوا أنفسهم جنباً إلى جنب في خندق الكفار في مواجهة مصلحي الأمة ومجاهديها بحجة مكافحة التطرف والإرهاب. فكان لابد من فضح هؤلاء وأسيادهم وتعريف الناس بأنهم هم الأعداء الحقيقيون للأمن، وبيان خداعهم للناس؛ لأنه ما دام أن الحق مختلط بالباطل. وسبيل المجرمين لم يتميز عن سبيل المؤمنين؛ فإن أمر هذا الدين سيبقى مشوهاً عند الناس، وسيبقى الإلتباس فيه قائماً، مما يؤدي إلى ظهور الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق؛ عياذاً بالله من ذلك.

كما أن استبانة سبيل المجرمين ومناهجهم تساعد في تميز الصف المؤمن، وتنقيته من شوائب النفاق والمنافقين. وهذا أمر مهم وعامل أساس لإظهار الحق وإزهاق الباطل: ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال: ٤٢] فالملاحظ في الآونة الأخيرة كثرة الكتابة عن الأمن والإرهاب والإرهابيين، وتناول الكتاب والباحثون ووسائل الإعلام المختلفة هذه الظاهرة من زوايا مختلفة؛ بعضهم عن خبث ومكر وبعضهم عن جهل وتغرير، ولا يزال الاهتمام بالإرهاب وما يتفرع عنه يتنامى، ويتعاظم بفضل الدعاية والإعلان والإعلام، حتى أصبح حديث الناس ووسيلة ضغط على الرأي العام. وتبنى ذلك دولٌ ذات قوة ونفوذ كدولة أمريكا الطاغية تحدوها مصالح خاصة وأهداف غير خفية على المتأملين والمستبصرين. والأدهى من ذلك أن تنطلي هذه الدعايات الكاذبة الباطلة على كثير من المسلمين. فكان

لابد من تبصير الناس بحقيقة الحال، وبما يراد لهم من وراء هذه الدعايات المزخرفة التي لا تعدو أن تكون موجهة للثابتين على أصول هذا الدين والمستعصين على الكفار وما يريدون، والذين يعلنون بغضهم وبراءتهم من الكفار ومحاربة ومجاهدة المعتدين المحاربين منهم.

خامساً: بيان عظمة دين الإسلام، وأنه إنما جاء رحمة للعالمين، وأنه مهما بحث الناس عن الأمن والسلام بعيداً عنه فلن يجدوا إلا الخوف والشر والشقاء، ومن أراد الأمن والراحة والسلام في الدنيا والآخرة فلن يجدها إلا في ظل الإسلام والإيمان. وسأبين في هذا المبحث إن شاء الله تعالى أثر الالتزام بعقيدة الإسلام وأحكامه على أمن الفرد في نفسه، وعلى أمن الأسر، وعلى أمن المجتمعات البشرية كلها، وأنه لا مصدر للأمن إلا من هذا الدين الرباني القائم على عبادة الله وحده وطاعته وذكره وشكره. ومن ابتغى الأمن في غيره فقد ضل سواء السبيل. قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢] وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢].

سادساً: مقاومة الحرب الموجهة اليوم من الكفار، وأذنابهم من المنافقين على عقيدة الإسلام الراسخة، وعلى أهلها المتمسكين بأصولها وثوابتها، واتهام هذه الفئة من المسلمين بأنهم منبع الفكر الإرهابي، وأنهم متطرفون لأنهم ينادون بعقيدة الولاء والبراء وما تقتضيه من موالاة المؤمن ومناصرته،

وعداوة الكفار وجهادهم، وفضح كل ما يستخدمونه في هذه الحرب من وسائل الإعلام، والمال في تمرير هذه الدعوى والتي انخدع بها بعض المنتسبين لهذا الدين، بل بعض المنتسبين للعلم وأخذوا يرددون ما يقوله الأعداء، دون وعي لخطورة هذا الأمر.

سابعاً: توجه أنظار كثير من الناس اليوم إلى توفير الأمن على أنفسهم وأرزاقهم في الحياة الدنيا فحسب، ونسيان الأمن الحقيقي والسعادة الكبرى في الآخرة، وعدم أو ضعف الحرص على توفيرها، وفعل الأسباب التي توصل إلى الأمن يوم الفزع الأكبر، والفوز بدار الأمن والسلام، والتي أعدها الله عز وجل لعباده المتقين . قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٥،٤٦] وقال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥]. فلعل في هذه الدراسة تنبيه لنفسي ولإخواني المسلمين إلى الحرص الشديد، والسعي الحثيث إلى الأخذ بأسباب الأمن من عذاب الله تعالى في الدنيا وفي البرزخ ويوم القيامة الذي من أمن فيه فهو الآمن على الحقيقة. وكيف لا وهم الذين منَّ اللهُ عز وجل عليهم بالسلامة المطلقة من كل خوف وحزن وهم وغم وتعب ووصب في جنات الخلد والنعيم . قال الله عز وجل عنهم: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر:٣٤،٣٥].

وفي ختام هذه المقدمة السريعة أشير إلى أهم فصول هذه الرسالة التي

سأتناولها بالبحث المفصل إن شاء الله تعالى.

الفصل الأول: وفيه مبحثان

المبحث الأول : تعريفات (الأمن – الإرهاب)

المبحث الثاني: ذكر بعض ما ورد من الآيات والأحاديث في ذكر الأمن والإرهاب وما يتفرع عنهما.

الفصل الثاني: المفهوم الشامل للأمن وأنواعه ومصادره.

الفصل الثالث: من هم أعداء الأمن؟

الخاتمة.

الفصل الأول

تعريف الأمن والإرهاب

وذكر بعض ما ورد فيهما من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: تعريفات (الأمن – الإرهاب).

المبحث الثاني: ذكر بعض ما ورد من الآيات والأحاديث في الأمن والإرهاب وما يتفرع عنهما.

المبحث الأول

تعريف الأمن والإرهاب وأصل اشتقاقهما

لابد في بداية هذا البحث من إلقاء بعض الأضواء اللغوية على معنى هاتين الكلمتين وأصل اشتقاقهما، لنصل بعد ذلك إلى تحديد المعنى الاصطلاحي لهما والخلاف المنتشر حول ذلك، قبل الحكم على هذا المصطلح وأصحابه الذين ينطبق عليهم، أو الحكم لهم؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوُّره.

وتزداد أهميةُ هذا التحديد للمصطلح – أيّاً كان- إذا وضعنا بالحسبان أنَّ اللغة هي أداة التفكير والبيان، وهي وسيلة التفاهم والتخاطب بين الناس، كما أنَّ الألفاظ التي ينطق بها الإنسان ويعبِّر بها عما في نفسه، قد تختلف دلالتها ومعانيها، عندما تغدو مصطلحاً فنيّاً يشيع استعماله في علمٍ من العلوم، أو في فنٍ من الفنون.

ومن الجدير بالذكر هنا: التذكيرُ بأنَّ كلَّ مصطلح علميٍّ ينشأ في بيئة فكرية وحضارية تؤثر فيه، وتجعله ينطوي على اتجاهات عقلية وحضارية تتفق وشخصية البيئة والأمة وذاتيتها. وهذا كلُّه يعطي دليلاً آخر على أهمية تحديد المصطلحات العلمية ومعانيها، لئلا يلتبس الأمر ويقع الخلط والفساد والخلاف في النظر والاستدلال[1].

---

(١) انظر: يسألونك عن الأرهاب، (بتصرف).

أولاً: تعريف الأمن:

قال في لسان العرب: (الأمان والأمانة بمعنىً، وقد أمنت فأنا آمن... والأمن: ضد الخوف، والأمانة : ضد الخيانة... فأما آمنته المتعدي فهو ضد أخفته. وفي التنزيل ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش:٤].

قال ابن سيده: الأمن نقيض الخوف. أمن فلاناً يأمن أمناً وأمَناً... والأمنة: الأمن ومنه ﴿ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ [آل عمران:١٥٤] و ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ [الأنفال:١١]... وفي الحديث : «النجوم أمنة السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد. وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى الأمة ما توعد»[(١)] أراد بوعد السماء: إنشقاقها وذهابها يوم القيامة. وذهاب النجوم : تكويرها وانكدارها وإعدامها. وأراد بوعد أصحابه ما وقع بينهم من الفتن. وكذلك أراد بوعد الأمة ... وعن اللحياني: ورجل أمن وأمين بمعنى واحد. وفي التنزيل: ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [التين:٣] أي: الآمن يعني مكة وهو من الأمن... وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان:٥١] أي قد أمنوا فيه من الغِيَر... والمأمن: موضع الأمن. والأمين: المستجير ليأمن على نفسه)[(٢)].

ويقول الاستاذ محمد البرزنجي: (والمتدبر لآيات القرآن الكريم يرى أن الآيات القرآنية تتحدث عن مستويين من الأمن أو نوعين منه:

---

(١) مسلم (٢٥٣١).

(٢) لسان العرب ١/ ١٤٠ (باختصار).

الأول: الأمن على مستوى الفرد (عامل الأمن النفسي).

الثاني: الأمن على المستوى الجماعي (الأمة).

أولاً: الأمن الفردي أو (عامل الأمن النفسي): يذكر الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام وهو يحاور قومه المشركين: ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١،٨٢].

من المعروف أن عقيدة التوحيد تأخذ مساحة واسعة من الآيات القرآنية؛ وفي هذه الآية رَبْطٌ واضح وعلامة قوية بين رسوخ عقيدة التوحيد في النفس البشرية وبين الأمن والاطمئنان؛ أما الذين لم تخالط عقيدة التوحيد قلوبهم، ولم تملأ نفوسهم فلن يشعروا أبداً بذلك الاطمئنان والأمن النفسي؛ فهُمْ في الدنيا وَجلُونَ من سخط الله، وفي الآخرة ينتظرهم عذاب من الله أليم، ويظلون طول حياتهم يخافون من المستقبل المجهول، ولا يعرفون معنى لوجودهم في هذا الكون الرحيب..

ثانياً: الأمن الجماعي (أمن الأمة الإسلامية): قال الحق سبحانه: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥].

قال الشوكاني في تفسير هذه الآية : والمعنى أنه سبحانه يجعل لهم مكان ما كانوا فيه من الخوف من الأعداء أمناً، ويُذهب عنهم أسباب الخوف الذي كانوا فيه بحيث لا يخافون إلا الله ولا يرجون غيره)[1].

وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيدٌ من تحديد معنى هذا المصطلح عند ذكر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في ذلك.

ثانياً: تعريف الإرهاب:

جاءت الراء والهاء والباء لتدل على أصلين: أحدهما يدلُّ على خوفٍ، والآخر على دقَّةٍ في الشيء وخفّةٍ فيه.

فمن الأصل الأول: (رَهِب) يَرْهَبُ رهَبَاً ورُهْبَاً، ورَهْبَة: خاف. و(رهَب فلاناً ورهّبه واسترهبَهُ): خوّفه وفزّعه. و(استرهبه)- أيضاً: استدعى رهبته حتى رهبه الناس. و(ترهّبه): توعّده. و(الرّاهبة): الحالة التي تُرهِب أي تُفْزِع وتخوِّف.

و(ترهَّب الرَّاهبُ): انقطع للعبادة في صومعته. و(الرَّاهِبُ) المتعبِّد في صومعةٍ من النصارى، يتخلى عن أشغال الدنيا وملاذّها، زاهداً فيها معتزلاً أهلها. ويجمع على (رُهْبَان). وقد يكون الرهبان واحداً، فيجمع على رَهَابين ورَهَابِنَة. و(الرَّهْبانيَّة والرَّهْبَنَة): التخلّي عن أشغال الدنيا، وتَرْكُ ملاذها، والزهدُ فيها والعزلةُ عن أهلها. وأصلها من الرَّهْبَة، ثم صارت اسماً لما فضل عن المقدار وأفرط فيه.

---

(١) مجلة البيان ، العدد ١٢٤ (باختصار).

وقال ابن الأثير: الرَّهبانيَّة منسوبة إلى الرَّهْبَنَة بزيادة الألف (والإرْهَابُ): الإزعاج والإخافة، تقول: يَقْشَعِرُّ الإهابُ إذا وقع منه الإرهابُ. ومن المجاز قولهم: أرهب الإبلَ عن الحوض: ذادها عنه وطردها، و(أرهبَ عنه الناسَ بأسُه ونجدتُه). ويقال: «لم أرهبْ بك»، أي: لم أسْتَرِبْ، وقالت العربُ: رَهَبُوتٌ خيرٌ من رَحَمُوتٍ. يعني لأَن تُرهِب خير من أن تَرْحَم. أو لأَن تُرهَب خير من أن تُرْحَم. والمعنيان متلاقيان. وقال الراغب الأصفهاني في المفردات: (الرهبة والرُّهْبُ والرَّهَب: مخافة مع تحرز واضطراب).

ومن الأصل الثاني: وهو الدِّقَّة والخِفَّةُ: (الرَّهْب): النَّصل الرقيق، والجمع رهاب، والرَّهْب أيضاً، الجملُ الضَّامر، والناقة المهزولة. و(الرَّهاب): غُضروف كاللسان معلَّق في أسفل الصدر مشرف على البطن)[1]. وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيدٌ عن هذا المصطلح عند الحديث عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في ذكر هذا المصطلح.

وأما تعريف الإرهاب في الاجتهاد الفقهي المعاصر فقد أصدر مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة تاريخ ١٠/ ١/ ٢٠٠١ بياناً عن الإرهاب قالوا فيه: «الإرهاب هو العدوان الذي يمارسه أفرادٌ أو

---

(١) انظر: «معجم مقاييس اللغة» : ٢/ ٤٤٧، و«تهذيب اللغة»: ٦/ ٢٦٠، «الصحاح»: ١/ ١٤٠، و«أساس البلاغة»: ١/ ٣٨٥، و«لسان العرب»: ٣/ ١٧٤٨، و«تاج العروس»: ٢/ ٥٣٧-٥٤٢، و«النهاية في غريب الحديث والأثر»: ١/ ٢٨٠-٢٨١، و«ديوان الأدب»: ٢/ ٧٩، و«المعجم الوسيط»: ١/ ٣٧٦-٣٧٧، و«المفردات للأصفهاني» ص٣٦٦، (عن كتاب يسألونك عن الإرهاب ص٢٣).

جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه، دمه، ماله، عقله، عرضه) ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق...»[١]. وتجدر الإشارة إلى أنه لم يأت في الكتاب ولا في السنة ذكر مصطلح (الإرهاب) البتة.

أما تعريفها في اللغات الأجنبية فيقول د. ضميرية:

(أتتْ كلمة (الرهبة) من اللغة اللاتينية، وبعد أن ضربت بجذورها في لغات المجموعة اللاتينية، انتقلت فيما بعد إلى لغات أوروبية أخرى، فهي في اللغة الفرنسية (Terreur)، وفي اللغة الإنجليزية (Terror).

وقد عرّفها قاموس «المورد» بمعان تندرج في ثلاث مجموعات، **الأولى** تنتظم المعاني الآتية: رُعب، ذعر، فظاعة. **وفي المجموعة الثانية** : كلُّ ما يوقع الرعب في النفوس، ومظهر رهيب، ومصدر قلق، وشخص أو شيء مروِّع، وبخاصة طفل مزعج. وجاءت المعاني الآتية في المجموعة الثالثة: الإرهاب، وعهد الإرهاب.

وفيه أيضاً: (Terrorism) إرهاب، ذعر ناشيء عن الإرهاب، وكذلك (Terrorist) الإرهابي. و(Terrorize): يرهب، يروِّع، يكرهه على الإرهاب، أو يأمره به.

كما يعرِّف «قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية» المصطلحَ على أنه: حكمٌ من طريق التهديد، كما وجَّهه ونفّذه الحزب الموجود في السلطة في فرنسا، أيام ثورة ١٧٨٩-١٧٩٤)[٢].

---

(١) يسألونك عن الإرهاب، د. ضميرية.

(٢) يسألونك عن الأرهاب، ص٢٢.

المبحث الثاني
ذكر بعض الآيات والأحاديث
الواردة في الأمن والإرهاب

أولاً: ذكر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في ذكر (الأمن)

ورد في كتاب الله عز وجل آيات عديدة في ذكر الأمن وما يتصرف عنه وكذلك في الأحاديث النبوية.

فأما الآيات التي تحدثت عن الأمن فأذكر منها ما يلي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الأنعام: ٨٠، ٨١، ٨٢].

وهذه الآية من سورة الأنعام هي الأصل الذي سأنطلق منه إن شاء الله تعالى في تأليف هذا الكتاب وما يحتويه من فصول ومباحث، لأن فيها تحديداً لمفهوم الأمن في نظر الشرع. وفيها تحديد لمصدر الأمن الحقيقي، وتحديد لأعداء الأمن وأسباب فقده أو ضعفه.

ونظراً لهذه الأهمية الكبيرة لهذه الآية فيحسن بنا أن نقف على المعاني الكبيرة التي تتضمنها من خلال أقوال بعض المفسرين الذين أطالوا الوقوف عندها.

يقول شيخ المفسرين الإمام الطبري رحمه الله تعالى:

«يقول تعالى ذكره: وجادل إبراهيم قومه في توحيد الله وبراءته من الأصنام، وكان جدالهم إياه قولُهم: أن آلهتم التي يعبدونها خير من إلهه. قال إبراهيم: «**أتحاجوني في الله**»، يقول: أتجادلوني في توحيدي الله وإخلاصي العمل له دون ما سواه من آلهة «**وقد هدان**»، يقول: وقد وفقني ربي لمعرفة وحدانيته، وبصرني طريق الحق حتى أيقنتُ أن لا شيء يستحق أن يعبد سواه «**ولا أخاف ما تشركون به**»، يقول: ولا أرهب من آلهتكم التي تدعونها من دونه شيئاً ينالني به في نفسي من سوء ومكروه. وذلك أنهم قالوا له: «إنا نخاف أن تمسَّك آلهتنا بسوء من برص أو خبل، لذكرك إياها بسوء»! فقال لهم إبراهيم: لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالني بضر ولا مكروه، لأنها لا تنفع ولا تضر «**إلا أن يشاء ربي شيئاً**»، يقول: ولكن خوفي من الله الذي خلقني وخلق السموات والأرض، فإنه إن شاء أن ينالني في نفسي أو مالي بما شاء من فناء أو بقاءٍ، أو زيادة أو نقصان أو غير ذلك، نالني لأنه القادر على ذلك... «**وسع ربي كل شيء علماً**»، يقول: وعلم ربي كل شيء، فلا يخفى عليه شيء، لأنه خالق كل شيء، ليس كالآلهة التي لا تضر ولا تنفع ولا تفهم شيئاً، وإنما هي خشبة منحوتةٌ، وصورة ممثلة «**أفلا تتذكرون**»، يقول: ألا تعتبرون، أيها الجهلة، فتعقلوا خطأ ما أنتم عليه مقيمون، من عبادتكم صورةٍ مصوّرة وخشبة منحوتة، لا تقدر على ضر ولا على نفع، ولا تفقه شيئاً ولا تعقله، وترككم عبادة من خلقكم وخلق كل شيء، وبيده الخير، وله القدرة على كل شيء، والعالم بكل شيء...

«**وكيف أخاف ما أشركتم** »: وهذا جواب إبراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم أن تمسَّه، لذكره إياها بسوء، في نفسه بمكروه، فقال لهم: وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه في عبادتكم ربَّكم فعبدتموه من دونه، وهو لا يضر ولا ينفع؟ ولو كانت تنفع أو تضر لدفعت عن أنفسها كسري إياها وضربي لها بالفأس! وأنتم لا تخافون الله الذي خلقكم ورزقكم، وهو القادر على نفعكم وضركم في إشراككم في عبادته إياه «**ما لم ينزّل به عليكم سلطاناً**»، يعني: ما لم يعطكم على إشراككم إياه في عبادته حُجّة، ولم يضع لكم عليه برهاناً، ولم يجعل لكم به عذراً «**فأي الفريقين أحقّ بالأمن**»، يقول: أنا أحق بالأمن من عاقبة عبادتي ربي مخلصاً له العبادة، حنيفاً له ديني، بريئاً من عبادة الأوثان والأصنام، أم أنتم اللذين تعبدون من دون الله أصناماً لم يجعل الله لكم بعبادتكم إياها برهاناً ولا حجة «**إن كنتم تعلمون**»، يقول: إن كنتم تعلمون صدق ما أقول، وحقيقة ما أحتجُّ به عليكم، فقولوا وأخبروني: أيُّ الفريقين أحق بالأمن؟...

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾

اختلف أهل التأويل في الذي أخبر تعالى ذكره عنه أنه قال هذا القول: أعني: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ ، الآية.

فقال بعضهم: هذا فصلُ القضاء من الله بين إبراهيم خليله صلى الله عليه وسلم، وبين من حاجّه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم: «**وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأيّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون**»؟ فقال الله

تعالى ذكره، فاصلاً بينه وبينهم: الذين صدَّقوا الله وأخلصُوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم يعني: بشرك ولم يشركوا في عبادته شيئاً، ثم جعلوا عبادتهم لله خالصة، أحق بالأمن من عقابه مكروه عبادته ربَّه، من الذين يشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأصنامَ، فإنهم الخائفون من عقابه مكروه عبادتهم. أمَّا في عاجل الدنيا فإنهم وَجلُون من حلول سخط الله بهم، وأما في الآخرة، فإنهم الموقنون بأليم عذاب الله...

وقال آخرون: هذا جوابٌ من قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم لإبراهيم، حين قال لهم: «أيّ الفريقين أحق بالأمن؟ فقالوا له: الذين آمنوا بالله فوحّدوه أحق بالأمن، إذ لم يلبسوا إيمانهم بظلم.

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بقوله: «**وتلك حجتنا**»، قول إبراهيم لخاصميه من قومه المشركين: «أي الفريقين أحق بالأمن»، أمن يعبد رباً واحداً مخلصاً له الدين والعبادة، أم من يعبد أرباباً كثيرة؟ وإجابتهم إياه بقولهم: «بل من يعبد ربّاً واحداً أحق بالأمن»، وقضاؤهم له على أنفسهم، فكان في ذلك قطع عذرهم وانقطاع حجتهم، واستعلاء حجة إبراهيم عليهم. فهي الحجة التي أتاها الله إبراهيم على قومه)[1] م.هـ.

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عند قوله سبحانه: ﴿ وَكَيْفَ

(١) انظر: تفسير الطبري ت: شاكر ١١/ ٤٨٨-٥٠٤ باختصار.

أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام:٨١].

(يقول لقومه: كيف يسوغ في عقل، أو عند ذي لب أن أخاف ما جعلتموه لله شريكاً في الإلهية وهي ليست بموضع نفع، ولا ضر وأنتم لا تخافون أنكم أشركتم بالله في إلهيته أشياء لم ينزل بها حجة عليكم ولا شرعها لكم. فالذي أشرك بخالقه وفاطره وباريه - الذي يقرُّ بأنه خالق السماوات والأرض ورب كل شيء ومليكه ومالك الضر والنفع- آلهة لا تخلق شيئاً وهي مخلوقة، ولا تملك لنفسها ولا لعابديها ضراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، وجعلها نداً له ومثلا في الإلهية تعبد ويسجد لها ويخضع لها ويتقرب إليها أحق بالخوف ممن لم يجعل مع الله إلهاً آخر، بل وَحّدَه وأفرده بالإلهية والربوبية والعظمة والسلطان والحب والخوف والرجاء فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون. فحكم الله سبحانه بينهما بأحسن حكم خضعت له القلوب، وأقرت به الفطر، وانقادت له العقول فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢] (١).

ويقول في موطن آخر عند نفس الآية أيضاً:

(ولما نزل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢].

(١) الصواعق المرسلة ١/٤٨٨، ٤٨٩.

قال الصحابة: وأينا يارسول الله لم يلبس إيمانه بظلم؟ قال: ذلك الشرك، ألم تسمعوا قول العبد الصالح: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1] [لقمان:١٣].

فلما أشكل عليهم المراد بالظلم، وظنوا أن ظلم النفس داخل فيه، وأن من ظلم نفسه أي ظلم كان لا يكون آمناً، أجابهم – صلوات الله وسلامه عليه- بأن الظلم الرافع للأمن والهداية على الإطلاق، هو الشرك. وهذا والله الجواب الذي يشفي العليل ويروي الغليل، فإن الظلم المطلق التام هو الشرك الذي هو وضع العبادة في غير موضعها، والأمن والهدى المطلق: هو الأمن في الدنيا والآخرة والهدى إلى الصراط المستقيم؛ فالظلم المطلق التام مانع من الأمن والهدى المطلق. ولا يمنع ذلك أن يكون مطلق الظلم مانعاً من مطلق الأمن ومطلق الهدى، فتأمله. فالمطلق للمطلق والحصة للحصة)[2].

ويقول صاحب الظلال- رحمه الله تعالى- عند هذه الآية:

(إن الفطرة حين تنحرف تضل؛ ثم تتمادى في ضلالها، وتتسع الزاوية ويبعد الخط عن نقطة الابتداء، حتى ليصعب عليها أن تثوب.. وهؤلاء قوم إبراهيم – عليه السلام- يعبدون أصناماً وكواكب ونجوماً. فلا يتفكرون ولا يتدبرون هذه الرحلة الهائلة التي تمت في نفس إبراهيم. ولم يكن هذا داعياً لهم لمجرد التفكير والتدبر. بل جاءوا يجادلونه ويحاجونه. وهم على هذا الوهن الظاهر في تصوراتهم وفي ضلال مبين.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٢٩)، مسلم (١٩٨).

(٢) الصواعق المرسلة ٣/ ١٠٥٧، ١٠٥٨.

ولكن إبراهيم المؤمن الذي وجد الله في قلبه وعقله وفي الوجود كله من حوله، يواجههم مستنكراً في طمأنينة ويقين «قال: **أتحاجوني في الله وقد هدانِ؟**»..

أتجادلونني في الله وقد وجدته يأخذ بيدي، ويفتح بصيرتي، ويهديني إليه، ويعرفني به، لقد أخذ بيدي وقادني فهو موجود- وهذا هو في نفسي دليل الوجود- لقد رأيته في ضميري وفي وعيي، كما رأيته في الكون من حولي. فما جدالكم في أمر أنا أجده في نفسي ولا أطلب عليه الدليل. فهدايته لي إليه هي الدليل؟!.

«**ولا أخاف ما تشركون به**»..

وكيف يخاف من وجد الله؟ وماذا يخاف ومن ذا يخاف؟ وكل قوة- غير قوة الله- هزيلة وكل سلطان- غير سلطان الله- لا يُخاف؟!

ولكن إبراهيم في عمق إيمانه، واستسلام وجدانه، لا يريد أن يجزم بشيء إلا مرتكناً إلى مشيئة الله الطليقة، وإلى علم الله الشامل:

«**إلا أن يشاء ربي شيئاً. وسع ربي كل شيء علماً**».

فهو يكل إلى مشيئة الله حمايته ورعايته؛ ويعلن أنه لا يخاف من آلهتهم شيئاً، لأنه يركن إلى حماية الله ورعايته. ويعلم أنه لا يصيبه إلا ما شاء الله، ووسعه علمه الذي يسع كل شيء.

«**وكيف أخاف ما أشركتم، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به**

عليكم سلطانا؟ فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟».

إنه منطق المؤمن الواثق المدرك لحقائق هذا الوجود. إنه إن كان أحد قميناً بالخوف فليس هو إبراهيم، وليس هو المؤمن الذي يضع يده في يد الله ويمضي في الطريق. وكيف يخاف آلهة عاجزة – كائنة ما كانت هذه الآلهة، والتي تتبدى أحياناً في صورة جبارين في الأرض بطاشين؛ وهم أمام قدر الله مهزولون مضعوفون!- كيف يخاف إبراهيم هذه الآلهة الزائفة العاجزة، ولا يخافون هم أنهم أشركوا بالله ما لم يجعل له سلطاناً ولا قوة من الأشياء والأحياء؟ وأي الفريقين أحق بالأمن؟ الذي يؤمن به ويكفر بالشركاء؟ أم الذي يشرك بالله مالا سلطان له ولا قوة؟ أي الفريقين أحق بالأمن، لو كان لهم شيء من العلم والفهم؟!

هنا يتنزل الجواب من الملأ الأعلى ؛ ويقضي الله بحكمه في هذه القضية:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

الذين آمنوا وأخلصوا أنفسهم لله، لا يخلطون بهذا الإيمان شركاً في عبادة ولا طاعة ولا اتجاه. هؤلاء لهم الأمن، وهؤلاء هم المهتدون..)[1] أ.هـ.

وبعد هذا الاستعراض لأقوال بعض المفسرين في تفسيرهم لهذه الآيات من سورة الأنعام يمكننا الوصول إلى الفوائد التالية:

الفائدة الأولى:

إن الثبات والطمأنينة والسكينة لا تسكن إلا في قلب الموحد لربه المتبرئ من

---

(١) في ظلال القرآن، ٢/ ١١٤١،١١٤٢.

الشرك وأهله، فإذا ذهب التوحيد فليس هناك إلا الخوف والقلق والاضطراب.

الفائدة الثانية:

قوة حجة الموحد، وارتفاعها على حجة المشركين الداحضة المتهافتة، وقوتها وقهرها لكل حجة تخالفها.

الفائدة الثالثة:

توحيد الله عز وجل والبراءة من الشرك تثمر لصاحبها الأمن والأمان والهداية والسلامة من المخاوف في الدنيا ويوم موته ويوم القيامة. والعكس من ذلك الشرك- والعياذ بالله تعالى- فإنه يورث لصاحبه الخوف والشقاء والخذلان في دنياه ويوم موته ويوم يبعث يوم القيامة حياً. والعبد محتاج إلى الأمن في جميع أحواله ولكن حاجته إلى الأمن والسلامة في هذه المواطن أشد، ولذلك امتن الله عز وجل على أنبيائه وأوليائه الموحدين بذلك كما في قوله تعالى عن يحي ابن زكريا عليهما الصلاة والسلام: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم:١٥] وذكر مقولة عبده ورسوله عيسى عليه الصلاة والسلام في مهده : ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم:٣٣]. ويعلق الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى على هذه الآيات بقوله: (قيل: ما الحكمة في تقييده السلام في قصتي يحيى والمسيح صلوات الله عليهما بهذه الأوقات الثلاثة؟

فَسِرُّه والله أعلم: أن طلب السلامة يتأكد في المواضع التي هي مظان

العطب، ومواطن الوحشة، وكلما كان الموضع مظنة ذلك تأكد طلب السلامة، وتعلقت بها الهمة، فذكرت هذه المواطن الثلاثة لأن السلامة فيها آكد وطلبها أهم، والنفس عليها أحرص، لأن العبد فيها قد انتقل من دار كان مستقراً فيها موطن النفس على صحبتها وسكناها إلى دار هو فيها معرض للآفات والمحن والبلاء؛ فإن الجنين من حين خرج إلى هذه الدار انتصب لبلائها وشدائدها ولأوائها ومحنها وأفكارها كما أفصح الشاعر بهذا المعنى حيث يقول:

تأمل بكاء الطفل عند خروجه ... إلى هذه الدنيا إذا هو يولد
تجد تحته سراً عجيباً كأنه ... بكل الذي يلقاه منها مهدد
وإلا فما يبكيه منها وإنها ... لأوسع مما كان فيه وأرغد

ولهذا من حين ابتدرته طعنة الشيطان في خاصرته فبكى لذلك ولما حصل له من الوحشة بفراق وطنه الأول وهو الذي أدركه الأطباء والطبائعيون. وأما ما أخبر به الرسول ﷺ فليس في صناعتهم ما يدل عليه، كما ليس فيها ما ينفيه؛ فكان طلب السلامة في هذه المواطن من آكد الأمور.

الموطن الثاني: خروجه من هذه الدار إلى دار البرزخ عند الموت ونسبة الدنيا إلى تلك الدار كنسبة داره في بطن أمه إلى الدنيا تقريباً وتمثيلاً، وإلا فالأمر أعظم من ذلك وأكبر. وطلب السلامة أيضاً عند انتقاله إلى تلك الدار من أهم الأمور.

الموطن الثالث: موطن يوم القيامة يوم يبعث الله الأحياء. ولا نسبة لما قبله من الدور إليه. وطلب السلامة فيه آكد من جميع ما قبله؛ فإن عطبه لا يستدرك، وعثرته لا تقال، وسقمه لا يداوى، وفقره لا يسد. فتأمل كيف خص هذه المواطن بالسلام لشدة الحاجة إلى السلامة فيها.

واعرف قدر القرآن، وما تضمنه من الأسرار، وكنوز العلم والمعارف التي عجزت عقول الخلائق عن إحصاء عشر معشارها. وتأمل ما في السلام من الزيادة على السلامة من الأنس وذهاب الوحشة. ثم نزل ذلك على الوحشة الحاصلة للعبد في هذه المواطن الثلاثة عند خروجه إلى عالم الابتلاء، وعند معاينته هول المطلع إذا قدم على الله وحيداً مجرداً عن كل مؤنس إلا ما قدمه من صالح عمل، وعند موافاته القيامة مع الجمع الأعظم ليصير إلى إحدى الدارين التي خلق الله واستعمل بعمل أهلها. فأي موطن أحق بطلب السلامة من هذه المواطن، فنسأل الله السلامة فيها بمنه وكرمه ولطفه وجوده وإحسانه)[1] أ.هـ.

الفائدة الرابعة:

أمن الناس واهتداؤهم ليس على درجة واحدة، وإنما يتفاوت الناس في الحصول عليهما، أو فقدهما حسب ما يكون عند العبد من الإيمان والتوحيد، وذلك حسب الفئات التالية:

الفئة الأولى: من يكون لهم الأمن التام والاهتداء التام في جميع أحوالهم

---

(١) بدائع الفوائد ٢/١٦٨-١٦٩ عن بدائع التفسير ٣/١٣٥،١٣٦.

في الدنيا والآخرة وهم الذين حققوا التوحيد، وسلموا من ظلم العباد وأدوا الواجبات، وتركوا المحرمات وماتوا على توبة نصوح من جميع الذنوب.

الفئة الثانية: من يحصل لهم الأمن والاهتداء بدخولهم الجنة في نهاية أمرهم بسبب ما معهم من التوحيد، لكنهم معرضون للخوف في الدنيا أو في البرزخ، أو يوم القيامة بسبب ظلمهم لأنفسهم ببعض المعاصي التي لم يتوبوا منها، أو بظلمهم للعباد؛ فهؤلاء أهل الأمن والاهتداء الناقصين.

الفئة الثالثة: من حرموا أصل الأمن والاهتداء بسبب ما تلبسوا به من الظلم الأكبر وهو الشرك بالله عز وجل، فهؤلاء ليس لهم أمن، ولا اهتداء لا في الدنيا ولا في البرزخ ولا في الآخرة، وإنما هم في عذاب وخوف لا ينقطع.

وهذا ما فهم من كلام ابن القيم السابق رحمه الله تعالى. وأزيد الأمر وضوحاً بما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عند كلامه عن أنواع الظلم الثلاثة حيث يقول رحمه الله تعالى: (فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة؛ كان له الأمن التام، والاهتداء التام. ومن لم يسلم من ظلمه نفسه؛ كان له الأمن والاهتداء مطلقاً، بمعنى أنه لابد أن يدخل الجنة كما وعد بذلك في الآية الأخرى. وقد هداه إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة، ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه نفسه. وليس مراد النبي ﷺ بقوله «إنما هو الشرك» أن من لم

يشرك الشرك الأكبر، يكون له الأمن التام، والاهتداء التام. فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف، لم يحصل لهم الأمن التام ولا الاهتداء التام الذي يكونون به مهتدين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من غير عذاب يحصل لهم؛ بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط، ومعهم أصل نعمة الله عليهم، ولابد لهم من دخول الجنة. وقول النبي ﷺ «إنما هو الشرك» إن أراد به الشرك الأكبر، فمقصوده أن من لم يكن من أهله، فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد إلى ذلك. وإن كان مراده جنس الشرك؛ فيقال: ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب؛ هو شرك أصغر. وحبه ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر، ونحو ذلك. فهذا صاحبه قد فاته من الأمن والاهتداء بحسبه. ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار)[1] أ.هـ.

وقد أكد هذا المعنى الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ حيث قال: (فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا، لا بشرك، ولا بمعاصي، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها.

---

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٨١،٨٢.

ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمران، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء)[1].

هذا ما يتعلق بالآية الأولى من الآيات الي ذكر فيها الأمن، مصدره وثمرته وقد أطلت الكلام فيها لأهميتها، ولأنها – كما ذكرت- ترسم الأصل القويم للأمن وتحدد معناه وتكشف لنا الحقيقة الكبرى التي مفادها أن الأمن والسلام، والطمأنينة والسعادة في الدنيا والآخرة لا يمكن الحصول عليها إلا في ظل الإسلام والإيمان، والبراءة من الشرك والكفر سواء على مستوى الفرد أو الجماعة أو الدول أو البشرية بأسرها، وأن الإعراض عن الله عز وجل وعبادته وعبادة غيره من الشركاء والأهواء إنما يعني ذلك الخوف والقلق والإرهاب والشقاء، في الدنيا كما هو الحاصل اليوم لمعظم البشرية، والعذاب والعناء والشقاء في الآخرة.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى عند هذه الآية: (وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة لا يهاج فيها أحد وتحترمها الجاهلية حتى إن أحدهم يجد فيها قاتل أبيه وأخيه فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم، والنعرة العربية، فحصل لها في مكة من الأمن التام مالم يحصل في سواها وكذلك الرزق الواسع. كانت بلدة ليس فيها زرع ولا شجر، ولكن الله

(١) تفسير السعدي ٢/ ٣٩.

يسر لها الرزق، يأتيها من كل مكان؛ فجاءهـــم رسول منهم يعرفون أمانته وصدقه يدعوهم إلى أكمل الأمور، وينهاهم عن الأمور السيئة فكذبوه، وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه وألبسهم لباس الجوع الذي هو ضد الرغد. والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب صنيعهم وكفرهم، وعدم شكرهم ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [1] أ.هـ

الآية الثالثة: قوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٤٥-٤٧].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى عند هذه الآيات: (هذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتكذيب، وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم بالعذاب على غِرَّة، وهم لا يشعرون. إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم، بالخسف أو غيره. وإما في حال تَقَلُّبِهم وشغلهم، وعدم خطور العذاب ببالهم، وإما في حال تخوفهم من العذاب. فليسوا بمعجزين الله، في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته، ونواصيهم بيده. ولكنه رؤوف رحيم، لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يمهلهم ويعافيهم ويرزقهم وهم يؤذونه، ويؤذون أولياءه. ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة ويدعوهم إلى الإقلاع عن السيئات، التي تضرهم، ويعدهم بذلك أفضل الكرامات ومغفرة ما صدر عنهم من الذنوب.

---

(١) تفسير السعدي، ٣/ ٨٨.

فليستح المجرم من ربه، أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع الحالات، ومعاصيه صاعدة إلى ربه في كل الأوقات، وليعلم أن الله يمهل ولا يهمل، وأنه إذا أخذ العاصي أخذه أخذ عزيز مقتدر. فليتب إليه، وليرجع في جميع أموره إليه، فإنه رؤوف رحيم.

فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة، وبره العميم، وسلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه، والعمل بما يحبه ويرضاه)[1].

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦-٩٩].

وأقتطف بعض ما ذكره سيد قطب رحمه الله تعالى عن هذه الآيات حيث يقول: (ولقد ينظر بعض الناس فيرى أمماً يقولون: إنهم مسلمون- مضيقاً عليهم في الرزق، لا يجدون إلا الجدب والمحق!.. ويرى أمماً لا يؤمنون ولا يتقون، مفتوحاً عليهم في الرزق والقوة والنفود. فيتساءل: وأين إذن هي السنة التي لا تتخلف؟ ولكن هذا وذلك وهم تخيله ظواهر الأحوال. إن أولئك الذين يقولون إنهم مسلمون لا مؤمنون ولا متقون. إنهم لا يخلصون عبوديتهم لله ولا يحققون في واقعهم شهادة أن لا إله إلا الله... ويوم كان أسلاف هؤلاء الذين يزعمون الإيمان مسلمين حقاً دانت لهم

(١) نفس المصدر السابق، ٣/ ٦٢،٦٣.

الدنيا وفاضت عليهم بركات من السماء والأرض وتحقق لهم وعد الله. فأما أولئك المفتوح عليهم في الرزق، فهذه هي السنة.. «ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا، وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء»! فهو الابتلاء بالنعمة الذي مر ذكره. وهو أخطر من الابتلاء بالشدة، وفرق بينه وبين البركات التي يعدها الله من يؤمنون ويتقون. فالبركة قد تكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به، وكان معه الصلاح والأمن والرضى والارتياح.. وكم من أمة غنية قوية ولكنها تعيش في شقوة، مهددة في أمنها، مقطعة الأواصر بينها، يسود الناس فيها القلق وينتظرها الانحلال. فهي قوة بلا أمن، وهو متاع بلا رضى، وهي وفرة بلا صلاح، وهو حاضر زاهٍ يترقبه مستقبل نكد. وهو الابتلاء الذي يعقبه النكال..

إن البركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى بركات في الأشياء، وبركات في النفوس، وبركات في المشاعر؛ وبركات في طيبات الحياة. بركات تنمي الحياة وترفعها في آن. وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي والانحلال.

وبعد أن يقرر السياق القرآني تلك السنة الجارية التي يشهد بها تاريخ القرى الحالية. وفي اللحظة التي تنتفض فيها المشاعر، ويرتعش فيها الوجدان على مصارع المكذبين الذين لم يؤمنوا ولم يتقوا، وغرهم ما كانوا فيه من رخاء ونعماء، فغفلوا عن حكمة الله في الابتلاء.. في هذه اللحظة يتجه إلى الغافلين السادرين، يوقظ فيهم مشاعر الترقب أن يأتيهم بأس الله في أية لحظة من ليل أو نهار، وهم سادرون في النوم واللهو والمتاع: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى

وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٧-١٠٠].

إن سنة الله لا تتخلف، ومشيئة الله لا تتوقف. فما الذي يؤمنهم أن يأخذهم الله بذنوبهم كما أخذ من قبلهم؟ وأن يطبع على قلوبهم فلا يهتدوا بعد ذلك. بل لا يستمعوا إلى دلائل الهدى، ثم ينالهم جزاء الضلال في الدنيا والآخرة. ألا إنه مصارع الخالدين قبلهم، ووراثتهم لهم، وسنة الله الجارية. كل أولئك كان نذيرا لهم أن يتقوا ويحذروا؛ وأن يطرحوا عنهم الأمن الكاذب، والاستهتار السادر، والغفلة المردية؛ وأن يعتبروا بما كان في الذين خلوا من قبلهم. عسى ألا يكون فيهم لو كانوا يسمعون!

وما يريد الله للناس بهذا التحذير في القرآن أن يعيشوا مفزعين قلقين؛ يرتجفون من الهلاك والدمار أن يأخذهم في لحظة من ليل أو نهار. فالفزع الدائم من المجهول، والقلق الدائم من المستقبل، وتوقع الدمار في كل لحظة.. قد تشل طاقة البشر وتشتتها؛ وقد تنتهي بهم إلى اليأس من العمل والنتاج، وتنمية الحياة وعمارة الأرض.. إنما يريد الله منهم اليقظة والحساسية والتقوى، ومراقبة النفس، والعظة بتجارب البشر، ورؤية محركات التاريخ الإنساني، وإدامة الاتصال بالله، وعدم الاغترار بطراءة العيش ورخاء الحياة.

والله يعد الناس الأمن والطمأنينة، والرضوان والفلاح في الدنيا والآخرة، إذا هم أرهفوا حساسيتهم به، وإذا هم أخلصوا العبودية له؛ وإذا

هم اتقوه فاتقوا كل ما يلوث الحياة. فهو يدعوهم إلى الأمن في جوار الله لا في جوار النعيم المادي المغري. وإلى الثقة بقوة الله لا بقوتهم المادية الزائلة. وإلى الركون إلى ما عند الله لا إلى ما يملكون من عرض الحياة.

ولقد سلف من المؤمنين بالله المتقين لله سلف ما كان يأمن مكر الله، وما كان يركن إلى سواه. وكان بهذا وذاك عامر القلب بالإيمان، مطمئنا بذكر الله، قويا على الشيطان وعلى هواه، مصلحاً في الأرض بهدى الله، لا يخشى الناس والله أحق أن يخشاه.

وهكذا ينبغي أن نفهم ذلك التخويف الدائم من بأس الله الذي لا يدفع، ومن مكر الله الذي لا يدرك. لندرك أنه لا يدعو إلى القلق إنما يدعو إلى اليقظة، ولا يؤدي إلى الفزع إنما يؤدي إلى الحساسية، ولا يعطل الحياة إنما يحرسها من الاستهتار والطغيان)[1].

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن: ١٦،١٧].

فذكر الله سبحانه في هذه الآية أن إغداق الرزق، والأمن على ذلك مرهون بالاستقامة على طاعة الله تعالى، وأن العذاب والشقاء والحزن في الدنيا والآخرة ثمرة الإعراض عن ذكر الله تعالى وطاعته.

الآية السادسة: ما قصه الله تعالى علينا من دعوة مؤمن آل فرعون لقومه وتخويفه لهم من عذاب الله تعالى الذي أصاب الكفار من قبلهم كالغرق

---

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٣٤٠-١٣٤١ (باختصار).

والصيحة والريح، وخوفه عليهم من عذاب الله الأبدي يوم القيامة إن هم كفروا ولم يؤمنوا بما جاء به موسى عليه الصلاة والسلام من التوحيد وعبادة الله وحده.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ [غافر: ٣٠-٣٣] إلى قوله: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾ [غافر: ٤١،٤٢].

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

والآيات في بيان أن الأمن والطمأنينة، والرغد في العيش، والسعادة في النفوس دنياً وأخرى مرتبط بالإيمان بالله تعالى، وتوحيده وطاعته. وأن الخوف والفزع والجوع والقلق مرتبط بالكفر بالله تعالى ومعصيته كثيرة جداً. وأكتفي بما ذكرته آنفاً لبيان المقصود والحمد لله رب العالمين.

وأما الأحاديث الواردة في ذكر الأمن وما يتعلق به فمنها ما يلي:

الحديث الأول: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال: «الله أكبر. اللهم أهله علينا **بالأمن** والإيمان **والسلامة**

والإسلام والتوفيق لما يحبه ربنا ويرضى. ربنا وربك الله»[١].

الحديث الثاني: عن سلمة بن عبيد الله بن محصن الخطي عن أبيه وكانت له صحبة قال قال رسول الله ﷺ : «**من أصبح منكم آمناً في سربه** معافى في جسده عنده قوت يومه. فكأنما حيزت له الدنيا»[٢].

الحديث الثالث: عن ابن رفاعة الزرقي عن أبيه قال قال أبي لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ استووا حتى أثني على ربي، فصاروا خلفه صفوفاً فقال (اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك. اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول. اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة، **والأمن يوم الخوف**. اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين. اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق)[٣].

---

(١) رواه الدارمي في سننه (١٦٣٩) وقال الألباني صحيح بشواهده. انظر تخريج الكلم الطيب، ص:١٣٩.

(٢) رواه الترمذي في الزهد باب التوكل على الله وقال حسن غريب، ورواه ابن ماجه (٤١٤١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٤٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٤٢٤).

الحديث الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من **أمنه** الناس على دمائهم وأموالهم»[(١)].

الحديث الخامس: عن حذيفة ابن اليمان رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة وحدثنا عن رفعها قال ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك، فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال إن في بني فلان رجلاً أميناً ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولقد أتى عليَّ زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما رده علي الإسلام، وإن كان نصرانيا رده عليّ ساعيه. فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا»[(٢)].

الحديث السادس: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وقف على أناس جلوس فقال: «ألا أخبركم بخيركم من شركم قال: خيركم من يرجى خيره **ويؤمن** شره. وشركم من لا يرجى خيره ولا **يؤمن** شره»[(٣)].

---

(١) النسائي. وقال الألباني في صحيح النسائي: حسن صحيح (٤٦٢٢) ورواه الترمذي (٢٧٧٥).
(٢) البخاري (٦٤٩٧) ومسلم (٢٣٠).
(٣) مسلم (١٩١٣) والنسائي (٣١٦٧).

الحديث السابع: عن شرحبيل بن السمط عن سلمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه. وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه **وأمن من الفتان**»[(١)].

الحديث الثامن: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «المستشار **مؤتمن**»[(٢)].

الحديث التاسع: عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت «ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكاً حتى أرى من لهواته. إنما كان يبتسم . قالت: وكان إذا رأى غيما أو ريحاً عُرف في وجهه، قالت: يارسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية؟ فقال: ياعائشة ما يُؤمني أن يكون فيه عذاب؟ عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا ﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ [الأحقاف: ٢٤][(٣)].

الحديث العاشر: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لذي الوجهين أن يكون **أميناً**»[(٤)].

ومن الآثار:

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال إن أناساً كانوا يؤخذون

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٦٣) وقال: حسن صحيح.

(٢) الترمذي (٢٣٦٩) وأبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٢٧٧).

(٣) البخاري (٤٨٢٩).

(٤) رواه أحمد (٧٨٧٧) والبخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني في الأدب المفرد (٣١٣).

بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا **أَمِنَّاه** وقربناه وليس إلينا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوءا لم **نأمنه** ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة»[(١)].

- وعن الأعمش عن شقيقٍ قال قال عبد الله (كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة. فإذا غيرت قالوا غيرت السنة. قالوا ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن قال إذا كثرت قراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت **أمناؤكم** والتمست الدنيا بعمل الآخرة[(٢)].
- وقال إبراهيم التيمي: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مُكذِّبًا[(٣)].
- وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه. ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل. ويذكر عن الحسن: ما خافه إلا مؤمن ولا أمنه إلا منافق. وما يحذر من الإصرار على النفاق والعصيان من غير توبة. لقول الله تعالى: ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥][(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٢٦٤١).

(٢) رواه الدارمي في المقدمة ١٨٩، ١٩٠.

(٣) البخاري في الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله.

التعليق على الأحاديث والآثار السابقة:

يتبين لنا من الأحاديث والآثار السابقة أمور مهمة تتعلق بالأمن منها:

أولاً: أن حاجة العبد إلى الأمن مطلوبة في الدارين. وهو إليها في الدار الآخرة أحوج وأفقر. وهذا لا يتأتى إلا بتوحيد الله تعالى وطاعته والجهاد في سبيله سبحانه والبعد عن معاصي الله ومساخطه.

ثانياً: إن ضعف الأمن والأمانة في الناس إنما تكون بضعف أديانهم، وضعف خوفهم من الله عز وجل. فهؤلاء الذين ينبغي أن لا يؤمن جانبهم. أما من يخاف الله تعالى ويعبده وحده لا شريك له، فهو الذي يأمنه الناس، ولا يخافون بوائقه. كما جاء في مناصحة الحسن البصري رحمه الله تعالى لمن استشاره في من يزوج ابنته فقال له: (زوجها من يخاف الله ويتقيه فإنه إن أحبها أحسن إليها وأن أبغضها لم يظلمها).

ثالثاً: المؤمن لا تراه إلا خائفاً من ذنوبه لا يأمن على نفسه من الانحراف أو العقوبة لكنه خوف لا يقنطه من رحمة الله تعالى.

رابعاً: ينبغي للمؤمن أن يلح على ربه سبحانه بطلب الأمن والعافية والسلامة في الدنيا والآخرة، لأن الله عز وجل هو الذي بيده التوفيق والتسديد، والأمن والأمان والسلامة والعافية. وهذا كثير في أدعية الرسول ﷺ.

ثانياً: ذكر بعض الآيات والأحاديث الواردة في الإرهاب والرهبة وما في معناهما:

فأما الآيات من كتاب الله عز وجل فقد جاءت الكلمات المشتقة من (ر هـ ب) في اثني عشر موضعاً، بصيغة الفعل الماضي، والمضارع والأمر، والمصدر، واستعمال الرهبة في القرآن الكريم إنما كان في الخوف من الله تعالى خشية له وفرقاً من عذابه. ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، أي يرهبون ربهم ويخشون عقابه، أو يرهبون ما يغضب ربهم من الشرك والمعاصي.
- وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠] أي: فاخشون وحدي، ولا تخشوا أحداً سواي.
- وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١].
- وقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] والمعنى أنهم يدعون ربهم في وقت تعبدهم، وهم بحال رغبةٍ ورجاءٍ وخوف في حالٍ واحدة؛ لأن الرَّغبة والرَّهبة متلازمتان.
- **وفي بعض الآيات الكريمة جاءت الرَّهْبَة بمعنى الخوف الطبعي أو الجبلِّي** مما يخاف منه المرء، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ

بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ [القصص:٣٢]. فقد أمر الله تعالى موسى - عليه السلام - أن يضمَّ يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحيّة.

- وفي بعضها الآخر جاء الحديث عن **الرهبة والاسترهاب من شخص لأخر**، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦]. أي أنَّ سحرة فرعون لما ألقوا سحرهم صرفوا أعين الناس عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل، وأرهبوهم وأفزعوهم.

وكذلك المنافقون يرهبون المسلمين أشدَّ من رهبتهم من الله، لأنهم لا يفقهون عظمة الله تعالى، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الحشر:١٣].

- وفي آياتٍ كريمةٍ أخرى جاءت كلمة **الرهبان والرهبانية للدلالة على الترهب عند النصارى**. وهو التعبُّد واستعمال الرهبة. والرهبانية هي الغلو في تحمل التعبد. كما في قوله - سبحانه وتعالى- :﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [الحديد:٢٧].

- وقوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢].

- وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].
- وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٤].
- ومن معاني الإرهاب : (الرعب) كما في قوله تعالى: ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١٥١].

ويضيف الدكتور ضميرية في كتابه (يسألونك عن الإرهاب) بعد استعراضه لهذه الآيات فيقول: (وبقي بعد هذه الآيات آية كريمة واحدة قد يتأوَّلُها بعضهم على وجهٍ يحلو له أن يفهم منه معنىً مريباً من المعاني التي أُلبست لهذه الكلمة في الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين باسم محاربة الإرهاب، ولذلك نخصها بوقفة أخرى سريعة نستجلي فيها المعنى من خلال السياق.

فقد جاءت كلمة «**ترهبون**» في آية كريمة واحدة، في سياق الأمر بإعداد العُدَّة من السلاح ونحوه لتخويف الكفار والمنافقين، الذين نخاف خيانتهم وغدرهم ونقضهم للعهود والمواثيق.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝ وَلَا

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝٥٩ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٥-٦٠].

يقول شيخ المفسِّرين، الإمام الطبري- رحمه الله- في تأويل الآية الأخيرة: وأعدُّوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم، الذين بينكم وبينهم عهد، إذا خفتم خيانتهم وغدرهم ، أيها المؤمنون بالله ورسوله ﴿ مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ يقول: ما أطقتم أن تُعِدُّوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم، من السلاح والخيل ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ يقول: تخيفون بإعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين. ونقل عن ابن عباس- رضي الله عنهما- في تفسير قوله تعالى: ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ ﴾ قال: تُخزون به عدو الله وعدوكم[1].

وقال العلاّمة المفسِّر البِقَاعيُّ: ﴿ تُرْهِبُونَ ﴾: تخوّفون تخويفاً عظيماً باهراً، يؤدي إلى الهرب، على ما أجريت العوائد، ﴿ بِهِۦ ﴾ أي بذلك الذي أمرتكم به؛ من المستطاع أو من الرباط، ﴿ عَدُوَّ ٱللَّهِ ﴾ أي عدو الله الذي له العظمة كلها، لأنه الملك الأعلى ﴿ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ عدو المجاهدين و ﴿ وَءَاخَرِينَ ﴾ وترهبون به آخرين. ويحمل على المنافقين[2].

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١٤/ ٣١-٤٠.

(٢) تفسير البقاعي ٨/ ٣١٤.

وقال عبدُ الحقِّ بنُ عطية الأندلسيُّ في تفسيره:

(الخطاب في هذه الآية لجميع المؤمنين، والضمير في قوله تعالى (لهم) عائد على الذين ينبذ إليهم العهد، أو على الذين لا يُعجزون- على تأويل من تأول ذلك في الدنيا- ويحتمل أن يعود على جميع الكفار المأمور بحربهم في ذلك الوقت، ثم استمرت الآية في الأمة عامة، إذ الأمر قد توجَّه بحرب جميع الكفار)[١] أ.هـ[٢]

وأختم الكلام عن آيات الأنفال السابقة ببعض المقتطفات التي ذكرها سيد قطب رحمه الله تعالى عند هذه الآيات حيث يقول: (هذه الآيات كانت تواجه حالة قائمة بالفعل في حياة الجماعة المسلمة، عند نشأة الدولة المسلمة بالمدينة. وتزود القيادة المسلمة بالأحكام التي تواجه بها هذه الحالة.

وهي تمثل إحدى قواعد العلاقات الخارجية بين المعسكر المسلم وما حوله من المعسكرات الأخرى، ولم تدخل عليها إلا تكميلات وتعديلات جانبية فيما بعد، ولكنها ظلت إحدى القواعد الأساسية في المعاملات الإسلامية الدولية.

إنها تقرر إمكان إقامة عهود تعايش بين المعسكرات المختلفة؛ ما أمكن أن تصان هذه العهود من النكث بها؛ مع إعطاء هذه العهود الاحترام الكامل والجدية الحقيقية[٣]. فأما إذا اتخذ الفريق الآخر هذه العهود ستاراً

---

(١) المحرر الوجيز ٦/ ٣٥٦.

(٢) يسألونك عن الإرهاب ص٢٦-٢٨.

(٣) لا يقصد هنا العهود الدائمة وإنما العهود المؤقتة أو المطلقة ريثما يكون بالمسلمين قوة لاعلاء كلمة الله في كل مكان.

يدبر من ورائه الخيانة والغدر؛ ويستعد للمبادأة والشر؛ فإن للقيادة المسلمة أن تنبذ هذه العهود، وتعلن الفريق الآخر بهذا النبذ؛ وتصبح مطلقة اليد في اختيار وقت الضربة التالية للخائنين الغادرين.. على أن تكون هذه الضربة من العنف والشدة بحيث ترهب كل من تحدثه نفسه بالتعرض للمجتمع المسلم سراً أو جهراً! فأما الذين يسالمون المعسكر الإسلامي؛ ويريدون عدم التعرض للدعوة الإسلامية، أو الحيلولة دون وصولها إلى كل مسمع؛ فإن للقيادة المسلمة أن توادعهم ما دام ظاهرهم يدل على أنهم يجنحون إلى السلم ويريدونها... ولفظ «الدواب» وإن كان يشمل كل ما دب على الأرض، فيشمل الأناسي فيما يشمل. إلا أنه- كما أسلفنا- يلقي ظلاً خاصاً حين يطلق على الآدميين.. ظل البهيمة.. ثم يصبح هؤلاء الآدميون شر البهيمة التي تدب على الأرض! وهؤلاء هم الذين كفروا حتى بلغ بهم الكفر ألا يصير حالهم إلى الإيمان! وهم الذين ينقضون عهدهم في كل مرة ولا يتقون الله في مرة!...

هؤلاء الذين لا يستطيع أحد أن يطمئن إلى عهدهم وجوارهم.. جزاؤهم هو حرمانهم الأمن كما حرموا غيرهم الأمن؛ وجزاؤهم هو تخويفهم وتشريدهم، والضرب على أيديهم بشدة لا ترهبهم وحدهم، إنما ترهب من يتسامع بهم ممن وراءهم من أمثالهم. والرسول ﷺ ومن بعده من المسلمين، مأمورون- إذا التقوا بأمثال هؤلاء في القتال- أن يصنعوا بهم ذلك الصنيع.

﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

وإنه لتعبير عجيب، يرسم صورة للأخذ المفزع، والهول المرعب، الذي يكفي السماع به للهرب والشرود. فما بال من يحل به هذا العذاب الرعيب؟ إنها الضربة المروعة يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يأخذ بها هؤلاء الذين مردوا على نقض العهد، وانطلقوا من ضوابط الإنسان، ليؤمن المعسكر الإسلامي أولاً، وليدمر هيبة الخارجين عليه أخيراً؛ وليمنع كائناً من كان أن يجرؤ على التفكير في الوقوف في وجه المد الإسلامي من قريب أو من بعيد.

إنها طبيعة هذا المنهج التي يجب أن تستقر صورتها في قلوب العصبة المسلمة. إن هذا الدين لابد له من هيبة، ولا بد له من قوة، ولا بد له من سطوة، ولابد له من الرعب الذي يزلزل الطواغيت حتى لا تقف للمد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير «الإنسان» في «الأرض» من كل طاغوت. والذين يتصورون أن منهج هذا الدين هو مجرد الدعوة والتبليغ، في وجه العقبات المادية من قوى الطاغوت، هم ناس لا يعرفون شيئاً عن طبيعة هذا الدين!

وهذا هو الحكم الأول يتعلق بحالة نقض العهد فعلاً مع المعسكر الإسلامي؛ وما ينبغي أن يتبع في ضرب الناقضين للعهد وإرهابهم وإرهاب من وراءهم بالضربة القاصمة المروعة الهائلة.

فأما الحكم الثاني فيتعلق بحالة الخوف من نقض العهد وتوقع الخيانة؛ وذلك بظهور أفعال وأمارات تدل على أن القوم يهمون بنقض العهد فعلاً:

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾

إن الإسلام يعاهد ليصون عهده؛ فإذا خاف الخيانة من غيره نبذ العهد القائم جهرة وعلانية؛ ولم يخن ولم يغدر؛ ولم يغش ولم يخدع؛ وصارح الآخرين بأنه نفض يده من عهدهم. فليس بينه وبينهم أمان... وبذلك يرتفع الإسلام بالبشرية إلى آفاق من الشرف والاستقامة، وإلى آفاق من الأمن والطمأنينة.. إنه لا يبيت الآخرين بالهجوم الغادر الفاجر وهم آمنون مطمئنون إلى عهود ومواثيق لم تنقض ولم تنبذ؛ ولا يروع الذين لم يأخذوا حذرهم حتى وهو يخشى الخيانة من جانبهم.. فأما بعد نبذ العهد فالحرب خدعة، لأن كل خصم قد أخذ حذره؛ فإذا جازت الخدعة عليه فهو غير مغدور به إنما هو غافل! وكل وسائل الخدعة حينئذ مباحة لأنها ليست غادرة!

إن الإسلام يريد للبشرية أن ترتفع؛ ويريد للبشرية أن تعف؛ فلا يبيح الغدر في سبيل الغلب؛ وهو يكافح لأسمى الغايات وأشرف المقاصد؛ ولا يسمح للغاية الشريفة أن تستخدم الوسيلة الخسيسة...

وفي مقابل هذه الصناعة وهذه النظافة يعد الله المسلمين النصر، وَيُهوِّن عليهم أمر الكفار والكفر!

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾

فتبييتهم الغدر والخيانة لن يمنحهم فرصة السبق، لأن الله لن يترك المسلمين وحدهم، ولن يفلت الخائنين لخيانتهم. والذين كفروا أضعف من

أن يعجزوا الله حين يطلبهم، وأضعف من أن يعجزوا المسلمين والله ناصرهم.

فليطمئن أصحاب الوسائل النظيفة - متى أخصلوا النية فيها لله- من أن يسبقهم أصحاب الوسائل الخسيسة. فإنما هم منصورون بالله الذي يحققون سنته في الأرض، ويعلون كلمته في الناس، وينطلقون باسمه. يجاهدون ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده بلا شريك.

ولكن الإسلام يتخذ للنصر عدته الواقعية التي تدخل في طوق العصبة المسلمة؛ فهو لا يعلق أبصارها بتلك الآفاق العالية إلا وقد أمن لها الأرض الصلبة التي تطمئن عليها أقدامها؛ وهيأ لها الأسباب العملية التي تعرفها فطرتها وتؤيدها تجاربها؛ وإلا إذا أعدها هي للحركة الواقعية التي تحقق هذه الغايات العلوية:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

فالاستعداد بما في الطوق فريضة تصاحب فريضة الجهاد؛ والنص يأمر بإعداد القوة على اختلاف صنوفها وألوانها وأسبابها؛ ويخص «رباط الخيل» لأنه الأداة التي كانت بارزة عند من كان يخاطبهم بهذا القرآن أول مرة.. ولو أمرهم بإعداد أسباب لا يعرفونها في تلك الحين مما سيجد مع الزمن لخاطبهم بمجهولات محيرة- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- والمهم هو

عموم التوجيه:

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾

إنه لابد للإسلام من قوة ينطلق بها في «الأرض» لتحرير «الإنسان».. **وأول** ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة: أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها؛ فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها.. **والأمر الثاني** : أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على «دار الإسلام» التي تحميها تلك القوة.. **والأمر الثالث**: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي، وهو ينطلق لتحرير «الإنسان» كله في «الأرض» كلها.. **والأمر الرابع**: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية، فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها؛ ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده؛ ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه...

وينبغي للمسلم ألا يتمتم ولا يجمجم وهو يعلن هذه الحقيقة الكبيرة.. ينبغي ألا يستشعر الخجل من طبيعة منهجه الرباني.. وينبغي أن يذكر أن الإسلام حين ينطلق في الأرض إنما ينطلق لإعلان تحرير الإنسان بتقرير ألوهية الله وحده، وتحطيم ألوهية العبيد! إنه لا ينطلق بمنهج من صنع البشر؛ ولا لتقرير سلطان زعيم، أو دولة، أو طبقة، أو جنس! إنه لا ينطلق لاسترقاق العبيد ليفلحوا مزارع الأشراف كالرومان؛ ولا لاستغلال الأسواق والخامات الرأسمالية الغربية؛ ولا لفرض مذهب بشري من صنع

بشر جاهل قاصر كالشيوعية وما إليها من المذاهب البشرية.. إنما ينطلق بمنهج من صنع الله العليم الحكيم الخبير البصير؛ ولتقرير ألوهية الله وحده وسلطانه لتحرير «الإنسان» في «الأرض» من العبودية للعبيد..

هذه هي الحقيقة الكبيرة التي يجب أن يدركها المهزومون الذين يقفون بالدين موقف الدفاع؛ وهم يتمتمون ويجمجمون للاعتذار عن المد الإسلامي! والجهاد الإسلامي.

ويحسن أن نعرف حدود التكليف بإعداد القوة. فالنص يقول:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾

فهي حدود الطاقة إلى أقصاها. بحيث لا تقعد العصبة المسلمة عن سبب من أسباب القوة يدخل في طاقتها. كذلك يشير النص إلى الغرض الأول من إعداد القوة.

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾

فهو إلقاء الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض. الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون؛ ومن وراءهم ممن لا يعرفونهم، أو لم يجهروا لهم بالعداوة، والله يعلم سرائرهم وحقائقهم. وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ولو لم تمتد بالفعل إليهم.. والمسلمون مكلفون أن يكونوا أقوياء.. وأن يحشدوا ما يستطيعون من أسباب القوة ليكونوا مرهوبين في الأرض؛ ولتكون كلمة الله هي العليا،

وليكون الدين كله لله)[١] أ.هـ

وأما الأحاديث الواردة في ذكر الرهبة وما في معناها: فأذكر منها ما يلي:

الحديث الأول: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال، قال النبي ﷺ «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به) قال فرددتها على النبي ﷺ فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت ورسولك قال (لا ونبيك الذي أرسلت»[٢].

الحديث الثاني: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الناس سألوا نبي الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة، فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال سلوني لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم فلما سمع ذلك القوم أرموا ورهبوا أن يكون بين يدي أمرٍ قد حضر قال أنس فجعلت ألتفت يمينا وشمالاً فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي، فأنشأ رجل من المسجد كان يلاحى فيدعى لغير أبيه فقال يانبي الله من أبي قال أبوك حُذافة ثم أنشأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا، عائذا بالله من سوء الفتن فقال رسول الله ﷺ لم أر كاليوم قط في الخير والشر إني

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٥٣٩-١٥٤٣ باختصار.

(٢) رواه مسلم ٤٨٨٤،٤٨٨٥.

صورت لي الجنة والنار فرأيتهما دون هذا الحائط»[١].

الحديث الثالث: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ «**ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرب من أجلٍ، ولا يباعد من رزقٍ أن يقول بحق، أو يذكر بعظيم**»[٢].

الحديث الرابع: عن أبي بردة رضي الله عنه قال: مررت بالربذة فإذا فسطاط فقلت لمن هذا؟ فقيل لمحمد بن مسلمة فاستأذنت عليه فدخلت عليه فقلت رحمك الله إنك من هذا الأمر بمكانٍ، فلو خرجت إلى الناس فأمرت ونهيت فقال إن رسول الله ﷺ قال إنه ستكون فتنة وفرقة واختلاف، فإذا كان ذلك فأت بسيفك أحدا فاضرب به عرضه، واكسر نبلك، واقطع وترك، واجلس في بيتك، فقد كان ذلك وقال يزيد مرة: فاضرب به حتى تقطعه ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة، أو يعافيك الله عز وجل فقد كان ما قال رسول الله ﷺ، وفعلت ما أمرني به ثم استنزل سيفا كان معلقا بعمود الفسطاط فاخترطه فإذا سيف من خشب فقال قد فعلت ما أمرني به رسول الله ﷺ واتخذت هذا **أرهب به** الناس»[٣].

الحديث الخامس: عن عبد الله بن خباب بن الأرت عن أبيه قال صلى رسول الله ﷺ صلاة، فأطالها قالوا يارسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال أجل إنها صلاة رغبة ورهبة. إني سألت الله فيها ثلاثا،

---

(١) البخاري (٩٣) والترمذي (٣٠٥٦).

(٢) رواه أحمد ٣/ ٥٠ وصحح إسناده أحمد شاكر (١١٤٩٤).

(٣) ابن ماجه في الفتن (٣٩٦٢) وصححه الألباني ورواه أحمد واللفظ له ٣/ ٤٩٣.

فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي بسنةٍ فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها»[١].

الحديث السادس: عن عمران ابن حصين رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ لأبي «ياحصين كم تعبد اليوم إلها قال أبي: سبعة. ستة في الأرض وواحدا في السماء. قال فأيهم تعد لرغبتك **ورهبتك** قال الذي في السماء. قال: ياحصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك قال فلما أسلم حصين قال يارسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني فقال قل اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي»[٢].

الحديث السابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين **وراهبين**، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا»[٣].

الحديث الثامن: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه : «رب أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي. رب

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٧٥) وقال حسن غريب.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٨٣) وقال حسن غريب.

(٣) البخاري (٦٥٢٢).

اجعلني لك شكارا، لك ذكارا، لك رهابا، لك مطيعاً، إليك مخبتاً، إليك أواها منيبا. رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، واهد قلبي وسدد لساني، وثبت حجتي واسلل سخيمة قلبي»[١].

الحديث التاسع: عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «عجب ربنا عز وجل من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحيه إلى صلاته، فيقول ربُّنا أيا ملائكتي انظروا إلى عبدي ثار من فراشه، ووطائه ومن بين حيه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله عز وجل، فانهزموا فعلم ما عليه من الفرار، وماله في الرجوع، فرجع حتى أهريق دمه رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي، فيقول الله عز وجل لملائكته انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ورهبة مما عندي حتى أهريق دمه»[٢].

الحديث العاشر: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :«عليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام»[٣].

وبعد استعراض الآيات والأحاديث السابقة نخلص إلى معنى الرهبة وما في معناها في الكتاب والسنة حيث أنها تدور حول الخوف من الله عز وجل ومن عقابه وهي بذلك تكون عبادة لله عز وجل يتعبد العبد بها لله تعالى وهي مما يمدح الله عز جل عباده المؤمنين وأوليائه المتقين. ومن ذلك «عليك

---

(١) رواه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٠٨١).

(٢) رواه أحمد (٣٩٤٩) وقال شاكر إسناده صحيح.

(٣) رواه أحمد ٣/ ٨٢ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢١٥: ورجاله ثقات.

بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام».

كما أنها تأتي بمعنى الخوف من المخلوق أو إخافة المخلوق كما جاء في حديث أبي بردة في اتخاذه سيف من خشب يرهب به من يريد به شرا وذلك أيام الفتن، وكما جاء في حديث أبي سعيد السابق (لا يمنعن أحدكم رهبة الناس..)

وتأتي بمعنى الخوف الطبيعي كما في قوله تعالى ﴿ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ﴾ وغالب استعمالها في القرآن الكريم في الخوف من الله تعالى خشية منه سبحانه ومن عقابه كما جاءت في إرهاب الكفار المحاربين وإخافتهم ليرتدعوا وليرتدع من خلفهم من الكفار عن الإضرار بالمسلمين أو الوقوف في طريق نشر الحق والتوحيد وقد سبق التفصيل في هذا الأمر عند قوله تعالى ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ وبالجملة فهذه معاني الرهبة في الكتاب والسنة. ولم يرد في الكتاب والسنة أي إشارة إلى شيء من المعاني التي يلبسها الناس اليوم لهذه الكلمة أو يسقطونها عليها عندما يستعملونها بصيغة الإرهاب التي لا يوجد لها أي ذكر في القرآن الكريم ولا في الحديث الصحيح أو غير الصحيح، كما أن كتب اللغة تكاد تخلو من هذه الصيغة التي لم تشتهر وتدرج على الألسنة والأقلام إلا في الآونة الأخيرة، وفي أعقاب وقائع وحوادث معينة. ولذلك يجدر التأكيد على الفرق الكبير بين المعنى اللغوي والقرآني للكلمة وبين المعنى السياسي والاجتماعي المأخوذ عن اللغات الأجنبية[1].

---

(١) انظر (يسألونك عن الإرهاب) ص٢٩.

الفصل الثاني

المفهوم الشامل للأمن وأنواعه ومصادره

وفيه مبحثان :

المبحث الأول: الأمن في الحياة الدنيا.

المبحث الثاني: الأمن بعد الموت.

الفصل الثاني

المفهوم الشامل للأمن وأنواعه ومصادره

عندما يذكر الأمن ومتعلقاته عند كثير من الناس اليوم، فإنما يفهمون منه الأمن على النفوس، وعلى الأموال والأعراض من الاعتداء ويقصرونه على هذه الأمور فحسب، مع أن الأمن بمفهومه الشامل عندما يطلق فإنما يعني أموراً هي في مجموعها أشمل وأعم من هذا الفهم القاصر لمتعلقات الأمن. وهذا ما سيتم تفصيله إن شاء الله تعالى في هذا الفصل ومباحثه. فأقول وبالله التوفيق:

إن حاجة العبد إلى الأمن في ضرورياته الأساسية لا تقل عن حاجته إلى الطعام والشراب، ولكن هذه الضروريات تتفاوت في أهميتها؛ فالأمن على الدين والعقيدة يحتل في الأهمية المرتبة الأولى ثم يليه الأمن على الأنفس والعقول والأعراض والأموال. ومع ذلك فإن غالب من يتكلم في الأمن لا يرد على باله، وفي كلامه، أو كتاباته الأمن على الدين والعقيدة، وأنها مقدمة على سائر الضروريات؛ بل ينحصر الكلام في الأمن على الأنفس والأموال فحسب كما أن هؤلاء أيضاً يقصرون حديثهم عن الأمن في هذه الحياة الدنيا الزائلة الفانية، ولا يتطرقون للأمن الحقيقي السرمدي ألا وهو الأمن في القبور، والأمن يوم النشور يوم الأهوال والفزع الأكبر، والأمن التام الأبدي في جنات النعيم.

وفي هذا الفصل سيتم إن شاء الله تعالى مناقشة الصور المختلفة للأمن

وبحث المواطن التي يحتاج الناس إلى الأمن فيها، وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: الأمن في الحياة الدنيا

المبحث الثاني: الأمن بعد الموت

المبحث الأول
الأمن في الحياة الدنيا

الأمن في هذه الدنيا لا يتحقق إلا إذا أمن الناس فيها على الضروريات التالية:

١- الأمن على الدين في العقيدة والشريعة

٢- الأمن على النفوس

٣- الأمن على العقول

٤- الأمن على الأعراض

٥- الأمن على الأموال

وكل هذه الضروريات لا يتوفر الأمن فيها إلا بطاعة الله عز وجل، وتوحيده واجتناب معاصيه ومساخطه. وإن لم يكن ذلك فإن سنة الله عز وجل نافذة على عباده الذين عصوه بأنواع العقوبات التي تورث الخوف وانعدام الأمن على هذه الضرورات؛ فلا يأمن الناس إذا عصوا ربهم لا على أديانهم ولا أنفسهم ولا عقولهم ولا أعراضهم ولا أموالهم. والواقع والتاريخ يشهد بذلك ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ [النحل: ٣٣]، وهذا ما حذر منه مؤمن آل فرعون قومه وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ

وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٣٠،٣١] وهذا ما أخبر به ربنا عز وجل عن القرية الآمنة بقوله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢].

وفي ضوء الآيات السابقة وما في معناها نخلص إلى أن الأمن الشامل الحقيقي لا يتحقق في دنيا الناس، ولا يصدق على أن فرداً أو طائفة أو مجتمعاً أو دولة في وضع آمن، حتى يكونوا آمنين على دينهم وعقولهم من الشبهات والضلالات والأفكار المنحرفة عن عقيدة التوحيد وأخلاق الإسلام وشريعته.

وكذلك آمنين على أنفسهم ودمائهم من الاعتداء والتهديد وإلحاق الأذى،.

وكذلك آمنين على أعراضهم من كل ما من شأنه أن يلحق الضرر والأذى بها من فتن الشهوات والعبث مما يكون سبباً في إشاعة الفاحشة بين المؤمنين والاعتداء على الأعراض.

وكذلك آمنين على أموالهم من السلب والاعتداء، وانتشار المال الحرام، وأكل الأموال بالباطل.

وبدون الأمن على هذه الضروريات الخمس لا يكون الفرد، ولا المجتمع، ولا الدولة، ولا البشرية في أمن ولا أمان. وأكبر شاهد لذلك ما

يعيشه العالم اليوم سواء على مستوى الفرد أو الأسرة أو المجتمع، أو البشرية بأسرها من القلق والخوف والاعتداء الصارخ على هذه الضروريات الأساسية التي جاء الإسلام في الدنيا لحفظها وصيانتها لينعم الناس في ظله بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام.

وعندما غاب شرع الإسلام عن أكثر بقاع الأرض عقيدة وشريعة، وأعرض أكثر الناس عن طاعة الله تعالى، وتوحيده، وانتشر الكفر والشرك والفسوق والعصيان رأينا عقوبة الله عز وجل وسنته التي لا تتخلف في القوم الظالمين حيث انتشر الخوف والرعب والقلق والشقاء بين الناس، وتسلط بعضهم على بعض، وسادت شريعة الغاب، وأصبح الإنسان لا يأمن على دينه ولا نفسه ولا عقله ولا ماله ولا عرضه إلا من رحم الله عز وجل ووفقه لتوحيده وطاعته التي هي مصدر الأمن والسلام والسعادة.

ونخلص مما سبق إلى النتائج التالية:

الأولى: أن من أراد أن يأمن في هذه الحياة الدنيا من عذاب الله عز وجل، ويحصل على الأمن والسلام في دينه ونفسه وعقله وماله وعرضه، ويحصل على الأمن يوم القيامة، فلن يجد ذلك إلا في ظل الإسلام الحقيقي الذي هو توحيد الله عز وجل، وأحكامه وطاعته، والدخول في السلم كافة، قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] وقال سبحانه: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١]. ومن ذهب يبحث عن الأمن والسعادة في غير طاعة الله عز وجل وتوحيده؛ فمثله كمن رأى سراباً حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً، بل لن يجد إلا الخوف والرعب والقلق والشقاء. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤].

الثانية: أن الأمن لا يتحقق في حياة الناس بمجرد أمنهم على دمائهم وأموالهم فهذا أمن ناقص . بل إن ذلك لن يتحقق إلا بالأمن التام الذي يأمن فيه الناس على دينهم وأنفسهم وأعراضهم وعقولهم وأموالهم وبدون ذلك فلا يطمع في أمن ولا سلام.

الثالثة: أن من كان سبباً في فتنة الناس في دينهم، وصدهم عن الحق بنشر الشبهات والأفكار المنحرفة، أو كان سبباً في إفساد أخلاق الناس ببث الفساد والشهوات المحرمة؛ فإن هؤلاء وأمثالهم هم أعداء الأمن الحقيقيون وهم دعاة الإرهاب والفساد والفتنة . فيجب فضحهم وإخراجهم من مخابئهم التي يتترسون فيها بدعوى الحرص على أمن الناس ومكافحة الإرهاب. وسيأتي التفصيل عن أعداء الأمن والسلام في فصل قادم إن شاء الله تعالى.

مستويات الناس في حاجتهم إلى الأمن في هذه الحياة الدنيا

يمكن تقسيم الناس في طلبهم للأمن إلى المستويات التالية:

الأول: الأمن النفسي على مستوى الفرد

الثاني: الأمن الأسري

الثالث: أمن المجتمعات

الرابع: أمن البشرية

أولاً: الأمن النفسي على مستوى الفرد

وهو شعور الإنسان بالأمن الداخلي في نفسه، وقلبه وتفكيره، وإحساسه بالطمأنينة والسكينة، وبعده عن أسباب الخوف والقلق والانزعاج. وهذا لا يتأتى إلا إذا أمن العبد على دينه فلم يفتن فيه، وأمن على نفسه من الظلم والاعتداء، وأمن على عرضه وعقله وماله. وكل هذا لا يطمح في الحصول عليه إلا في ظل الدين الذي أكمله الله عز وجل للأمة، ورضيه لها ديناً ألا وهو دين الإسلام العظيم، الذي شرع الله عز وجل فيه من العقائد والأحكام ما إذا أخذ العبد بها، فإنه يحصل على الأمن والأمان، والسكينة والإطمئنان سواء ما يكون من أنسه بالله عز وجل الناشيء عن محبته سبحانه، وتوحيده، والتوكل عليه، والتعبد له بأسمائه وصفاته الحسنى، وإيمانه بقضاء الله وقدره، ويقينه باليوم الآخر الذان يشعان في القلب الطمأنينة والأنس والسعادة. أو ما يكون في أحكامه عز وجل وتشريعاته التي تكفل فيها المحافظة والرعاية لمقاصد هذا الدين والأمن عليها في هذه الدنيا ألا وهي حفظه الضروريات الخمس وحمايتها من التلف أو الضيق والحرج.

أولاً: حصول الأمن النفسي بتوحيد الله عز وجل ومعرفته

فأما ما يتعلق بحصول الأمن النفسي، والطمأنينة الداخلية الناجمة عن توحيد الله عز وجل ومعرفته بأسمائه وصفاته ومحبته واليقين بلقائه فقد كفانا الحديث عنها الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى حيث يقول: (فقر العبد إلى أن يعبد الله سبحانه وحده لا يشرك به شيئاً ليس له نظير فيقاس به، لكن يشبه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الغذاء والشراب والنفس، فيقاس بها، لكن بينهما فروق كثيرة، فإن حقيقة العبد قلبه وروحه، ولا صلاح له إلا بإلهه الحق الذي لا إله إلا هو، فلا يطمئن إلا بذكره، ولا يسكن إلا بمعرفته وحبه، وهو كادح إليه كدحا فملاقيه، ولا بد له من لقائه، ولا صلاح له إلا بتوحيد محبته وعبادته وخوفه ورجائه، ولو حصل له من اللذات والسرور بغيره ما حصل فلا يدوم له ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع، ومن شخص إلى شخص، ويتنعم بهذا في حال وبهذا في حال، وكثيراً ما يكون ذلك الذي يتنعم به هو أعظم أسباب ألمه ومضرته.

وأما إلهه الحق فلا بد له منه في كل وقت وفي كل حال، وأينما كان فنفس الإيمان به ومحبته وعبادته وإجلاله وذكره هو غذاء الإنسان وقوته، وصلاحه وقوامه، كما عليه أهل الإيمان، ودلت عليه السنة والقرآن، وشهدت به الفطرة والجنان، لا كما يقوله من قل نصيبه من التحقيق والعرفان، وبُخس حظه من الإحسان: إن عبادته وذكره وشكره تكليف ومشقة، لمجرد الابتلاء والامتحان، أو لأجل مجرد التعويض بالثواب المتفضل كالمعاوضة بالأثمان، أو لمجرد رياضة النفس وتهذيبها ليرتفع عن درجة

البهيم من الحيوان، كما هي مقالات من بُخس حظه من معرفة الرحمن، وقل نصيبه من ذوق حقائق الإيمان، وفرح بما عنده من زبد الأفكار وزبالة الأذهان، بل عبادته ومعرفته وتوحيده وشكره قرة عين الإنسان، وأفضل لذة للروح والقلب والجنان، وأطيب نعيم ناله من كان أهلاً لهذا الشان، والله المستعان، وعليه التكلان...

وكما أنه لا نسبة لنعيم ما في الجنة إلى نعيم النظر إلى وجهه الأعلى سبحانه، فلا نسبة لنعيم الدنيا إلى نعيم محبته ومعرفته والشوق إليه والأنس به، بل لذة النظر إليه سبحانه تابعة لمعرفتهم به ومحبتهم له، فإن اللذة تتبع الشعور والمحبة، فكلما كان المُحب أعرف بالمحبوب، وأشد محبة له، كان التذاذه بقربه ورؤيته ووصوله إليه أعظم)[1].

ويقول في موطن آخر: (فإنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها، فهو إلهها ومعبودها، ووليها ومولاها، وربها ومدبرها ورازقها، ومميتها ومحييها، فمحبته نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وسرور النفوس، وقوت القلوب، ونور العقول، وقرة العيون، وعمارة الباطن.

فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية أحلى، ولا ألذ، ولا أطيب، ولا أسر، ولا أنعم من محبته والأنس به، والشوق إلى لقائه. والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة،

(١) اغاثة اللهفان ١/ ٤١-٤٢ (باختصار).

كما أخبر بعض الواجدين عن حاله بقوله: «إنه ليمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب».

وقال آخر: «إنه ليمر بالقلب أوقات يهتز فيها طربا بأنسه بالله وحبه له».

وقال آخر: «مساكين أهل الغفلة، خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها».

وقال آخر: «لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف».

ووجدان هذه الأمور وذوقها هو بحسب قوة المحبة وضعفها، وبحسب إدراك جمال المحبوب والقرب منه. وكلما كانت المحبة أكمل، وإدراك المحبوب أتم والقرب منه أوفر، كانت الحلاوة واللذة والسرور والنعيم أقوى.

فمن كان بالله سبحانه وأسمائه وصفاته أعرف، وفيه أرغب، وله أحب، وإليه أقرب؛ وجد من هذه الحلاوة في قلبه ما لا يمكن التعبير عنه. ولا يعرف إلا بالذوق والوجد، ومتى ذاق القلب ذلك لم يمكنه أن يقدم عليه حبا لغيره، ولا أنسا به، وكلما ازداد له حباً ازداد له عبودية وذلاً، وخضوعاً ورقاً له، وحرية عن رق غيره.

فالقلب لا يفلح ولا يصلح ولا يتنعم ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يسكن، إلا بعبادة ربه وحبه، والإنابة إليه. ولو حصل له جميع ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن إليها، ولم يسكن إليها، بل لا تزيده إلا فاقة وقلقاً، حتى يظفر بما خلق له، وهيء له: من كون الله وحده نهاية مراده، وغاية

مطالبه. فإن فيه فقراً ذاتياً إلى ربه وإلهه، من حيث هو معبوده ومحبوبه وإلهه ومطلوبه، كما أن فيه فقراً ذاتياً إليه من حيث هو ربه وخالقه ورازقه ومدبره. وكلما تمكنت محبة الله من القلب وقويت فيه أخرجت منه تألهه لما سواه وعبوديته له:

فأصبح حُرًا عزَّةً وصيانة على وجهه أنوارُهُ وضياؤُه

وما من مؤمن إلاَّ وفي قلبه محبة لله تعالى، وطمأنينة بذكره، وتنعم بمعرفته، ولذة وسرور بذكره، وشوق إلى لقائه، وأنس بقربه، وإن لم يحس به، لاشتغال قلبه بغيره، وانصرافه إلى ما هو مشغول به، فوجود الشيء غير الإحساس والشعور به.

وقوة ذلك وضعفه وزيادته ونقصانه: هو بحسب قوة الإيمان وضعفه وزيادته ونقصانه.

ومتى لم يكن الله وحده غاية مراد العبد ونهاية مقصوده، وهو المحبوب المراد له بالذات والقصد الأول، وكل ما سواه فإنما يحبه ويريده ويطلبه تبعاً لأجله، لم يكن قد حقق شهادة أن لا إله إلا الله، وكان فيه من النقص والعيب والشرك بقدره، وله من موجبات ذلك من الألم والحسرة والعذاب بحسب ما فاته من ذلك.

ولو سعى في هذا المطلوب بكل طريق، واستفتح من كل باب، ولم يكن مستعيناً بالله، متوكلاً عليه، مفتقراً إليه في حصوله، متيقناً أنه إنما يحصل بتوفيقه ومشيئته، وإعانته، لا طريق له سوى ذلك بوجه من الوجوه لم

يحصل له مطلوبه، فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن)[1].

ويقول أيضاً: (ففي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته.

وفيه حُزنٌ، لا يذهبه إلا السرورُ بمعرفته، وصدق معاملته.

وفيه قلقٌ، لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه.

وفيه نيرانُ حسراتٍ، لا يطفئُها إلا الرِّضى بأمره ونهيه، وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك، إلى وقت لقائه.

وفيه طلبٌ شديدٌ، لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبهُ.

وفيه فاقةٌ، لا يسدها إلا محبته، والإنابةُ إليه، ودوام ذكره، وصدقُ الإخلاص له. ولو أُعطي الدنيا وما فيها لم تُسَدَّ تلك الفاقة منه أبداً[2].

ويوضح رحمه الله تعالى طريق الوصول إلى هذه الحياة السعيدة فيقول:

(فإن قلت: قد أشرت إلى حياة غير معهودة بين أموات الأحياء، فهل يمكنك وصف طريقها، لأصل إلى شيء من أذواقها، فقد بان لي أن ما نحن فيه من الحياة حياة بهيمية، ربما زادت علينا فيها البهائم بخلوها عن المنكدات والمنغصات وسلامة العاقبة؟

قلت: لعمر الله! إن اشتياقك إلى هذه الحياة، وطلب علمها ومعرفتها لدليل على حياتك، وأنك لست من جملة الأموات.

---

(١) اغاثة اللهفان ٢/ ٥٤٤-٥٤٥.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ١٦٤.

فأول طريقها أن تعرف الله، وتهتدي إليه طريقاً يوصلك إليه، ويحرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة، فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة، فينجذب إليها بكليته، ويزهد في التعلقات الفانية، ويدأب في تصحيح التوبة، والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة، وترك المنهيّات الظاهرة والباطنة، ثم يقوم حارساً على قلبه، فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله، ولا بخطرة فضول لا تنفعه، فيصفو بذلك قلبه عن حديث النفس ووسواسها، فيُفدى من أسرها، ويصير طليقاً، فحينئذ يخلو قلبه بذكر ربه ومحبته والإنابة إليه، ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه إلى فضاء الخلوة بربه وذكره كما قيل.

وَأَخْرُجُ مِنْ بَينِ البُيوتِ، لَعَلَّنِي ... أُحدث عَنْك النّفس في السرِّ خَالياً

فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على إرادة ربه، وطلبه والشوق إليه.

فإذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول ﷺ، واستولت روحانيته على قلبه، فجعله إمامه ومعلمه، وأستاذه وشيخه وقدوته، كما جعل الله نبيه ورسوله هادياً إليه، فيطالع سيرته ومبادئ أمره، وكيفية نزول الوحي عليه، ويعرف صفاته وأخلاقه، وآدابه في حركاته وسكونه، ويقظته ومنامه، وعبادته، ومعاشرته لأهله وأصحابه، حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه.

فإذا رسخ قلبه في ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه، بحيث لو قرأ السورة شاهد قلبُه ما أنزلت فيه، وما أريد بها، وحظه المختص به

منها، من الصفات والأخلاق، والأفعال المذمومة، فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من المرض المخوف، وشاهد حظه من الصفات والأفعال الممدوحة، فيجتهد في تكميلها وإتمامها.

فإذا تمكن من ذلك انفتح في قلبه عين أخرى، يشاهد بها صفات الرب جل جلاله، حتى تصير لقلبه بمنزلة المرئي لعينه، فيشهد علو الرب سبحانه فوق خلقه، واستواءه على عرشه، ونزول الأمر من عنده بتدبير مملكته، وتكليمه بالوحي، وتكليمه لعبده جبريل به، وإرساله إلى من يشاء بما يشاء، وصعود الأمور إليه، وعرضها عليه.

فيشاهد قلبه رباً قاهراً فوق عباده، آمراً ناهياً باعثاً لرسله، منزلاً لكتبه، معبوداً مطاعاً، لا شريك له ولا مثيل، ولا عدل له، ليس لأحد معه من الأمر شيء، بل الأمر كله له، فيشهد ربه سبحانه قائماً بالملك والتدبير، فلا حركة ولا سكون، ولا نفع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع، ولا قبض ولا بسط إلا بقدرته وتدبيره، فيشهد قيام الكون كله به، وقيامه سبحانه بنفسه، فهو القائم بنفسه، المقيم لكل ما سواه.

فإذا رسخ قلبه في ذلك شهد الصفة المصححة لجميع صفات الكمال، وهي «الحياة» التي كمالها يستلزم كمال السمع والبصر والقدرة والإرادة والكلام، وسائر صفات الكمال، وصفة «القيومة» الصحيحة المصححة لجميع الأفعال، فالحي القيوم: من له كل صفة كمال، وهو الفعال لما يريد.

فإذا رسخ قلبه في ذلك فُتح له مشهد «القرب» و «المعية» فيشهده سبحانه معه، غير غائب عنه، قريباً غير بعيد، مع كونه فوق سماواته على

عرشه، بائناً من خلقه، قائماً بالصنع والتدبير، والخلق والأمر، فيحصل له- مع التعظيم والإجلال- الأنس بهذه الصفة، فيأنس به بعد أن كان مستوحشاً، ويقوى به بعد أن كان ضعيفاً، ويفرح به بعد أن كان حزيناً. ويجد بعد أن كان فاقداً، فحينئذ يجد طعم قوله: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

فأطيب الحياة على الإطلاق حياة هذا العبد، فإنه محب محبوب، متقرب إلى ربه، وربه قريب منه، قد صار له حبيبه لفرط استيلائه على قلبه، ولهجه بذكره، وعكوف همته على مرضاته، بمنزلة سمعه وبصره ويده ورجله، وهذه آلات إدراكه وعمله وسعيه، فإن سمع سمع بحبيبه، وإن أبصر أبصر به، وإن بطش بطش به، وإن مشى مشى به)[1].

ويصف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى شعوره بالأمن النفسي والسعادة التي يعيشها وذلك في رسالة إلى أصحابه يخبرهم فيها عن هذه النعمة ومنشئها فيقول:

(بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ والذي أُعرِّف به الجماعة أحسن الله إليهم في الدنيا وفي الآخرة، وأتم عليهم نعمته الظاهرة والباطنة؛ فإني -والله العظيم الذي لا إله إلا هو- في نعم من الله ما رأيت

(١) مدارج السالكين ٣/ ٢٦٧-٢٦٨.

مثلها في عمري كله، وقد فتح الله سبحانه وتعالى من أبواب فضله ونعمته وخزائن جوده ورحمته مالم يكن بالبال؛ ولا يدور في الخيال ما يصل الطرف إليها، يسرها الله تعالى حتى صارت مقاعد، وهذا يعرف بعضها بالذوق من له نصيب من معرفة الله وتوحيده وحقائق الإيمان...

فإن اللذة والفرحة والسرور، وطيب الوقت، والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه إنما هو في معرفة الله سبحانه وتعالى، وتوحيده والإيمان به، وانفتاح الحقائق الإيمانية والمعارف القرآنية، كما قال بعض الشيوخ: لقد كنت في حال أقول فيها: إن كان أهل الجنة في هذه الحال إنهم لفي عيش طيب. وقال آخر: لتمر على القلب أوقات يرقص فيها طرباً، وليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الآخرة إلا نعيم الإيمان والمعرفة...

وليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه، ولا تمكن محبته إلا بالاعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله، وهي ملة إبراهيم الخليل – عليه السلام- وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين...

والعبد إذا أنعم الله عليه بالتوحيد فشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه- والإله هو المعبود، الذي يستحق غاية الحب والعبودية بالإجلال والاكرام، والخوف والرجاء، يفنى القلب بحب الله تعالى عن حب ما سواه، ودعائه والتوكل عليه وسؤاله عما سواه. وبطاعته عن طاعة ما سواه- حلاه الله بالأمن والسرور، والحبور، والرحمة للخلق، والجهاد في سبيل الله؛ فهو

يجاهد ويرحم. له الصبر والرحمة، قال الله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ وكلما قوي التوحيد في قلب العبد قوي إيمانه وطمأنينته، وتوكله، ويقينه)[١].

ويتحدث سيد قطب رحمه الله تعالى عن الأمن النفسي عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة:٢٠٨] فيقول: (والمسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخل في عالم كله سلم وكله سلام. عالم كله ثقة واطمئنان، وكله رضى واستقرار. لا حيرة ولا قلق، ولا شرود ولا ضلال. سلام مع النفس والضمير. سلام مع العقل والمنطق. سلام مع الناس والأحياء. سلام مع الوجود كله ومع كل موجود. سلام يرف في حنايا السريرة. وسلام يظلل الحياة والمجتمع. سلام في الأرض وسلام في السماء.

وأول ما يفيض هذا السلام على القلب يفيض من صحة تصوره لله ربه، ونصاعة هذا التصور وبساطته.. إنه إله واحد. يتجه إليه المسلم وجهة واحدة يستقر عليها قلبه؛ فلا تتفرق به السبل، ولا تتعدد به القبل؛ ولا يطارده إله من هنا وإله من هناك- كما كان في الوثنية والجاهلية- إنما هو إله واحد يتجه إليه في ثقة وفي طمأنينة وفي نصاعة وفي وضوح.

وهو إله قوي قادر عزيز قاهر.. فإذا اتجه إليه المسلم فقد اتجه إلى القوة الحقة الوحيدة في هذا الوجود. وقد أمن كل قوة زائفة واطمأن واستراح.

---

(١) مجموع الفتاوى، ٨/ ٣٠-٣٥ (باختصار).

ولم يعد يخاف أحداً أو يخاف شيئاً، وهو يعبد الله القوي القادر العزيز القاهر. ولم يعد يخشى فوت شيء، ولا يطمع في غير من يقدر على الحرمان والعطاء.

وهو إله عادل حكيم، فقوته وقدرته ضمان من الظلم، وضمان من الهوى، وضمان من البخس، وليس كآلهة الوثنية والجاهلية ذوات النزوات والشهوات. ومن ثم يأوي المسلم من إلهه إلى ركن شديد، ينال فيه العدل والرعاية والأمان.

وهو رب رحيم ودود. منعم وهاب. غافر الذنب وقابل التوب، يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء. فالمسلم في كنفه آمن آنس، سالم غانم، مرحوم إذا ضعف، مغفور له متى تاب.

وهكذا يمضي المسلم مع صفات ربه التي يعرفه بها الإسلام؛ فيجد في كل صفة ما يؤنس قلبه، وما يطمئن روحه، وما يضمن معه الحياة والوقاية والعطف والرحمة والعزة والمنعة والاستقرار والسلام..

والاعتقاد بالآخرة يؤدي دوره الأساسي في إفاضة السلام على روح المؤمن وعالمه، ونفي القلق والسخط والقنوط.. إن الحساب الختامي ليس في هذه الأرض؛ والجزاء الأوفى ليس في هذه العاجلة.. إن الحساب الختامي هناك؛ والعدالة المطلقة مضمونة في هذا الحساب. فلا ندم على الخير والجهاد في سبيله إذا لم يتحقق في الأرض أو لم يلق جزاءه. ولا قلق على الأجر إذا لم يوف في هذه العاجلة بمقاييس الناس، فسوف يوفاه بميزان

الله، ولا قنوط من العدل إذا توزعت الحظوظ في الرحلة القصيرة على غير ما يريد، فالعدل لابد واقع. وما الله يريد ظلماً للعباد.

والاعتقاد بالآخرة حاجز كذلك دون الصراع المجنون المحموم الذي تداس فيه القيم وتداس فيه الحرمات. لا تحرج ولا حياء. فهناك الآخرة فيها عطاء، وفيها غناء، وفيها عوض عما يفوت. وهذا التصور من شأنه أن يفيض السلام على مجال السباق والمنافسة؛ وأن يخلع التجمل على حركات المتسابقين؛ وأن يخفف السعار الذي ينطلق من الشعور بأن الفرصة الوحيدة المتاحة هي فرصة هذا العمر القصير المحدود!...

وشعور المؤمن بأنه يمضي مع قدر الله، في طاعة الله، لتحقيق إرادة الله.. وما يسكبه هذا الشعور في روحه من الطمأنينة والسلام والاستقرار؛ والمضي في الطريق بلا حيرة ولا قلق ولا سخط على العقبات والمشاق؛ وبلا قنوط من عون الله ومدده؛ وبلا خوف من ضلال القصد أو ضياع الجزاء.. ومن ثم يحس بالسلام في روحه حتى وهو يقاتل أعداء الله وأعداءه. فهو إنما يقاتل لله، وفي سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله؛ ولا يقاتل لجاه أو مغنم أو نزوة أو عرض ما من أعراض هذه الحياة.

كذلك شعوره بأنه يمضي على سنة الله مع هذا الكون كله. قانونه قانونه، ووجهته وجهته، فلا صدام ولا خصام، ولا تبديد للجهد ولا بعثرة للطاقة، وقوى الكون كله تتجمع إلى قوته، وتهتدي بالنور الذي يهتدي به،

وتتجه إلى الله وهو معها يتجه إلى الله)[1].

ويقول أيضاً في موطن آخر (ويسكب الإسلام في النفس السكينة والأمن والسلام، بالركون إلى الله والاطمئنان إلى جواره، والثقة في رحمته ورعايته وحمايته، ويتميز الإسلام بأن العلاقة فيه مباشرة بين الرب والعبد، لا يدخل فيها كاهن ولا قسيس، ولا تتعلق بإرادة مخلوق في الأرض ولا في السماء.

وفي ظل هذه الصلة المباشرة يحس الفرد أنه يرتكن إلى القوة التي ليس فوقها قوة، والتي لا تعدلها قوة. وهي أبداً حاضرة، وفي متناوله أن يركن إليها، ويستعينها، متى أخلص نفسه لها فلم يشرك بها في شعوره قوة، ولم يحسب لغيرها في ضميره حساباً: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠] ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وفي ظل هذه القوة تتضاءل قوى الأرض جميعاً، وتتساقط أغشية العظمة الكاذبة، والجبروت الزائف، ويبدو الأقوياء والأغنياء وأصحاب الجاه والنفوذ والسلطان جميعاً، أقزاماً ضعافاً ضئالاً لا يملكون لإنسان نفعاً ولا ضراً: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ﴾ [التوبة:٥١].

فكل قوى الأرض لا تقدر على ذبابة: ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا

(١) في ظلال القرآن ١/ ٢٠٧، ٢٠٨.

يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣].

وفي ظل هذه القوة يأمن الفرد على رزقه ومكانته، أمنه على حياته وسلامته، فما من قوة وما من أحد يملك أن يضاره في رزق ولا في مركز ولا في شيء من أمور الدنيا وأمور الآخرة، وإنه لقوي قوي، وكفء لكل قوة تتصدى له، لأنه يستمد من تلك القوة الكبرى التي لا ينضب لها معين، والتي تصرف الكون كله، وتصرف الجبابرة والسلاطين: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

فإذا تكاتفت قوى الأرض جميعاً لتبغي به الأذى، فما هي بقادرة إلا أن يشاء الله. فإذا شاء الله أن يناله الأذى، فهنالك حكمة سامية لله، وهناك خير أعلى من خير الفرد المحدود، بل هنالك خير لهذا الفرد قد لا يعلمه اللحظة، ولكن الخالق الأعظم المحيط بالكائنات يعلمه: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

وما على الفرد إلا أن يسلم نفسه لله، وإلا أن يجعل رضا الله غايته وإلا أن يجاهد لتكون كلمة الله العليا..

وبذلك كله تطمئن النفس وتسكن وتثق، فلا تهزها الأحداث، ولا تذهب بها الأهوال. ولا تفزع من شيء ولا تخاف: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ

قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨][(١)].

ويصف الخواء الروحي والقلق النفسي الذي يعيشه أفراد المجتمعات الكافرة بالله عز وجل فيقول: (إن العالم الذي نعيش فيه اليوم- في أنحاء الأرض- هو عالم القلق والاضطراب والخوف؛ والأمراض العصبية والنفسية – باعتراف عقلاء أهله ومفكريه وعلمائه ودارسيه، وبمشاهدات المراقبين والزائرين العابرين لأقطار الحضارة الغربية.. وذلك على الرغم من كل ما بلغته الحضارة المادية، والإنتاج الصناعي في مجموعه من الضخامة في هذه الأقطار . وعلى الرغم من كل مظاهر الرخاء المادي التي تأخذ بالأبصار.. ثم هو عالم الحروب الشاملة والتهديد الدائم بالحروب المبيدة، وحرب الأعصاب، والاضطرابات التي لا تنقطع هنا وهناك!

إنها الشقوة البائسة المنكودة، التي لا تزيلها الحضارة المادية، ولا الرخاء المادي، ولا يسر الحياة المادية وخفضها ولينها في بقاع كثيرة. وما قيمة هذا كله إذا لم ينشئ في النفوس السعادة والرضى والاستقرار والطمأنينة؟

إنها حقيقة تواجه من يريد أن يرى؛ ولا يضع على عينية غشاوة من صنع نفسه كي لا يرى! حقيقة أن الناس في أكثر بلاد الأرض رخاء عاماً.. في أمريكا، وفي السويد ، وفي غيرهما من الأقطار التي تفيض رخاء مادياً.. إن الناس ليسوا سعداء.. إنهم قلقون يطل القلق من عيونهم وهم أغنياء! وأن الملل يأكل حياتهم وهم مستغرقون في الإنتاج! وأنهم يغرقون هذا الملل

---

(١) السلام العالمي والإسلام ص٥٩-٦١ (باختصار).

في العربدة والصخب تارة. وفي «التقاليع» الغربية الشاذة تارة. وفي الشذوذ الجنسي والنفسي تارة ثم يحسون بالحاجة إلى الهرب. الهرب من أنفسهم. ومن الخواء الذي يعشش فيها! ومن الشقاء الذي ليس له سبب ظاهر من مرافق الحياة وجريانها . فيهربون بالانتحار.

لماذا؟

السبب الرئيسي طبعاً هو خواء هذه الأرواح البشرية الهائمة المعذبة الضالة المنكودة- على كل ما لديها من الرخاء المادي- من زاد الروح.. من الاطمئنان إلى الله... وخواؤها من الأهداف الإنسانية الكبيرة التي ينشئها ويرسمها الإيمان بالله، وخلافة الأرض وفق عهده وشرطه)[1].

مسألة مهمة: إن الأمن الذي يشعر به المؤمن في طاعة الله عز وجل، ويجده في محبة الله تعالى والأنس به، واليقين بلقائه لا يعني أنه لا يتعرض للخوف والفزع في الدنيا بل إن من سنة الله عز وجل في عباده المؤمنين أن يبتليهم ويمحصهم بصنوف من البلاء. ومن أنواع البلاء: المخاوف والهموم والأذى الذي يتعرضون له من أعداء الله عز وجل لكنهم بما عندهم من الإيمان، والتوكل على الله تعالى، والثقة في كفايته، ورجاء الأجر عنده يوم القيامة كل ذلك من شأنه أن يخفف عليهم المخاوف ويسكب في نفوسهم الأمن والطمأنينة والسكينة والثبات. والأمثلة على ذلك كثيرة وكثيرة.

- فهؤلاء أنبياء الله تعالى وصفوته من خلقه لم يتعرض أحد من البشر إلى

(١) في ظلال القرآن ١/ ٣٢٦.

الأذى والمخاوف مثل ما تعرضوا له، ولكنهم واجهوا ذلك كله بالطمأنينة، والاستعانة بالله تعالى وتفويض الأمور إليه.

- فهذا إمام الحنفاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام تعرض للمخاوف وصنوف الابتلاءات فثبته الله تعالى وأبدله الله تعالى بالأمن والأمان. قال الله تعالى عن محاولة قومه إحراقه: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء:٦٨،٦٩] وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل. قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا «إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)[1].
- وهذا موسى عليه الصلاة والسلام حينما ألقته أمه رضيعاً في التابوت ثم في البحر وخافت أمه عليه قال الله عز وجل: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٧] ولما هدد فرعون موسى بالقتل قال تعالى عنه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [غافر:٢٧] وقال تعالى عن حالة الأمان التي تمكنت من قلب موسى عندما أدركه فرعون وقومه عند البحر: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٠-٦٢].
- وهذا سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ لما أدركه الطلب من قريش

(١) البخاري (٤٥٦٣).

وهو مختفي في غار ثور وذلك في حادث الهجرة قال الله عز وجل عنه: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[التوبة:٤٠].

- وهؤلاء أصحاب محمد ﷺ لما حصل لهم ما حصل يوم أحد من الخوف والفزع، ثم جاءهم الخبر بعد انتهاء المعركة أن قريشاً تريد الرجوع لاستئصالهم قال الله عز وجل في وصف حالة الأمن التي واجهوا بها هذه المخاوف: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] بل إن الله عز وجل قد أنزل على طائفة منهم النعاس في جو المعركة قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ... الآية﴾[آل عمران: ١٥٤].

وقد يزين الشيطان لبعض الناس، ويصدهم عن الهدى بتخويفهم أن يتخطفهم الناس، ويتعرضوا للخوف والأذى إن هم آمنوا واستقاموا وذلك عندما يرون المؤمنين وهم يؤذون ويبتلون ويمتحنون. ولكن هذا من تزيين الشيطان. وقد ذكر الله عز وجل هذا الموقف من كفار قريش وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾[القصص:٥٧].

«فهؤلاء لا ينكرون أنه الهدى، ولكنهم يخافون أن يتخطفهم الناس. وهم ينسون الله، وينسون أنه وحده الحافظ، وأنه وحده الحامي؛ وأن قوى الأرض كلها لا تملك أن تتخطفهم وهم في حمى الله؛ وأن قوى الأرض

كلها لا تملك أن تنصرهم إذا خذلهم الله. ذلك أن الإيمان لم يخالط قلوبهم، ولو خالطها لتبدلت نظرتهم للقوى، ولاختلف تقديرهم للأمور، ولعلموا أن الأمن لا يكون إلا في جوار الله، وأن الخوف لا يكون إلا في البعد عن هداه. وأن هذا الهدى موصول بالقوة موصول بالعزة؛ وأن هذا ليس وهماً وليس قولاً يقال لطمأنة القلوب، إنما هو حقيقة عميقة منشؤها أن اتباع هدى الله معناه الاصطلاح مع ناموس الكون وقواه، والاستعانة بها وتسخيرها في الحياة. فالله خالق هذا الكون ومدبره وفق الناموس الذي ارتضاه له. والذي يتبع هدى الله يستمد مما في هذا الكون من قوى غير محدودة، ويأوى إلى ركن شديد، في واقع الحياة...

إنها النظرة السطحية القريبة، والتصور الأرضي المحدود، هو الذي أوحى لقريش وهو الذي يوحي للناس أن اتباع هدى الله يعرضهم للمخافة، ويغري بهم الأعداء، ويفقدهم العون والنصير، ويعود عليهم بالفقر والبوار. وإن الكثيرين ليشفقون من اتباع شريعة الله والسير على هداه. يشفقون من عداوة أعداء الله ومكرهم، ويشفقون من تألب الخصوم عليهم، ويشفقون من المضايقات الاقتصادية وغير الاقتصادية! وإن هي إلا أوهام كأوهام قريش يوم قالت لرسول الله ﷺ : «إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا» فلما اتبعت هدى الله سيطرت على مشارق الأرض ومغاربها في ربع قرن أو أقل من الزمان.

وقد رد الله عليهم في وقتها بما يكذب هذا العذر الموهوم. فمن الذي وهبم الأمن؟ ومن الذي جعل لهم البيت الحرام؟ ومن الذي جعل القلوب

تهوى إليهم تحمل من ثمرات الأرض جميعاً؟ تتجمع في الحرم من كل أرض وقد تفرقت في مواطنها ومواسمها الكثيرة:

﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص:٥٧].

فما بالهم يخافون أن يتخطفهم الناس لو اتبعوا هدى الله، والله هو الذي مكن لهم هذا الحرم الآمن منذ أيام أبيهم إبراهيم؟ أفمن أمنهم وهم عصاة، يدع الناس يتخطفونهم وهم تقاة؟!

«ولكن أكثرهم لا يعلمون»

لا يعلمون أين يكون الأمن وأين تكون المخافة. ولا يعلمون أن مرد الأمر كله لله)[1].

ونزول الخوف وتكدير أمن المؤمنين هو من لوازم الابتلاء والتمحيص وهو سنة ربانية على طريق التمكين لأولياء الله عز وجل . قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٥] وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤] والناس يتساوون في الرخاء ويتباينون في الشدة وهذا من حكمة الابتلاء بالمخاوف ونهايته أمن الصف المسلم من الدخلاء وزيادة الإيمان والتسليم

(١) انظر في ظلال القرآن (باختصار) ٥/ ٢٧٠٣، ٢٧٠٤.

للمؤمن قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

ثانياً: حصول الأمن النفسي من التزام الأحكام الشرعية

وأما حصول الأمن والسلامة للفرد من جهة الأحكام الشرعية التي شرعها الحكيم العليم البر الرحيم فهي من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى عناء واستقصاء . بل مجرد استعراض بعض هذه الأحكام والتشريعات كاف لظهور الحكمة العظيمة، والمصالح العميمة التي ينعم بها العبد المسلم، ويستروح في ظلها ويشعر بالأمن والسلام وهو يسير في ضوئها.

وقبل أن أسوق بعض الأحكام، والآداب الشرعية التي شرعها الله عز وجل لتكفل للفرد أمنه النفسي، وتحفظ له ضرورياته الخمس وتحميها من العدوان والضيق والحرج. أنقل ما كتبه سيد قطب رحمه الله تعالى عن سلام الأفراد، وأمنهم وأنه اللبنة الأولى لسلام المجتمعات وسلام البشرية بأسرها حيث يقول:

(إن الإسلام يبدأ محاولة للسلام أولاً في ضمير الفرد، ثم في محيط الأسرة، ثم في وسط الجماعة. وأخيراً يحاول في الميدان الدولي بين الأمم والشعوب.

إنه ينشد السلام في علاقة الفرد بربه، وفي علاقة الفرد بنفسه، وفي علاقة الفرد بالجماعة. ثم ينشده في علاقة الطائفة بالطوائف، وعلاقة الأفراد بالحكومات. ثم ينشده في علاقة الدولة بالدول بعد تلك الخطوات.

وإنه ليسير في تحقيق هذه الغاية الأخيرة في طريق طويل، يعبر فيه من سلام الضمير، إلى سلام البيت، إلى سلام المجتمع، إلى سلام العالم في نهاية المطاف.

لا سلام لعالم ضمير الفرد فيه لا يستمتع بالسلام.. تلك هي فطرة الإسلام.. فإذا شاء أن يقيم السلام العالمي على أساس ركين، فهو يبدؤه هنالك في قرارة الضمير..

وللفرد في النظام الإسلامي قيمة أساسية، فهو اللبنة الأولى في بناء الجماعة، وفي ضميره تنبت الذرة الأولى للعقيدة، وفي سلوكه تستحيل العقيدة المكنونة حقيقة ظاهرة، بل يستحيل هو ذاته ترجمة حية لهذه العقيدة.

وفي ضمير الفرد يغرس الإسلام بذرة السلام. السلام الإيجابي الذي يرفع الحياة ويرقيها، لا السلام السلبي الذي يرضى بكل شيء، ويدع المبادئ العليا تداس في سبيل العافية والسلامة. السلام النابع من التناسق والتوافق، المؤلف من الطلاقة والنظام! الناشيء من إطلاق القوى والطاقات الصالحة البانية، ومن تهذيب النزوات والنزعات، لا من الكبت والتنويم والخمود. السلام الذي يعترف للفرد بوجوده وبنوازعه وبأشواقه، ويعترف في الوقت ذاته بالجماعة ومصالحها وأهدافها، وبالإنسانية وحاجاتها وأشواقها، وبالدين والخلق والمثل.. كلها في توافق واتساق)[1].

وأسوق فيما يلي بعض الأحكام الشرعية التي أنزلها الله عز وجل في

(١) السلام العالمي والإسلام ص٣٧،٣٨.

كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ والتي من شأنها أن يأمن الفرد في ظلالها على دينه وعلى نفسه وعقله وماله وعرضه.

أولاً: ما ورد من الأحكام الشرعية بقصد الأمن على الدين ودرء الفساد الواقع أو المتوقع عليه:

أ- النهي عن الجلوس مع الخائضين في دين الله تعالى المثيرين للشبهات والشهوات. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

ومن ذلك تحذيره ﷺ من جليس السوء الذي يجر جليسه إلى الضلال والانحراف في الاعتقاد والسلوك. قال ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير. فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»[1]. وجليس السوء قد يكون من أهل الشبهات أو أهل الشهوات.

ب- التحذير من طاعة شياطين الأنس والجن؛ لكونهم يقودون من أطاعهم إلى الكفر والمعاصي، والوقوع في سخط الله عز وجل. قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ

(١) البخاري (٥٥٣٤).

ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، ومن ذلك نهي السلف رحمهم الله تعالى عن قراءة كتب أهل البدع وأهل الشهوات لما تجر من خلل في عقيدة المسلم وسلوكه وأخلاقه.

ج- النهي عن الجدال في الدين، والمراء فيه؛ لأن ذلك يقود إلى التعصب والهوى، والتكبر على الحق؛ وبالتالي الانحراف عن الدين الصحيح. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]. ومن ذلك ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب فقال: «بهذا أمرتم أو لهذا خلقتم. تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم» قال عبد الله بن عمرو: ما غبطت نفسي بمجلس تخلفت فيه عن رسول الله ﷺ ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه»[(١)]. وعندما رأى رسول الله ﷺ نسخة من التوراة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه غضب وقال: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب. والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية... الحديث»[(٢)]. ومن ذلك نهي السلف عن مجالسة أهل البدع وقراءة كتبهم.

د- الأمر بالهجرة من مكان الشرك إلى بلد الإسلام، ومن بلد البدعة إلى

---

(١) ابن ماجه في المقدمة ، باب القدر حديث (٨٥) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٦٩).

(٢) مسند أحمد (١٤٧٣٦). وقال الساعاتي في الفتح الرباني: قال في التنقيح رجال أحمد رجال الحسن ومعنى (متهوكون): أي متحيرون.

بلد السنة؛ حتى يأمن العبد على دينه ولا يفتن، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:١٠٠]، وقال تعالى معنفاً على من تمكن من الهجرة بدينه فلم يهاجر ففتن في دينه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧].

ومن ذلك قوله ﷺ : «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»[1].

هـ- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى، لما في الجهاد والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من درء الشر والفساد عن الدين من قبل المفسدين الصادين عن سبيل الله تعالى. ولولا ذلك لفسد على الناس دينهم. قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]. وقال سبحانه: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال:٣٨].

و- الوعيد الشديد لمن يضل الناس ويصد عن سبيل الله تعالى. قال الله عز وجل: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ

(١) البخاري في الإيمان، باب من الدين الفرار من الفتنة ، الحديث رقم (١٩).

يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل:٢٥]. وقال ﷺ «من سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا تنقص من أوزارهم شيء»(١).

ز- تحريم الوسائل المفضية إلى الشرك كتحريم الصور، والتبرك بالقبور وتشييدها، وبناء القبب عليها، أو التبرك بالصالحين وآثارهم، والغلو فيهم، وغير ذلك من الوسائل الشركية. ومن هذا الباب : النهي عن سب آلهة المشركين حتى لا يسبوا الله عز وجل، أو يسبوا دين الإسلام. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام :١٠٨].

ح- تحريم القول على الله تعالى بلا علم، لما في ذلك من نشر للشرك والبدع. ومن هذا الباب التحذير من الفتوى بلا علم أو الفتوى بهوى.

ط- التحذير الشديد والمتكرر في الكتاب والسنة من الركون إلى الدنيا، والغفلة عن الآخرة لأن ذلك يؤدي إلى الغفلة، ورقة الدين، وترك الاستعداد للرحيل، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

ي- الحث على طلب العلم، والتفقه في الدين، والتحذير من الجهل، والتقليد الأعمى، والهوى والكبر التي هي أصل الانحراف عن الدين

(١) مسلم (١٠١٧).

والزيغ عن الحق وأهله . قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الحج:٣،٤].

ثانياً: ما ورد من الأحكام الشرعية للحفاظ على النفوس وأمنها ودرء الفساد الواقع والمتوقع عليها:

أ- يؤمن الإسلام الفرد من كل اعتداء. اعتداء فرد مثله أو اعتداء حاكم عليه إلا بحق. قال ﷺ «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة»(١). وقال يوم النحر في خطبة الوداع: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا... الحديث»(٢).

ب- وشرع الله عز وجل القصاص في قتل العمد، حفاظاً على الأنفس، وحياة لها وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٨،١٧٩]. وتوعد الله عز وجل قاتل العمد بالعذاب العظيم يوم القيامة قال سبحانه: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ

(١) البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) واللفظ للبخاري.
(٢) البخاري (١٧٣٩).

مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣] ، وقال رسول الله ﷺ :«لا يزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دماً حراماً»[1].. كما شرع الكفارة في قتل الخطأ وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ .... الآية ﴾ [النساء: ٩٢].

ج- كما حرم الله عز وجل الاعتداء على النفس فيما دون القتل كالضرب أو إتلاف عضو من أعضاء الجسد وشرع في ذلك القصاص وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥].

د- الأمر بالأكل والشرب من غير إسراف، قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ... الآية ﴾ [الأعراف:٣١،٣٢] وذلك للحفاظ على بقاء الحياة، وقوة الجسم، وصحته. ومن ذلك إباحة أكل الميتة والمحرمات عند انعدام الأكل الحلال من باب الضرورة للحفاظ على النفس من التلف، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ

(١) البخاري (٦٨٦٢).

أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

هـ- النهي عن الإشارة بالسلاح إلى المعصوم خشية إيذائه بجرح، أو إتلاف عضو، أو قتل عن طريق الخطأ والمزاح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»(١).

و- الوعيد الشديد على من يضرب أبشار الناس، ويعذبهم بجلد أو غيره بغير حق. قال ﷺ :«صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة؛ لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»(٢).

وقال ﷺ : «من ضرب بسوط ظلماً أقتص منه يوم القيامة»(٣).

وعن هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما أنه مر بالشام على أناس من الأنباط وقد أقيموا في الشمس وصب على رؤوسهم الزيت فقال: ما هذا؟ قيل: يعذبون في الخراج ، وفي رواية: حبسوا في الجزية. فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا» فدخل على الأمير فحدثه فأمر

(١) البخاري (٧٠٧٢).

(٢) مسلم (٢١٢٨).

(٣) البخاري في الأدب المفرد (١٨٥). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٧٤).

بهم فخلوا»[١].

ز- الأمر بالتداوي للمحافظة على عافية البدن والنهي عن إيراد ممرض على مصح وبخاصة إذا جعل الله عز وجل في المرض خاصية العدوى. قال ﷺ : «إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ :«لا يوردن ممرض على مصح»[٣].

ثالثاً: ما ورد من الأحكام الشرعية في حماية العقل مما يتلفه أو يضره ويؤمنه من الشرور:

أ- تحريم كل مسكر ومخدر، ومذهب للعقل، أو مضعف له قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١]. وقد رتب الشارع حد الجلد عقوبة لشارب المسكر .

ب- التحذير من الوساوس الشيطانية، والخواطر الرديئة التي إن فُسح لها المجال فإنها تؤذي العقل وتغتاله، وتجعله نهباً للأفكار والوساوس

---

(١) مسلم (٢٦١٣).

(٢) أبو داود (٣٨٧٤) وصححه الألباني في صحيح أبو داود.

(٣) البخاري (٥٧٧١).

السيئة التي تقوده إلى الاضطراب والقلق والحيرة. كما شرع لحفظ العقل ما شرع لحفظ الجسم ووقايته من الآفات. فكما أن الطعام والشراب ضروريان لحفظ النفس فهما أيضاً ضروريان لحفظ العقل والتفكير السليم.

ج- تحريم كل ما من شأنه أن يتلف العقل، أو يضعفه، أو يصير صاحبه مجنوناً أو سفيهاً، أو يجعله مصاباً بالأمراض النفسية التي تحد من نشاطه بحيث يكون سلبياً انعزالياً، أو تهيجه بحيث يكون عدوانياً متهوراً. وهذه الآفات تأتي إما من الاعتداء على الرأس، وما يحويه من المخ والأعصاب، أو تناول المخدرات والمنبهات والمفترات. أو بتراكم الهموم والمصائب والأحداث التي لا يكون لصاحبها مخرج منها ولم يجد من يواسيه، ويفرج عنه كربته، ويقضي حاجته مع القدرة على ذلك.

ولذلك جاء في شرعنا المطهر الأمر بإغاثة الملهوف، وتفريج الكرب عن المكروبين، وتسلية المصابين، والتيسير على المعسرين، والانطلاق في حاجة المحتاجين، وهذه بدورها تخفف على أهل المصائب والكربات كرباتهم، وتضعف من تأثيرها الضاغط على العقل والتفكير، قال ﷺ :« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله

يوم القيامة»[١].

د- النهي عن مجالسة أهل الأهواء والشبهات، أو القراءة في كتبهم لما في ذلك من تلويث للعقل السليم، وسبباً من أسباب انحرافه واضطرابه، واختلال موازينه وتفكيره.

رابعاً: ما ورد من الأحكام الشرعية في المحافظة على عرض المسلم ونسله وحمايتها من الاعتداء.

أ- تحريم التجسس على المسلم، وإساءة الظن به، وتحريم الغيبة والنميمة حماية لعرض المسلم من أن ينتهك، أو يمس بسوء. ولما في ذلك من الإفساد والإحزان للمسلم. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات:١٢].

ب- تحريم السخرية والتنابز بالألقاب لما في ذلك من إحزان المسخور منه، ولما يترتب على ذلك من الشحناء والإحن والبغضاء. قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

---

(١) البخاري (٢٤٤٢).

ج- الأمر بغض البصر عن النساء الأجنبيات والرجال الأجانب حماية للعرض والنسل؛ وذلك لما يقود إلى الفتنة، والوقوع في الزنا الذي يدنس الأعراض ويخلط الأنساب والنسل. قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ... الآيات﴾ [النور:٣٠،٣١].

د- نهي النساء عن التبرج، وإظهار الزينة المحرمة للرجال الأجانب، وأمرهن بالحجاب حفاظاً على عرض المسلم والمسلمة، وصيانة لهما من الابتذال والاعتداء. وثمرة ذلك الشعور بالأمن والأمان على الأعراض والأنساب. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

ومن ذلك النهي عن الخلوة بالمرأة الأجنبية لقوله ﷺ :«لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم»[(١)].

هـ- تحريم سب المسلم، ولعنه قال الرسول ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» [(٢)]وقوله ﷺ : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[(٣)].

و- تحريم الزنا والعقوبة المغلظة لمرتكبه وذلك بالرجم حتى الموت

---

(١) البخاري (٥٢٣٣) ومسلم (١٣٤١).

(٢) البخاري (١٠) ومسلم (٤١).

(٣) البخاري (٤٨) ومسلم (٦٤).

للمحصن أو الجلد مائة جلدة للبكر مع التغريب.

ز- تحريم قذف المسلمين والمسلمات في أعراضهم، بدون بينة شرعية وفي ذلك صيانة لعرض المسلم من الابتذال وإشعار له بالأمن والأمان. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٤].

ح- تحريم أذى الجار والاعتداء عليه في نفسه أو عرضه أو ماله. قال ﷺ: «والله لا يؤمن . والله لا يؤمن. والله لا يؤمن. قيل ومن يارسول الله. قال الذي لا يأمن جاره بوائقه»[(١)] ولما سُئِل الرسول ﷺ أي الذنب أعظم قال ﷺ : «أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت: إن ذلك لعظيم، قال: قلت ثم أي قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قلت: ثم أي قال: أن تزاني بحليلة جارك»[(٢)].

خامساً: ذكر بعض ما ورد من الأحكام الشرعية التي تحفظ للمسلم ماله وتحميه مما يهدد أمنه وسلامته.

أ- تحريم الغش في البيع والشراء، وكل ما من شأنه أن يكون أكلاً للمال بالباطل ومن ذلك بيوع الغرر والجهالة والتدليس والبخس وغيرها. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ... الآية ﴾ [النساء: ٢٩] وقال ﷺ: «من غشنا فليس منا»[(٣)]. وقال

(١) البخاري (٦٠١٦).

(٢) البخاري (٧٥٣٢)، مسلم (٨٦).

(٣) مسلم (١٠١)، (١٠٢).

أيضاً: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض... الحديث»[١].

ب- حماية أموال الناس من السرقة وذلك بترتيب حد السرقة وهو قطع اليد كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء:٣٨].

ح- الأمر بكتابة الدين حسماً للاختلاف والشقاق وحفظاً لمال المسلم من الضياع، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ... الآية﴾ [البقرة: ٢٨٢].

د- تحريم الربا حماية للفقراء والمحتاجين من تسلط الأغنياء عليهم وحفظاً للأموال من أن تؤكل بالباطل قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٨٠].

هـ- الإذن لمن اعتدي على ماله بالدفاع عن ماله. ولو قتل بسبب ذلك فهو شهيد قال ﷺ: «من قتل دون ماله فهو شهيد»[٢].

و- تحريم الرشوة والغلول، والأكل من المال العام بغير حق، فعن عبد

---

(١) مسلم (٢٥٦٤).

(٢) البخاري (٢٤٨٠).

الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي»[١] وقال تعالى في الغال: ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ... الآية﴾ [آل عمران: ١٦١] وقال ﷺ : «إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة»[٢].

ز- تحريم الاعتداء على مال المسلم بالغصب، أو التحايل، أو تغيير منار الأرض، أو أخذ المكوس والضرائب بغير حق، أو إنكار الدين والأمانة وعدم ردها إلى أهلها. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ... الآية ﴾ [النساء:٥٨] وقد مر قوله ﷺ في حجة الوداع : «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام... الحديث»[٣] وقال أيضاً: «من ظلم شبرا من الأرض طوقه من سبع أرضين»[٤]، ومن أكل المال بالباطل التحايل بأكله بالقمار والميسر والخداع.

ح- تحريم شهادة الزور على مسلم لأكل ماله، وضياع حقه قال ﷺ : «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة، قال رجل : وإن كان شيئاً يسيرا يارسول الله؟ فقال:

---

(١) الترمذي (١٣٣٧) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٠٧٤).

(٢) البخاري (٣١١٨).

(٣) البخاري (١٧٣٩).

(٤) البخاري (١٦١٢).

«وإن قضيباً من أراك»[١].

ط- تحريم الخيانة والغدر في العقود والعهود، والكذب فيها؛ لأن ذلك من خصال المنافقين؛ وفيها ضياع حق المسلم وذهاب ماله قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ..... الآية ﴾ [المائدة:١]، وقال ﷺ «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[٢].

هذا بعض ما ضمنه الإسلام لمن دخل فيه من الأمن النفسي، والاطمئنان القلبي الناشئين من الإيمان بالله تعالى، ومعرفته، والأنس به واليقين بلقائه. وبما فيه من الأحكام الشرعية التي تضمن الأمن للمسلم في دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله . فالحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الحجرات:١٧].

---

(١) مسلم (١٣٧).

(٢) البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

ثانياً: أمن البيت والأسرة

يتحدث سيد قطب رحمه الله تعالى عن سلام البيت والأمن الأسري فيقول: (البيت مثابة وسكن؛ وفي ظله تنبت الطفولة، وتدرج الحداثة، ومن سماته تأخذ سماتها وطابعها، وفي جوه تتنفس وتتكيف.. وكم من أحداث وحوادث وقعت على مسرح المجتمع، وأثرت في سير التاريخ، تكمن بواعثها الخفية في مؤثرات بيتية.

والفرد الذي لا يستمتع في بيته بالسلام، لن يعرف للسلام قيمة، ولن يتذوق له طعماً، ولن يكون عامل سلام وفي أعصابه معركة، وفي نفسه قلق، وفي روحه اضطراب.

والإسلام يتجه إلى بذر بذور السلام في البيت، في ذات الوقت الذي يتجه فيه إلى الضمير الفردي، وإلى المجتمع الدولي.. فكلها حلقات متضامنة، وفيما بينها ترابط واتصال.

• يبدأ الإسلام أولاً بتصوير العلاقة البيتية تصويراً رفافاً شفيفاً، يشع منه التعاطف، وترف فيه الظلال؛ ويشيع فيه الندى، ويفوح منه العبير: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم:٢١]، ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة: ١٨٧] فهي صلة النفس بالنفس، وهي صلة السكن والقرار، وهي صلة المودة والرحمة، وهي صلة الستر والتجمل. وإنك لتحس في الألفاظ ذاتها حنوا ورفقاً، وتستروح من خلالها نداوة وظلاً. وإنها لتعبير كامل عن حقيقة الصلة التي

يفترضها الإسلام لذلك الرباط الإنساني الرفيق الوثيق. ذلك في الوقت الذي يلحظ فيه أغراض ذلك الرباط كلها بما فيها امتداد الحياة بالأولاد، فيمنح هذه الأغراض كلها طابع النظافة والبراءة، ويعترف بطهارتها وجديتها، وينسق بين اتجاهاتها ومقتضياتها، ذلك حين يقول: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]. فيلحظ كذلك معنى الإخصاب والإكثار.

يحيط الإسلام هذه الخلية، أو هذا المحضن، أو هذه المثابة، بكل رعايته وبكل ضماناته. وحسب طبيعة الإسلام الكلية، فإنه لا يكتفي بالإشاعاتْ الروحية، بل يتبعها التنظيمات القانونية، والضمانات التشريعية.

فأولاً: لابد في هذا الارتباط من الرضى والاستئذان، فلا تزوج المرأة بغير إذنها ورضاها: «لا تنكح الثيب حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن وإذنها الصموت»[١].

ولابد فيه من الرؤية ليكون هذا الرضى جدياً وقائماً على حقيقة، ومنبعثاً من شعور: «فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»[٢].

وثانياً: لابد فيه من علانية وإشهاد، فلا يتم في السر والخفاء كما تتم الجريمة ، ولابد من إيجاب وقبول صريحين يشهد عليهما الشهود، فلا يبقى ظل من شك أو غموض في قيام هذا الارتباط، حتى ليستحب دق الدفوف لهذه المناسبة زيادة في الإعلان!

---

(١) البخاري (٥٢٣٦) ومسلم (١٤١٩).

(٢) ابن ماجه (١٨٦٥) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٥١١).

وثالثاً: لابد فيه من نية التأبيد لا التوقيت؛ فإذا نوى أو صرح بأن يكون هذا الزواج موقوتاً بزمن لم ينعقد. لأن هذا الارتباط مقصود به السكن والاستقرار، مقصود به أن يركن إليه الزوجان في اطمئنان، وأن يبنيا في ظله الحياة وهما واثقان آمنان.

ولكي يهيء الإسلام للبيت جوه، ويهيء للفراخ الناشئة فيه رعايتها أوجب على الرجل النفقة وجعلها فريضة، كي يتاح للأم من الجهد ومن الوقت ومن هدوء البال ما تشرف به على هذه الفراخ الزغب، وما تهيء به للمثابة نظامها وعطرها وبشاشتها. فالأم المكدودة بالعمل للكسب، المرهقة بمقتضيات العمل، المقيدة بمواعيده، المشتتة الطاقة فيه.. لا يمكن أن تهب للبيت جوه وعطره، ولا يمكن أن تمنح الطفولة النابتة فيه حقها ورعايتها. وبيوت الموظفات والعاملات ما تزيد على جو الفنادق والخانات، وما يشيع فيها ذلك الأرج الذي يشيع في البيت. فحقيقة البيت لا توجد إلا أن تنشئها امرأة؛ وأرج البيت لن يفوح إلا أن تطلقه زوجة، وحنان البيت لن يشيع إلا أن تتولاه أم. والمرأة أو الزوجة أو الأم التي تقضي وقتها وجهدها وطاقتها الروحية في العمل لن تطلق في جو البيت إلا الإرهاق والكلال والملال!

إن خروج المرأة لتعمل كارثة على البيت قد تبيحها الضرورة، أما أن يتطوع بها الناس وهم قادرون على اجتنابها، فتلك هي اللعنة التي تصيب الأرواح والضمائر والعقول، في عصور الانتكاس والشرود والضلال.

وفي سبيل الاستقرار البيتي وقطعاً لدابر الفوضى والنزاع فيه، جعل الإسلام القوامة فيه للرجل، وذلك تمشياً مع سياسة التنظيم التي يحرص عليها الإسلام حرصاً شديداً، والتي جعلت الرسول ﷺ يأمر الرجال أن يؤمروا عليهم أحدهم حتى لو خرج ثلاثة في أمر فأحدهم أمير.

أيضاً. فأي الزوجين كان المنطق كفيلاً بأن يسلمه القيادة؟ المرأة المشبوبة العواطف والانفعال بحكم وظيفتها الأولى في رعاية الأطفال، وتعطير جو البيت بالجمال؟ أم الرجل الذي كلفه الإسلام الإنفاق لتخلو المرأة إلى عبئها الضخم، وتنفق فيه طاقتها ووسعها؟ لقد جعل له الإسلام القوامة، تحقيقاً لنظامه المطرد أن تكون في كل عمل قيادة وقوامة، واختاره لأنه بخلقته وتجاربه أصلح الإثنين لهذه الوظيفة.

وهكذا حين تعرض المسألة في بساطتها هذه، وفي وضوحها، ينكشف ذلك اللغط الهاذر الذي تلوكه ألسنة الفارغين، والفارغات في هذا الزمان حول هذا النظام، ويتجلى أن فراغ الحياة وفراغ القلوب وفراغ العقول، هو الذي ينشئ ذلك اللغط، ويجعله موضوع جدل ومادة حديث. وهو نظام قصد به الإسلام أن يكون حلقة من حلقات السلام في البيت، وضمانة للاستقرار فيه والنظام. ولكن في عهود الانتكاس، وفي فترات الفراغ من جديات الأمور ، لا يبقى للمجتمع ما يحفل به إلا الفتات والقشور، وإلا الهذر واللجاج!)[1].

---

(١) السلام العالمي والإسلام ص٦٧-٧١.

• وعن تحريم الاختلاط المحرم والتبرج وأثر ذلك في إشاعة الأمن والسلام في جو البيت والأسرة يقول رحمه الله تعالى:

(وفي سبيل السلام البيتي، وإشاعة الثقة واليقين فيه كان النهي عن التبرج، وكان التحرج من الاختلاط، وكان الأمر بالحشمة والتحفظ، حتى لأمهات المؤمنين في عهد الرسول ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٩]، ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣٠،٣١].

إن من حق الرجل كما أن من حق المرأة أن يطمئن كلاهما إلى رفيقه، وألا يتعرض للإغراء الذي قد تنجرف معه عواطفه عن شريكه، إن لم يقده الانحراف إلى الانزلاق والخطيئة، مما يهدد ذلك الرباط المقدس، ويطيِّر عن جوه الثقة الكاملة والاطمئنان.

هذا الانحراف في العواطف، والانزلاق إلى ما هو أبعد، واقع كل يوم وكل لحظة في المجتمعات التي ينطلق فيها الاختلاط، وتنطلق فيها المرأة

متزينة متبرجة، وتنطلق معها شياطين الفتنة والإغراء. وهذر فارغ يكذبه الواقع ما تلهج به ألسنة الببغاوات هنا، وألسنة الشاردين هناك من أن الاختلاط يهذب المشاعر، ويصرف الطاقات المكبوتة، ويعلم الجنسين آداب الحديث وآداب المعاشرة، ويزود بالتجربة التي تصون من الزلل. وأن الاختيار القائم على التجربة الكاملة- حتى عنصر الخطيئة- كفيل بأن يمسك الشريكين كلاً لصاحبه، لأنه إنما اختاره عن رضى، وبعد تجربة.

أقول: هذر يهدمه الواقع، واقع الانحرافات الدائمة والتحولات المستمرة في العواطف، وتحطيم البيوت بالطلاق وغير الطلاق، وانتشار الخيانات الزوجية المزدوجة في تلك المجتمعات)[1].

ثم يتحدث رحمه الله تعالى عن التكافل العائلي داخل الأسرة وضمان حق الزوج والزوجة والأولاد والوالدين فيقول: (... الإسلام يعني بأمن الأسرة التي يضمها البيت جميعاً، وينظم العلاقات بينهم جميعاً، ويقرر التكافل بينهم جميعاً. وفي التكافل حقوق وواجبات، ومزايا وتكاليف، تنتهي كلها إلى ثقة متبادلة، واطمئنان إلى الحياة والمستقبل، وشعور بالأمن فيها والقرار.

إن عاطفة الأمومة وحدها تكفي في رعاية الوليد؛ وإن عاطفة الأبوة وحدها تكفي في النهوض له وللأم بالنفقة، ولكن الإسلام يضيف إلى العاطفة الفطرية التكليف الصريح. شأنه في ذلك شأنه في كل جوانب الحياة. إنه يبث العقيدة ويستثير الوجدان، ولكنه لا يدع التكاليف غامضة

(١) السلام العالمي والإسلام ٧٣/ ٧٢.

مبهمة، ولا يكلها لمجرد الوجدان والعاطفة. وإنما يحددها بالنص ويؤيدها بالتشريع. وكذلك يفعل في حق الطفولة. ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣١].

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

فأما الوالدان فلهما حقهما المقابل- وفي الإسلام كل حق يقابله واجب- يزيد عليه ما يناسب الأبوة والأمومة من احترام وطاعة وأدب، ومن رفق في حالة كبرهما وعطف، وإن الألفاظ التي يعبر بها القرآن عن هذه المعاني لتسيل انعطافاً ورقة وشفافية: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣،٢٤] وللوالدة بقدر ما تعبت وبقدر ما عطفت ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤] ولابد من لفتة في الآيتين إلى اقتران الإحسان للوالدين بعبادة الله في الأولى، واقتران الشكر للوالدين بالشكر لله في الثانية، ففي هذا الاقتران إيحاء ظاهر المعنى لا يخفى.

وينسحب هذا التكافل بين أفراد الأسرة جميعاً... هذا التكافل العائلي الواسع النطاق- مضافاً إلى ما أسلفنا من النظم الإسلامية لشؤون البيت-

دعائم للسلام والأمان في مثابة البيت. وشعار الإسلام في هذا هو ذلك الذي قدمناه في أول الفصل: «الفرد لا يستمتع في بيته بالسلام، ولن يعرف للسلام قيمة ، ولن يتذوق له طعماً، ولن يكون عامل سلام، وفي أعصابه معركة، وفي نفسه قلق، وفي روحه اضطراب»[1].

وحتى الطلاق الذي ظاهره اضطراب لسلام الأسرة والبيت فإنه حين يلتزم بالأحكام الشرعية في إيقاعه فهو في حقيقته أمن وسلام حينما لا يكون منه بد. وفي ذلك يقول سيد قطب رحمه الله تعالى:

(والطلاق ؟ إنه صمام الأمن في هذه الخلية. إنه أبغض الحلال إلى الله ولكنه مكروه تبيحه الضرورة ، تحقيقاً للسلام الحقيقي في جو البيت حين يعزّ السلام عن كل طريق سواه. وإنه لاعتراف بالمنطق الواقع الذي لا تجدي في إنكاره حذلقات المتحذلقين، ولا تدفع وجوده كذلك أحلام الشعراء. إن هنالك حالات واقعية تتعذر فيها الحياة الزوجية، فإمساك الزوجين على هذا الرباط مرغمين لا يؤدي إلى خير، ولا ينتهي إلى سلام.

والإسلام لا يسرع إلى رباط الزوجية المقدس فيفصمه لأول وهلة، ولأول بادرة من خلاف. إنه يشد على هذا الرباط بقوة، ويستمسك به في استماتة، فلا يدعه يفلت إلا بعد المحاولة واليأس والمحال.

إنه يهتف بالرجال:﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:١٩] .. فيميل بهم إلى التريث

(١) المصدر السابق (١٠٠-١٠٢ باختصار).

والمصابرة حتى في حالة الكراهية، ويفتح لهم تلك النافذة المجهولة: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:١٩] .. فما يدريهم أن في هؤلاء النسوة المكروهات خيراً. وأن الله يدخر لهم هذا الخير فلا يجوز أن يفلتوه، إن لم يكن ينبغي لهم أن يستمسكوا به ويعزوه! وليس أبلغ من هذا في استحياء الانعطاف الوجداني واستثارته، وترويض الكره وإطفاء شرته.

فإذا تجاوز الأمر مسألة الكره والحب إلى النشوز والنفور، فليس الطلاق أول خاطر يهدي إليه الإسلام، بل لابد من محاولة يقوم بها الآخرون وتوفيق يحاوله الخيرون: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ [النساء:٣٥].

فإذا لم تجد هذه الوساطة، فالأمر إذن جد، وهنالك مالا تستقيم معه هذه الحياة، ولا يستقر لها قرار. وإمساك الزوجين على هذا الوضع إنما هو محاولة فاشلة، يزيدها الضغط فشلاً. ومن الحكمة التسليم بالواقع، وإنهاء هذه الحياة على كره من الإسلام، فإن أبغض الحلال إلى الله الطلاق. ولعل هذه التفرقة تثير في نفس الزوجين رغبة جديدة لمعاودة الحياة، فكثيراً ما نتفقد الشيء بعد أن نفقده، ونرى حسناته عندما نحرمه. والفرصة لم تضع: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة: ١٢٩].. على أن الطلاق يجب ألا يقع في فترة الحيض. بل ينبغي أن يقع في طهر لم يكن فيه وطء. وهذه مهلة يمد فيها الإسلام، عسى أن يسكن الغضب إن كان هو

الذي يوحي بالطلاق. ثم هناك فترة العدة في حالة الدخول بالزوجة، بعد الطلاق الأول، ثلاثة أشهر على وجه التقريب إن لم يكن هناك حمل، وحتى الوضع إن كان. وعليه أن ينفق عليها في هذه الفترة ولا يقتر في النفقة. وفي خلالها يجوز له إن كان قد ندم أن يراجع زوجه، وأن يستأنفا حياتهما بلا أي إجراء جديد. فهو طلاق رجعي ، والحياة الزوجية قابلة للاستئناف بأيسر الأسباب.

فإذا تركت مدة العدة تمضي دون مراجعة، صار الطلاق بائناً. ولكن الفرصة بعد لم تضع، وفي استطاعتهما أن يستأنفا هذه الحياة متى رغبا، ولكن بعقد جديد.

وتلك هي التجربة الأولى، وهي تكشف لكلا الزوجين عن حقيقة عواطفهما، وعن جدية الأسباب التي انفصلا بسببها. فإذا تكررت هذه الأسباب أو جدّ سواها، واندفع الزوج مرة أخرى إلى الطلاق، فعندئذ لا تبقى سوى فرصة واحدة، وهي الثالثة. وفي الثانية نذير. فإذا وجدا أن الحياة مستطاعة من جديد، وإذا كشفا في مشاعرهما عن بقية من ود، أو عن دفين من حب عاودا الحياة. فأما إذا كانت الثالثة، فالعلة إذن عميقة، والمحاولة غير مجدية. ومن الخير له ولها أن يجرب كل منهما طريقه؛ ومن الخير كذلك أن يتلقى الزوج إن كان عابثاً أو متسرعاً نتيجة عبثه أو تسرعه:﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ [البقرة:٢٣٠] لا على طريقة «المحلل» الشائعة، والتي لا يعترف بها الإسلام، ولا تقرها

شريعته. ولكن على أن تتزوج زواجاً حقيقياً جديداً، منوياً فيه التأبيد لا التوقيت. فإذا حدث لأمر ما أن طلقت من زوجها الجديد أو مات عنها، فلزوجها الأول أن يتزوجها من جديد. وأن يستأنفا معاً رحلتهما في الحياة.

ولا يجوز أن تنسى في هذا المجال توصيات الإسلام في كل خطوة وفي كل مرحلة بحسن المعاملة وتوفية النفقة، تأليفاً للقلوب النافرة في فترة العدة، فقد يعود إليها ودها، وتجبر شعوبها، وتستأنف الحياة صافية من جديد: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة: ٢٣١].

ذلك هو الطلاق في الإسلام.. صمامة أمن لا تنطلق إلا حيث لا يكون مفر من انطلاقها، ومحاولة بعد محاولة في التوقي والاستصلاح والمراجعة، وفرصة بعد فرصة تكشف للزوجين عن حقيقة مشاعرهما، وعن أخطائهما في السلوك أو أخطائهما في التقدير، أو أخطائهما في الشعور)[1] أ.هـ.

وإضافة إلى ما ذكره سيد قطب رحمه الله تعالى من صور الأمن الأسري في شريعة الإسلام أذكر أيضاً الصور التالية:

- إشعار كل فرد من أفراد الأسرة بمسؤوليته والأمانة الملقاة على عاتقه. يقول الرسول ﷺ : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة

(١) المصدر السابق ٨٥-٨٨.

راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»[١].

- الأمر بالمحافظة على حرمة البيوت، ووجوب الاستئذان عند دخولها. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢٧،٢٨].
- النهي عن التجسس على البيوت، والاطلاع على ما بداخلها من عورات. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ ﴾ [الحجرات:١٢] وقال الرسول ﷺ: «من اطلع في دار قوم بغير إذنهم ففقأوا عينه فقد هدرت عينه»[٢]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رجلا اطلع على بعض حجر النبي ﷺ فقام إليه رسول الله ﷺ بمشقص أو مشاقص، قال: فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يختله ليطعنه[٣].
- الأمر بحفظ العورات، وذلك للتربية على سلامة الأعراض، وأمنها في البيوت حتى بين أفراد الأسرة الواحدة، ولو كانوا أطفالاً. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ

(١) البخاري (٨٩٣)، مسلم (١٨٢٩).
(٢) أبو داود (٥١٧١) وصححه الألباني في صحيح سن أبي داود (٤٣٠٨).
(٣) أبو داود (٥١٧٢) وصححه الألباني في صحيح سن أبي داود (٤٣٠٩).

مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ٥٨،٥٩].

- الأمر بإشاعة السلام في البيت، وذلك بالسلام على الأهل عند الدخول إلى البيوت قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [النور: ٦١].

- الأمر بالعدل بين الزوجات حتى تعيش الزوجة في أمان من الظلم، وسلامة من الجور قد اطمأنت على حقوقها، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ [النساء:٣،٤].

- الأمر بالعدل بين الأولاد في العطية، وغيرها حتى يأمن أفراد الأسرة ولا تنتشر بينهم العداوة والبغضاء، قال ﷺ : «فاتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم»[1].

- وأهم من كل ما سبق الحفاظ على أمن العقيدة والأخلاق لأفراد

(١) البخاري (٢٥٨٧) ومسلم (١٦٢٣).

الأسرة وأمرهم بطاعة الله تعالى ووقايتهم من أسباب عقوبته في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ .... الآية ﴾ [التحريم: ٦] وقوله ﷺ: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع... الحديث»[1].

(١) أبو داود (٤٩٥) وصححه الألباني في صحيح سن أبي داود (٤٦٦).

ثالثاً: أمن المجتمع

لقد سبق بيان أن أمن المجتمع واستقراره مرهون بطاعة الله تعالى، والتزام أحكامه الشرعية، وبدون ذلك فلا يطمع مجتمع على وجه الأرض في أمن ولا رخاء ولا طمأنينة، وواقع الأمم والمجتمعات في القديم والحديث يشهد بذلك. ويرى الناس هذه السنة الربانية ماثلة للعيان. وأرى أن الحاجة هنا تدعو إلى تكرار بعض الآيات التي سبق ذكرها في مبحث سابق لمناسبتها للمقام ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].
- وقوله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن: ١٦،١٧].
- وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٦٥،٦٦].
- وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].
- وقوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم

مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:٣،٤].

والآيات في هذا المقام كثيرة جداً. وما ذكرته هو على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر.

وقد شرع الله عز وجل في كتابه الكريم، وسنة نبيه محمد ﷺ أحكاماً، وآداباً سامقة تحفظ للمجتمع أمنه، وتحميه من الآفات والشرور التي تكدر عليه أمنه وسلامته. وقبل الدخول في ذكر نماذج من هذه الأحكام الرفيعة النظيفة أقدم لذلك ببعض ما كتبه سيد قطب رحمه الله تعالى عن أمن المجتمع في ظل الإسلام حيث يقول: (في المجتمع تتشابك المصالح، وتتراحم الدوافع، ويكثر الشد والجذب، ويتكرر الأخذ والعطاء. وفي المجتمع يتبادل الأفراد، وتتعامل الجماعات، وتتفاعل القوى، وتتنافس المقدرات. وفي المجتمع يندمج الفرد، ويندمج البيت، وتندمج الأسرة، ويحف بها جميعاً ذلك السياج الضخم الذي يشمل نشاطها جميعاً، ويمثل اتجاهاتها جميعاً، ويؤثر فيها ويتأثر بها في كل اتجاه.

وعندما يفرض بعض المذاهب الاجتماعية أن العلاقة بين الفرد والفرد هي أبداً علاقة الصراع والخصومة، وأن العلاقة بين الأفراد والسلطات هي أبداً علاقة الكبت والإجبار... يقرر الإسلام أن العلاقة بينهم جميعاً- في المجتمع المسلم- هي علاقة الود والرحمة، وعلاقة التضامن والتعاون، وعلاقة الأمن والسلام. ويقرر أن القاعدة التي تقوم عليها حياتهم هي قاعدة التناسق بين الحقوق والواجبات، والتعادل بين المغانم والمغارم،

والتوازن بين الجهد والجزاء. ويقرر أن الغاية المقدرة لهم جميعاً هي امتداد الحياة، وإنماء الحياة، وترقية الحياة والتوجه بكل نشاط فيها وبكل نية وكل عمل إلى الله خالق الكون والحياة.

ومن ثم ينتهي كل نشاط فردي، وكل نشاط اجتماعي، كما ينتهي كل تنظيم وكل إنتاج، إلى السلام الكلي، الذي ينسق بين مختلف النوازع والاتجاهات، ومختلف القوى والطاقات، ومختلف الأفراد والجماعات. لأن هنالك أفقاً أعلى من أفق المصالح الوقتية التي تثير الشحناء، وتؤجج العداوات.

إن المذاهب الغربية منطقية مع البيئة التي نشأت فيها. بيئة الحضارة الغربية المادية، التي تنفي من الحياة كل هدف أبعد من هدف المصلحة المباشرة القريبة، وتنفي عن الإنسانية عنصر التطلع إلى ما هو أبعد من الذات. فحين تحكم الحياة كلها هذه الفكرة المادية لا يكون هنالك مجال لغير الصراع القاسي بين الطبقات في المجتمع، ولا يكون هنالك مجال لغير قوانين العمل وظروف الإنتاج، ومن ثم تصبح مسألة «صراع الطبقات» حقيقة مادية واقعة لا فكاك منها، ولا أمل في اجتنابها، ولا سبيل كذلك لتجاهلها.

فأما حين يحكم الحياة منهج كالمنهج الإسلامي، وحين يأخذ نظام الإسلام الاجتماعي سبيله إلى التنفيذ العملي، وحين يصبح القانون الإسلامي نافذاً كما أراده الله لا كما أراده المحرفون من رجال الدين. عندئذ

تصبح «الجبرية المادية» كما تصبح «حتمية صراع الطبقات» مسألة تحكمية لا تستند إلى واقع ولا منطق، لأنها تحكم على بيئة أخرى، ونظام آخر، حكماً مستمداً من بيئة معينة تحكمها الأفكار المادية وتنفي منها الأهداف العليا للحياة)[1] أ.هـ.

وبعد هذه المقدمة نتعرف فيما يلي على بعض صور السلام والأمن الذي يعيشه المجتمع المسلم في ظل شريعةالإسلام التي أنزلها الحكيم العليم، اللطيف الخبير، الرؤوف الرحيم ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

الصورة الأولى: يظهر للمتدبر لأحكام الله عز وجل الشرعية التي تتعلق بالمعاملات بين الناس أنها تقوم على كل ما يحقق التواد والتراحم بين المسلمين. ويمنع كل ما من شأنه إيقاع العداوة والبغضاء وإثارة الشحناء والأحقاد بينهم ومن هذه التشريعات:

- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٢، ١٣].

---

(١) السلام العالمي والإسلام ١٠٣، ١٠٤.

والآيات واضحة الدلالة في الحرص على إشاعة الأمن والسلام والمحبة بين أفراد المجتمع المسلم، وسد الباب أمام كل سبب يكدر على المسلمين أمنهم وتوادهم وتراحمهم، ويؤكد هذا قوله ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[(١)]، وكذلك قوله ﷺ «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا»[(٢)].

- وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ إلى قوله تعالى في نفس الآية: ﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ومن الحكم البالغة في تشريع آية الدين هو المحافظة على أموال الناس، والقضاء على أسباب الاختلاف والشحناء، وسوء الظن التي تعكر على الأمن والسلام بين الناس في المجتمع المسلم. ومن ذلك تحريمه ﷺ أنواعاً كثيرة من البيوع لما تفضي إليه من البغضاء والشحناء، والقطيعة بين المسلمين كقوله ﷺ : «لا يبتاع المرء على بيع أخيه ولا تناجشوا ولا يبع حاضر لباد»[(٣)]. ونهيه ﷺ عن بيع الحصاة والملامسة والمنابذة لما فيها من الجهل والغرر والغبن، ومن ذلك تحريم الغش والاحتكار والتطفيف وغيرها من صور الظلم في المعاملات التي من شأنها إثارة العداوة والشحناء بين المسلمين.

---

(١) البخاري (٦٠١١)، مسلم (٥١٨٦).

(٢) البخاري (٦٠٦٥)، مسلم (٢٥٥٩).

(٣) البخاري (٢١٦٠).

- نهيه ﷺ عن التهاجر بين المسلمين وذلك في قوله ﷺ :«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالي يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[١]. بل إنه ﷺ نهى أن يتناجى إثنان في حضرة ثالث منعاً لسوء الظن وإيذاء المسلم وإحزانه. قال ﷺ : «إذا كانوا ثلاثة فلا يناجي إثنان دون الثالث فإن ذلك يؤذيه»[٢].

- تحريم النميمة بين الناس لما فيها من الإفساد والتفريق بين المسلمين وتقطيع الأرحام وإثارة الشحناء، قال ﷺ : «لا يدخل الجنة قتات»[٣] أي نمام.

- تحريم الكبر والخيلاء، والتعالي على الناس: قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨] وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧] وقال ﷺ: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد»[٤] ولا يخفى ما في الكبر من التعالي على الناس، وظلمهم واحتقارهم؛ فإذا اختفت هذه الآثار ساد الأمن والسلام والمحبة والإخاء.

- تحريم الخمر والميسر ورتب على شرب الخمر عقوبة وحداً. كل ذلك من أجل حماية المجتمع مما يكدر أمنه وسلامته ومما يثير الشحناء والعداوة

(١) البخاري (٦٠٧٧)، مسلم (٢٥٦٠).
(٢) البخاري (٦٢٨٨)، مسلم (٢١٨٣).
(٣) البخاري (٦٠٥٦)، مسلم (١٠٥).
(٤) مسلم (٢٨٦٥).

بين أفراده ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة:٩٠،٩١].

- تحريم الربا لما يثيره من الأحقاد في المجتمع، فليس يغيظ النفس أكثر من أن يلجأ المحتاج إلى صاحب المال فينتهز الفرصة السانحة والضرورة الملجأة للفقير ويفرض على أخيه ضريبة حراماً، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٢٧٨-٢٨٠].

إن المال ينبغي أن يعطى للمحتاج قرضاً حسناً بلا فائدة لتنتشر في المجتمع روح المودة والرحمة والسلام والتضامن.

- نهيه ﷺ وتحذيره من الوقوع في صفات المنافقين وخصالهم التي تؤدي بصاحبها إلى التفرق والبغضاء وفقدان الأمن والسلام. قال ﷺ : «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[1].

(١) البخاري (٣٤)، مسلم (٥٨).

- تحريم إيذاء المسلمين وبخاصة إيذاء الجار، قال ﷺ : «والله لا يؤمن (ثلاثا) قيل من يارسول الله قال: من لا يأمن جاره بوائقه»[(١)].

الصورة الثانية: صورة التراحم، والترابط، والمحبة، والتكافل التي يحض الإسلام الناس عليها، ويعد عليها بالثواب في الدنيا والآخرة، ويعيش الناس في أجوائها عيشة الأمن والسلام. ومن ذلك :

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات:١٠].
- وقوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٤].
- وقوله تعالى في وصف الأنصار مع إخوانهم المهاجرين رضي الله عن الجميع: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر:٩،١٠]. ومن ذلك قوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[(٢)].
- وقوله تعالى في فريضة الزكاة التي تحقق المحبة والتكافل والسلام في

---

(١) البخاري (٦٠١٦).

(٢) البخاري (١٣)، مسلم (٤٥).

المجتمع المسلم: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٦٠]. وحذر المتصدق بماله من المن به، وجرح نفس المتصدق عليه وذلك في قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة:٢٦٤].

- وقوله عز وجل في وصف الأبرار من عباده: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٧-٩].

- وقوله ﷺ : «مثل المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا. وشبك بين أصابعه»(١).

- حثه ﷺ على إفشاء السلام بين الناس والتهادي لأن ذلك يورث المحبة والألفة والسلام. قال ﷺ : «لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا. ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم. أفشوا السلام بينكم»(٢). وقال ﷺ : « ليسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير»(٣) وقال ﷺ : «تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر»(٤).

---

(١) البخاري (٤٨١)، مسلم (٢٥٨٥).

(٢) مسلم (٥٤).

(٣) البخاري (٦٢٣١)، مسلم (٢١٦٠).

(٤) الترمذي (٢١٣٠).

- أمره ﷺ بقضاء حوائج المسلمين بإغاثة ملهوفهم والتفريج عن مكروبهم، والتيسير على معسرهم. وذلك في قوله ﷺ : «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة»[١] ولا يخفى ما في ذلك من إشاعة المحبة والأمن والسلام بين أبناء المجتمع.
- النهي عن زجر اليتيم والسائل. قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى: ٩،١٠] والحث على إطعامهما ورحمتهما والتضامن معهما.
- وقد وصلت الرحمة، ووصل الأمن والسلام في شريعة الإسلام إلى الحيوان البهيم فقد قال ﷺ : «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه، ثم أمسكه بفمه، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له» قالوا يارسول الله: وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال: نعم. في كل ذات كبد رطبة أجر»[٢].
- وقوله ﷺ : «والشاة إن رحمتها رحمك الله»[٣].
- وقوله ﷺ : «عُذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار

---

(١) مسلم (٢٦٩٩).

(٢) البخاري (٢٣٦٣) ومسلم (٢٢٤٤).

(٣) الأدب المفرد (٣٧٣) وصحيح الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦).

لا هي أطعتمها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[١].

ويتحدث سيد قطب رحمه الله عن المجتمع الإسلامي الذي يسوده الحب، والأمن والسلام، ويقارنه بالمجتمعات الكافرة فيقول: (والمجتمع الذي ينشئه هذا المنهج الرباني، في ظل النظام الذي ينبثق من هذه العقيدة الجميلة الكريمة، والضمانات التي يحيط بها النفس والعرض والمال.. كلها مما يشيع السلم وينشر روح السلام.

هذا المجتمع المتواد المتحاب المترابط المتضامن المتكافل المتناسق. هذا المجتمع الذي حققه الإسلام مرة في أرقى وأصفى صوره. ثم ظل يحققه في صور شتى على توالي الحقب، تختلف درجة صفائه، ولكنه يظل في جملته خيراً من كل مجتمع آخر صاغته الجاهلية في الماضي والحاضر، وكل مجتمع لوثته هذه الجاهلية بتصوراتها ونظمها الأرضية!...

ولا يدرك معنى هذا السلم حق إدراكه من لا يعلم كيف تنطلق الحيرة، وكيف يعربد القلق في النفوس التي لا تطمئن بالإيمان في المجتمعات التي لا تعرف الإسلام، أو التي عرفته ثم تنكرت له. هذه المجتمعات الشقية الحائرة على الرغم من كل ما قد يتوافر لها من الرخاء المادي والتقدم الحضاري، وسائر مقومات الرقي في عرف الجاهلية الضالة التصورات المختلة الموازين.

وحسبنا مثل واحد مما يقع في بلد أوربي من أرقى بلاد العالم كله وهو

---

(١) البخاري (٢٣٦٥)، ومسلم (٢٢٤٢).

«السويد» حيث يخص الفرد الواحد من الدخل القومي ما يساوي خمسمائة جنيه في العام. وحيث يستحق كل فرد نصيبه من التأمين الصحي، وإعانات المرض التي تصرف نقداً، والعلاج المجاني في المستشفيات. وحيث التعليم في جميع مراحله بالمجان، مع تقديم إعانات ملابس وقروض للطلبة المتفوقين، وحيث تقدم الدولة حوالي ثلاثمائة جنيه إعانة زواج لتأثيث البيوت.. وحيث وحيث من ذلك الرخاء المادي والحضاري العجيب..

ولكن ماذا؟ ماذا وراء هذا الرخاء المادي والحضاري، وخلو القلوب من الإيمان بالله؟

إنه شعب مهدد بالانقراض، فالنسل في تناقص مطرد بسبب فوضى الاختلاط! والطلاق بمعدل طلاق واحد لكل ست زيجات بسبب انطلاق النزوات وتبرج الفتن وحرية الاختلاط! والجيل الجديد ينحرف فيدمن على المسكرات والمخدرات، ليعوض خواء الروح من الإيمان وطمأنينة القلب بالعقيدة. والأمراض النفسية والعصبية والشذوذ بأنواعه تفترس عشرات الآلاف من النفوس والأرواح والأعصاب. ثم الانتحار.. والحال كهذا في أمريكا.. والحال أشنع من هذا في روسيا..)[1].

الصورة الثالثة: حرم الإسلام كل صور الاعتداء سواء كان ذلك على الأنفس والأعراض، أو العقول، أو الأموال، ورتب على اقتراف ذلك العقوبات الدنيوية والأخروية، وذلك حتى يعيش الناس في مجتمعاتهم آمنين

(١) في ظلال القرآن ١/٢٠٩-٢١١ (باختصار) وهذه الاحصائيات كما هو ظاهر قديمة فكيف بالاحصائيات المعاصرة التي هي أشنع وأفظع.

على أنفسهم وأعراضهم وعُقولهم وأموالهم. ومن أجل ذلك حرم الله الزنا، وحرم الوسائل المفضية إليه حفاظاً على الأعراض. وشرع العقوبة على الزاني المحصن حد الرجم، وغير المحصن جلد مائة جلدة كما قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٢]. وحفاظاً على أمن النفوس شرع عقوبة القصاص في القتل والجراحات وبين الحكمة في ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٩].

وشرع لحفظ الأموال والممتلكات عقوبة قطع يد السارق وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨].

والإسلام عندما شرع الحدود، والعقوبات لحفظ أمن المجتمع قد بدأ قبل ذلك بسد الذرائع المفضية إلى هذه الجرائم، والتذكير بمراقبة الله عز وجل، والخوف من سخطه وعذابه. ومع ذلك فهنالك في المجتمعات أناس لا ينفع فيهم الوعظ ولا التذكير، ولا يلتزمون بترك الوسائل المفضية إلى الجريمة فعندها تأتي الحدود التي من شأنها أن تحفظ للبيوت، والمجتمعات أمنها وسلامتها. ومن العجائب والغرائب أن ينبري أعداء هذا الدين من الكفار والمنافقين، ويصفون هذه الحدود والعقوبات أنها قسوة ووحشية ﴿ كَبُرَتْ

كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف:٥] وعميت أبصارهم وبصائرهم عن هذه الجرائم وما تحدثه في الأفراد والبيوت، والمجتمعات من جرائم فظيعة، ووحشية عاتية في الأنفس والأموال والأعراض. لكنها عندهم ليست قاسية، ولا وحشية لملائمتها لأهوائهم وشهواتهم وأفكارهم العفنة.

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (وتسمع من الببغاوات هنا، ومن الشاردين هناك أنها عقوبة قاسية. أما تحطيم البيوت، وقلق الضمائر، وتدليس الأنساب، فما هي بقاسية. قاسية لأن المترفين والمترفات، والداعرين والداعرات، يحسون – وهم يصفونها بالقسوة- وقع السياط على جلودهم الناعمة المترهلة، ونقح الأحجار في أجسادهم اللينة الرخيصة. إنهم يدافعون عن أنفسهم وهم يتشدقون باسم القوانين المتحضرة، وينعتون حدود الإسلام بالقسوة أو بالهمجية. وهم الهمج المنتكسون إلى حياة البهيمية الأولى)[1].

الصورة الرابعة: في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما ينشأ عن ذلك من إضفاء الأمن والسلام على المجتمع، لأن الأمر والنهي هما صمام الأمان للمجتمعات من وقوع العقوبات بأهلها سواء كانت هذه العقوبات من داخل المجتمع بفعل سفهائه، وتركهم من غير أمر ونهي. أو من خارجه بتسليط الأعداء على مجتمعات المسلمين، أو بعقوبات كونية ينزلها الله عز

(١) السلام العالمي والإسلام ، ص٨١.

وجل على من يشاء من الأمم المكذبة والفاسقة.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ١١٦].

وقال ﷺ «مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها؛ فكان الذين في أسفلها إذا استقوا مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ! فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»(١).

وقال ﷺ : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقابه»(٢). وقال ﷺ : «والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يدي الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض»(٣).

والواقع والتاريخ يشهد أنه ما من مجتمع ضعفت فيه هذه الشعيرة، أو عدمت إلا وعاش الناس في خوف، وعناء وشقاء واضطراب. والعكس من ذلك حينما تقوى هذه الشعيرة، وتحيا فإن الناس يعيشون في أمن وسلام على أديانهم وأنفسهم وعقولهم وأعراضهم وأموالهم.

---

(١) البخاري (٢٤٩٣) ومسلم .

(٢) أبو داود (٤٣٣٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦٤٤).

(٣) أبو داود (٤٣٣٦).

الصورة الخامسة : في نظام الحكم

نظام الحكم في الإسلام كفيل بإقرار العلاقات بين الراعي والرعية على أساس من السلم والعدل، والطمأنينة ينهض عليها بناء السلام الاجتماعي سليماً راسخ الأركان.

والحدود الإسلامية للحكم هي تنفيذ شرع الله عز وجل، والحكم به بين العباد؛ لا يراع فيه تفضيل فرد على فرد، ولا طبقة دون طبقة، ولا إيثار جماعة على جماعة، ولا تمييز حاكم على محكوم. كلهم عباد الله والشريعة فيها حكم الله تعالى والكل أمامها سواء. وطاعة الحاكم مرهونة بإقامة هذه الشريعة وتنفيذها والحكم بين الناس بالعدل.

هذا النظام الإسلامي كفيل باستقامة الرعاة، ورضى الرعية، وبإقرار السلام بينهما وتوطيده. لا بالعسف والجور؛ ولا بالكبت والإجبار، ولا بالقسوة والجبروت، ولا بالخوف والذل، ولكن بالرضى والقبول والطاعة المنبعثة من أعماق الضمير، لا رياء ولا نفاقاً ولا تظاهراً كذاباً.

إنه وسيلة من وسائل الاستقرار، لا تفضلها وسيلة ولا تعدلها. وهو حلقة من حلقات السلام الشامل، غير منفصلة من السلسلة المتماسكة، في فكرة الإسلام الكبرى عن الحياة.

والحكم الإسلامي يستمد عدالته أول ما يستمد من عدالة الشريعة ذاتها. فهو كما أسلفنا ليس من صنع فرد، ولا من صنع طائفة، حتى تظن به الظنون، ويخشى أن يميل مع الهوى، أو أن يتلبس بالخطأ، فيفوته تحقيق العدالة المطلقة.

فأما عند التنفيذ فقد ناط الإسلام ذلك بوضوح القانون، وبضمير

القاضي ورقابة الجماعة. وكل فرد في الجماعة الإسلامية منوط به هذه الرقابة، منوط به أن يدفع الظلم حين يقع، وأن ينبه الحاكم حين يطغى، والقاضي حين يخطئ، وإنه ليبوء بالإثم حين يكتم الشهادة. أو حين يقر بالخطأ، ولا ينبه إليه إذ يراه.

والعدل الذي يتطلبه الإسلام هو العدل المطلق الذي لا يتأثر بالمحبة والشنآن. ولا بالمال والجاه والحكام. وآيات العدل في القرآن صارمة حازمة حاسمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء:١٣٥] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨] ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٢] ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[المائدة: ٤٢] ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى: ١٥] ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: ١٨٨] (١).

(١) انظر: السلام العالمي والإسلام ص١٢٢-١٢٨ (باختصار وتصرف يسير).

رابعاً: أمن العالم والبشرية جميعاً

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٧،٥٨]. وقال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١].

يتبين لنا من هذه الآيات، وما في معناها أن هذا الدين الذي أرسل به محمد ﷺ، والوحي الذي أنزل إليه إنما هو رحمة وأمن، وسلام وخير للبشرية جمعاء؛ إن هي أخذت به، واستسلمت به. والمتأمل في هذا الدين عقيدة وأحكاماً وآدابا وأخلاقاً يرى اليسر والرحمة والسلام والسعادة واضحة بجلاء. وما سبق استعراضه في أمن الأفراد والأسر والمجتمعات إن هو إلا غيض من فيض، وللمثال لا الحصر؛ فالحمد لله الذي هدانا للإسلام وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. ولقد اختصر هذا المعنى ربعي بن عامر رضي الله عنه عندما سأله قائد الفرس عن سبب غزوهم لبلادهم فقال: (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة).

وقبل ذلك أجاب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه النجاشي ملك الحبشة عندما سأله عن ما جاء به محمد ﷺ فقال: (أيها الملك. كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، نقطع الأرحام ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف؛ فكنا على ذلك حتى بعث الله

إلينا رسولاً منا نعرف نسبه، وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله وحده لنوحده ونعبده، ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله عز وجل، ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام).

ويعلق سيد قطب رحمه الله تعالى على قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة:١٥،١٦] فيقول:

(لقد رضي الله الإسلام دينا، وهو يهدي من يتبع رضوانه هذا ويرتضيه لنفسه كما رضيه الله له يهديه «سبل السلام»..

وما أدق هذا التعبير وأصدقه؛ إنه «السلام» هو ما يسكبه هذا الدين في الحياة كلها، سلام الفرد. وسلام الجماعة. وسلام العالم، سلام الضمير، وسلام العقل، وسلام الجوارح، سلام البيت والأسرة، وسلام المجتمع والأمة، وسلام البشر والإنسانية، السلام مع الحياة، والسلام مع الكون، والسلام مع الله رب الكون والحياة. السلام الذي لا تجده البشرية- ولم تجده يوماً- إلا في هذا الدين؛ وإلا في منهجه ونظامه وشريعته، ومجتمعه

الذي يقوم على عقيدته وشريعته.

حقاً إن الله يهدي بهذا الدين الذي رضيه، من يتبع رضوان الله، «سبل السلام». سبل السلام كلها في هذه الجوانب جميعها. ولا يدرك عمق هذه الحقيقة كما يدركها من ذاق سبل الحرب في الجاهليات القديمة أو الحديثة.. ولا يدرك عمق هذه الحقيقة كما يدركها كل من ذاق حرب القلق الناشيء من عقائد الجاهلية في أعماق الضمير، وحرب القلق الناشيء من شرائع الجاهلية وأنظمتها وتخبطها في أوضاع الحياة.

وقد كان المخاطبون بهذه الكلمات أول مرة يعرفون من تجربتهم في الجاهلية معنى هذا السلام، إذ كانوا يذوقونه مذاقاً شخصياً؛ ويلتذون هذا المذاق المريح.

وما أحوجنا نحن الآن أن ندرك هذه الحقيقة؛ والجاهلية من حولنا ومن بيننا تذيق البشرية الويلات، من كل ألوان الحرب في الضمائر والمجتمعات قروناً بعد قرون!

ما أحوجنا نحن الذين عشنا في هذا السلام فترة من تاريخنا؛ ثم خرجنا من السلام إلى الحرب التي تحطم أرواحنا وقلوبنا، وتحطم أخلاقنا وسلوكنا، وتحطم مجتمعاتنا وشعوبنا، بينما نملك الدخول في السلم الذي منحه الله لنا؛ حين نتبع رضوانه؛ ونرضى لأنفسنا ما رضيه الله لنا!

إننا نعاني من ويلات الجاهلية؛ والإسلام منا قريب، ونعاني من حرب الجاهلية وسلام الإسلام في متناول أيدينا لو نشاء؛ فأية صفقة خاسرة هذه

التي نستبدل فيها الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ ونشتري فيها الضلالة بالهدى؟ ونؤثر فيها الحرب على السلام؟

إننا نمتلك إنقاذ البشرية من ويلات الجاهلية وحربها المشبوبة في شتى الصور والألوان. ولكننا لا نملك إنقاذ البشرية، قبل أن ننقذ نحن أنفسنا، وقبل أن نفيء إلى ظلال السلام، حين نفيء إلى رضوان الله، ونتبع ما ارتضاه. فنكون من هؤلاء الذين يقول الله عنهم إنه يهديهم سبل السلام.

والجاهلية كلها ظلمات ظلمة الشبهات والخرافات والأساطير والتصورات، وظلمة الشهوات والنزعات والاندفاعات في التيه، وظلمة الحيرة والقلق والانقطاع عن الهدى، والوحشة من الجانب الآمن المأنوس. وظلمة اضطراب القيم وتخلخل الأحكام والقيم والموازين. والنور هو النور.. هو ذلك النور الذي تحدثنا عنه آنفاً في الضمير وفي العقل وفي الكيان وفي الحياة وفي الأمور..

﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

مستقيم مع فطرة النفس ونواميسها التي تحكمها. مستقيم مع فطرة الكون ونواميسه التي تصرفه. مستقيم إلى الله لا يلتوي ولا تلتبس فيه الحقائق والاتجاهات والغايات)[1].

ولا يتبين ما في هذا الدين من رحمة وأمن وسلام، وخير للبشرية إلا حينما نستعرض وضع البشرية المنكودة، وما عاشته من تيه وركام قبل مجيء

(١) انظر: في ظلال القرآن ٢/ ٨٦٢،٨٦٣.

الإسلام، وكذلك حال الأمم الكافرة في واقعنا المعاصر، وما هي عليه من نكد وحيرة واضطراب وشقاء وعناء، وظلم وشريعة غاب يأكل فيها القوي الضعيف، ويعيش الناس فيها عيشة البهائم العجماوات. يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (جاء الإسلام ، وفي العالم ركام هائل، من العقائد والتصورات، والفلسفات والأساطير، والأفكار والأوهام، والشعائر والتقاليد، والأوضاع والأحوال. يختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف، والدين بالخرافة، والفلسفة بالأسطورة. والضمير البشري- تحت هذا الركام الهائل- يتخبط في ظلمات وظنون، ولا يستقر منها على يقين. والحياة الإنسانية- بتأثير هذا الركام الهائل- تتخبط في فساد وانحلال، وفي ظلم وذل، وفي شقاء وتعاسة؛ لا تليق بالإنسان، بل لا تليق بقطيع من الحيوان!

وكان التيه الذي لا دليل فيه، ولا هدى ولا نور، ولا قرار ولا يقين هو ذلك التيه الذي يحيط بتصور البشرية لإلهها وصفاته، وعلاقته بالكون وعلاقة الكون به، وحقيقة الإنسان، ومركزه في هذا الكون، وغاية وجوده الإنساني، ومنهج تحقيقه لهذه الغاية، ونوع الصلة بين الله والإنسان على وجه الخصوص. ومن هذا التيه، ومن ذلك الركام كان ينبعث الشر كله في الحياة الإنسانية، وفي الأنظمة التي تقوم عليها...

والذي يراجع ذلك الجهد المتطاول الذي بذله الإسلام لتقرير كلمة الفصل في ذات الله - سبحانه- وفي صفاته. وفي علاقته بالخلق وعلاقة الخلق به؛ ذلك الجهد الذي تمثله النصوص الكثيرة- كثرة ملحوظة- في

القرآن المكي بصفة خاصة، وفي القرآن كله على وجه العموم.

الذي يراجع ذلك الجهد المتطاول، دون أن يراجع ذلك الركام الثقيل، في ذلك التيه الشامل، الذي كانت البشرية كلها تخبط فيه؛ والذي ظلت تخبط فيه أيضاً كلما انحرفت عن منهج الله أو صدت عنه، واتبعت السبل. فتفرقت بها عن سبيله الواحد المستقيم.

الذي يراجع ذلك الجهد ، دون أن يراجع ذلك الركام، قد لا يدرك مدى الحاجة إلى كل هذا البيان المؤكد المكرر في القرآن؛ وإلى كل هذا التدقيق الذي يتتبع كل مسالك الضمير وكل مسالك الحياة.

ولكن مراجعة ذلك الركام تكشف عن ضرورة ذلك الجهد، كما تكشف عن عظمة الدور الذي جاءت هذه العقيدة لتؤديه في تحرير الضمير البشري وإعتاقه، وفي تحرير الفكر البشري وإطلاقه؛ وفي تحرير الحياة. والحياة تقوم على أساس التصور الاعتقادي كيفما كان.

عندئذ ندرك قيمة هذا التحرر في إقامة الحياة على منهج سليم قويم، يستقيم به أمر الحياة البشرية، وتنجو به من الفساد والتخبط ومن الظلم أو الاستذلال، وندرك قيمة قول عمر – رضي الله عنه- «ينقض الإسلام عروة عروة من نشأ في الإسلام ولم يعرف الجاهلية».. فالذي يعرف الجاهلية هو الذي يدرك قيمة الإسلام، ويعرف كيف يحرص على رحمة الله المتمثلة فيه، ونعمة الله المتحققة به.

إن جمال هذه العقيدة وكمالها وتناسقها، وبساطة الحقيقة الكبيرة التي

تمثلها.. إن هذا كله لا يتجلى للقلب والعمل، كما يتجلى من مراجعة ركام الجاهلية – السابقة للإسلام واللاحقة- عندئذ تبدو هذه العقيدة رحمة. رحمة حقيقية؛ رحمة القلب والعقل، ورحمة بالحياة والأحياء، رحمة بما فيها من جمال وبساطة، ووضوح وتناسق، وقرب وأنس، وتجاوب مع الفطرة مباشر عميق. وصدق الله العظيم: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك: ٢٢][(١)].

ويذكر رحمه الله تعالى صوراً من ركام الجاهلية ورجسها وعنتها في القديم والحديث فيقول:

(ومن أرجاسها- وأصل هذه الأرجاس جميعاً- الشرك والوثنية الهابطة الساذجة؛ كما يصورها في إجمال الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه:

«انغمست الأمة في الوثنية، وعبادة الأصنام بأبشع أشكالها. فكان لكل قبيلة أو ناحية أو مدينة، صنم خاص، بل كان لكل بيت صنم خصوصي. قال الكلبي: كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر، كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به. وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضاً، واشتهرت العرب في عبادة الأصنام، فمنهم من اتخذ بيتاً، ومنهم من اتخذ صنماً، ومن لم يقدر عليه ولا على بناء بيت نصب حجراً أمام الحرم، وأمام غيره مما استحسن، ثم طاف به كطوافه بالبيت، وسموها الأنصاب. وكان في جوف

(١) خصائص التصور الإسلامي ص٣٥-٦١، باختصار شديد.

الكعبة- البيت الذي بني لعبادة الله وحده- وفي فنائها ثلاثمائة وستون صنماً. وتدرجوا من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة جنس الحجارة. روى البخاري عن أبي رجاء العطاردي، قال: كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجراً هو خيراً منه ألقيناه واتخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حشوة من تراب، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به. وقال الكلبي: كان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً، أخذ أربعة أحجار، فنظر إلى أحسنها، فاتخذه رباً، وجعل ثلاث أثافي لقدره، وإذا رحل تركه.

«وكان للعرب- شأن كل أمة مشركة في كل زمان ومكان- آلهة شتى من الملائكة والجن والكواكب. فكانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله، فيتخذونهم شفعاء لهم عند الله، ويعبدونهم، ويتوسلون بهم عند الله. واتخذوا كذلك معه الجن شركاء لله، وآمنوا بقدرتهم وتأثيرهم، وعبدوهم. قال الكلبي: كانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن. وقال صاعد: كانت حمير تعبد الشمس، وكنانة القمر، وتميم الدبران، ولخم وجذام المشتري وطي سهيلاً. وقيس الشعرى العبور. وأسد عطارداً».

ويكفي أن يتصفح الإنسان هذه الصورة البدائية الغليظة من الوثنية، ليعرف أي رجس كانت تنشره في القلوب والتصورات وفي واقع الحياة! ويدرك النقلة الضخمة التي نقلها الإسلام للقوم، والطهارة التي أسبغها على تصوراتهم وعلى حياتهم سواء. ومن هذه الأرجاس تلك الأدواء الخلقية والاجتماعية، التي كانت في الوقت ذاته من مفاخرهم في أشعارهم! ومن مفاخراتهم في أسواقهم! من الخمر إلى القمار إلى الثارات القبلية الصغيرة،

التي تشغل اهتماماتهم، فلا ترتفع على تلك التصورات المحلية المحدودة...

هانت عليهم الحرب، وإراقة الدماء حتى كانت تثيرها حادثة ليست بذات خطر. فقد وقعت الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل، ومكثت أربعين سنة أريقت فيها دماء غزيرة، وما ذاك إلا أن كليباً رئيس معد، رمى ضرع ناقة البسوس بنت منقذ فاختلط دمها بلبنها، وقتل جساس بن مرة كليباً، واشتبكت الحرب بين بكر وتغلب. وكان كما قال المهلهل أخو كليب: «قد فنيت الحياة، وثكلت الأمهات، ويتم الأولاد. دموع لا ترفأ، وأجساد لا تدفن...

وكذلك حرب داحس والغبراء. فما كان سببها إلا أن داحساً فرس قيس بن زهير، كان سابقاً في رهان بين قيس بن زهير وحذيفة بن بدر، فعارضه أسدي بإيعاز من حذيفة، فلطم وجهه وشغله، ففاتته الخيل. وتلا ذلك قتل، ثم أخذ بالثأر. ونصر القبائل لأبنائها، وأسر، ونزح للقبائل، وقتل في ذلك ألوف من الناس.

وكان ذلك علامة فراغ الحياة من الاهتمامات الكبيرة التي تشغلهم عن تفريغ الطاقة في هذه الملابسات الصغيرة، إذ لم تكن لهم رسالة للحياة، ولا فكرة للبشرية، ولا دور للإنسانية، يشغلهم عن هذا السفساف. ولم تكن هناك عقيدة تطهرهم من هذه الأرجاس الاجتماعية الذميمة. وماذا يكون الناس من غير عقيدة إلهية؟ ماذا تكون اهتماماتهم؟ وماذا تكون تصوراتهم؟ وماذا تكون أخلاقهم؟..

ومن أرجاسها ما حكته عائشة – رضي الله عنها- وهي تصور أنواع الاتصال بين الجنسين في الجاهلية كما جاء في صحيح البخاري في هذه الصورة الهابطة الحيوانية المزرية:

»إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء؛ فنكاح منها نكاح الناس اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو بنته، فيصدقها، ثم ينكحها؛ والنكاح الآخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه! ويعتزلها ولا يمسها أبداً حتي يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه! فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب. وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الرجل! فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع. ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها. فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت؛ فهو ابنك يافلان. تسمي من أحبت منهم باسمه؛ فيلحق به ولدها. ولا يستطيع أن يمتنع منه الرجل! والنكاح الرابع : يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها- وهن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً- فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن، ووضعت حملها، جمعوا لها. ودعوا لهم القافة. ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاطه. ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح

الناس اليوم»[١].

ودلالة هذه الصورة على هبوط التصور الإنساني وبهيميته لا تحتاج إلى تعليق. ويكفي تصور الرجل، وهو يرسل امرأته إلى «فلان» لتأتي له منه بولد نجيب. تماماً كما يرسل ناقته أو فرسه أو بهيمته إلى الفحل النجيب، لتأتي له منه بنتاج جيد!

ويكفي تصور الرجال – ما دون العشرة! يدخلون إلى المرأة مجتمعين «كلهم يصيبها!».. ثم تختار هي أحدهم لتلحق به ولدها!

أما البغاء- وهو الصورة الرابعة- فهو البغاء! يزيد عليه إلحاق نتاجه برجل من البغاة! لا يجد في ذلك معرة! ولا يمتنع من ذلك!

إنه الوحل الذي طهر الإسلام منه العرب، وزكاهم ، وكانوا – لولا الإسلام- غارقين إلى الأذقان فيه!

ولم يكن هذا الوحل في العلاقات الجنسية إلا طرفاً من النظرة الهابطة إلى المرأة في الجاهلية. يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي في كتابه القيم :«ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»:

«وكانت المرأة في المجتمع الجاهلي عرضة غبن وحيف، تؤكل حقوقها، وتبتز أموالها، وتحرم من إرثها، وتعضل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من أن تنكح زوجاً ترضاه، وتورث كما يورث المتاع أو الدابة. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان الرجل إذا مات أبوه أو حموه، فهو أحق بامرأته،

(١) البخاري (٥١٢٧).

إن شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها، أو تموت فيذهب بمالها».. وقال السّدي: إن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه، فإذا مات وترك امرأته، فإن سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه، أو يُنكحها فيأخذ مهرها. وإن سبقته فذهبت إلى أهلها فهي أحق بنفسها». وكانت المرأة في الجاهلية يطفف معها الكيل، فيتمتع الرجل بحقوقه ولا تتمتع هي بحقوقها، يؤخذ مما تؤتي من مهر، وتمسك ضراراً للاعتداء. وتلاقي من بعلها نشوزاً أو إعراضاً، وتترك في بعض الأحيان كالمعلقة. ومن المأكولات ما هو خالص ومحرم على الإناث. وكان يسوغ للرجل أن يتزوج ما يشاء من غير تحديد.

وقد بلغت كراهة البنات إلى حد الوأد. ذكر الهيثم بن عدي- على ما حكاه عنه الميداني- أن الوأد كان مستعملاً في قبائل العرب قاطبة. فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة. فجاء الإسلام، وكانت مذاهب العرب مختلفة في وأد الأولاد. فمنهم من كان يئد البنات لمزيد الغيرة ومخافة لحوق العار بهم من أجلهن. ومنهم من كان يئد من البنات من كانت زرقاء، أو شيماء (سوداء) أو برشاء (برصاء) أو كسحاء (عرجاء) تشاؤماً منهم بهذه الصفات. ومنهم كان يقتل أولاده خشية الإنفاق، وخوف الفقر...

وكانوا يقتلون البنات ويئدونهن بقسوة نادرة في بعض الأحيان، فقد يتأخر وأد المولودة لسفر الوالد وشغله، فلا يئدها إلا وقد كبرت، وصارت تعقل، وقد حكوا في ذلك عن أنفسهم مبكيات. وقد كان بعضهم يلقي الأنثى من شاهق...

إن الجاهلية هي الجاهلية. ولكل جاهلية أرجاسها وأدناسها. لا يهم موقعها من الزمان والمكان. فحيثما خلت قلوب الناس من عقيدة إلهية تحكم تصوراتهم، ومن شريعة- منبثقة من هذه العقيدة- تحكم حياتهم، فلن تكون إلا جاهلية في صورة من صورها الكثيرة. والجاهلية التي تتمرغ البشرية اليوم في وحلها، لا تختلف في طبيعتها عن تلك الجاهلية العربية أو غيرها من الجاهليات التي عاصرتها في أنحاء الأرض، حتى أنقذها منها الإسلام وطهرها وزكاها.

إن البشرية اليوم تعيش في ماخور كبير! ونظرة إلى صحافتها وأفلامها ومعارض أزيائها، ومسابقات جمالها، ومراقصها، وحاناتها، وإذاعاتها، ونظرة إلى سعارها المجنون للحم العاري، والأوضاع المثيرة، والإيحاءات المريضة، في الأدب والفن وأجهزة الإعلام كلها، إلى جانب نظامها الربوي، وما يكمن وراءه من سعار للمال، ووسائل خسيسة لجمعه وتثميره، وعمليات نصب واحتيال وابتزاز تلبس ثوب القانون. وإلى جانب التدهور الخلقي والانحلال الاجتماعي، الذي أصبح يهدد كل نفس وكل بيت، وكل نظام، وكل تجمع إنساني. نظرة إلى هذا كله تكفي للحكم على المصير البائس الذي تدلف إليه البشرية في ظل هذه الجاهلية.

إن البشرية تتآكل إنسانيتها، وتتحلل آدميتها، وهي تلهث وراء الحيوان، ومثيرات الحيوان. لتلحق بعالمه الهابط! والحيوان أنظف وأشرف وأطهر. لأنه محكوم بفطرة حازمة لا تتميع، ولا تأسن كما تأسن شهوات الإنسان حين ينفلت من رباط العقيدة، ومن نظام العقيدة، ويرتد إلى الجاهلية التي

أنقذه الله منها والتي يمتن الله على عباده المؤمنين بتطهيرهم منها)[1].

ونظرة خاصة للمجتمعات البشرية الكافرة اليوم ترينا حالة الشقاء والخوف، والحيرة والضنك التي تعيشها هذه المجتمعات؛ سواء على مستوى الأمن النفسي للأفراد؛ حيث القلق والأمراض النفسية والانتحارات، أو على مستوى الأمن الأسري في البيوت؛ حيث الضياع والتفكك الأسري، وهتك الأعراض، وكثرة أولاد الزنا، أو على مستوى المجتمعات حيث الجرائم الفظيعة على الأنفس والأموال والأعراض والعقول التي تفتك بها الخمور والمخدرات والكفر والإلحاد.

ويصف سيد قطب بعض أحوال هذه البشرية عندما تكفر بنعمة الإيمان والتوحيد فيقول:

(وما بدلت البشرية هذه النعمة إلا أصابها العقاب الشديد في حياتها على الأرض قبل عقاب الآخرة. وها هي ذي البشرية المنكودة في أنحاء الأرض كلها تعاني العقاب الشديد، وتجد الشقوة النكدة؛ وتعاني القلق والحيرة؛ ويأكل بعضها بعضاً؛ ويأكل الفرد منها نفسه وأعصابه، ويطاردها وتطارده بالأشباح المطلقة، وبالخواء القاتل الذي يحاول المتحضرون أن يملأوه تارة بالمسكرات والمخدرات، وتارة بالحركات الحائرة التي يخيل إليك معها أنهم هاربون تطاردهم الأشباح!

ونظرة إلى صورهم في الأوضاع العجيبة المتكلفة التي يظهرون بها: من

---

(١) في ظلال القرآن ١/٥٠٨-٥١١ (مع تقديم وتأخير) واختصار.

مائلة برأسها، إلى كاشفة عن صدرها، إلى رافعة ذيلها، إلى مبتدعة قبعة غريبة على هيئة حيوان! إلى واضع رباط عنق رسم عليه تيتل أو فيل! إلى لابس قميص تربعت عليه صورة أسد أو دب!

ونظرة إلى رقصاتهم المجنونة، وأغانيهم المحمومة، وأوضاعهم المتكلفة وأزيائهم الصارخة في بعض الحفلات والمناسبات، ومحاولة لفت النظر بالشذوذ الصارخ، أو ترضية المزاج بالتميز الفاضح..

ونظرة إلى التنقل السريع المحموم بين الأهواء والأزواج والصداقات والأزياء بين فصل وفصل، لا بل بين الصباح والمساء!

كل أولئك يكشف عن الحيرة القاتلة التي لا طمأنينة فيها ولا سلام. ويكشف عن حالة الملل الجاثم التي يفرون منها، وعن حالة الهروب من أنفسهم الخاوية وأرواحهم الموحشة. كالذي تطارده الجِنَّةُ والأشباح.

وإن هو إلا عقاب الله، لمن يحيد عن منهجه، ولا يستمع لدعوته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾[البقرة:٢٠٨].

ويقول في موطن آخر:

(والنظر إلى الواقع في حياة المجتمعات التي «تحررت» من قيود الدين والأخلاق والحياء في هذه العلاقة، يكفي لإلقاء الرعب في القلوب. لو كانت هنالك قلوب!

لقد كانت فوضى العلاقات الجنسية هي المعول الأول الذي حطم

الحضارات القديمة. حطم الحضارة الإغريقية، وحطم الحضارة الرومانية، وحطم الحضارة الفارسية. وهذه الفوضى ذاتها هي التي أخذت تحطم الحضارة الغربية الراهنة، وقد ظهرت آثار التحطيم شبه كاملة في انهيارات فرنسا التي سبقت في هذه الفوضى...

وبدأت هذه الآثار تظهر في أمريكا والسويد وانجلترا، وغيرها من دول الحضارة الحديثة...

وقد أجرت المعاهد العلمية عدة استفسارات عن (الحب الحر) في السويد فتبين أن الرجل تبدأ علاقاته الجناسية بدون زواج في سن الثامنة عشرة. والفتاة في سن الخامسة عشرة. وأن ٩٥ في المائة من الشبان في سن ٢١ سنة لهم علاقات جنسية!

وإذا أردنا تفصيلات تقنع المطالبين بحرية الحب، فإننا نقول: إن ٧ في المائة من هذه العلاقات الجنسية مع خطيبات، و٢٧ في المائة منها مع حبيبات! و٥٨ في المائة منها مع صديقات عابرات!

وإذا سجلنا النسب عن علاقة المرأة الجنسية بالرجل قبل سن العشرين. وجدنا أن ٣ في المائة من هذه العلاقات مع أزواج و٣٧ في المائة منها مع خطيب! و٦٤ في المائة منها مع صديق عابر!

وتقول الأبحاث العلمية: إن ٨٠ في المائة من نساء السويد مارسن علاقات جنسية كاملة قبل الزواج و٢٠ في المائة بقين بلا زواج!

وأدت حرية الحب بطبيعة الحال إلى الزواج المتأخر، وإلى الخطبة الطويلة

الأجل. مع زيادة عدد الأطفال غير الشرعيين كما قلت.

والنتيجة الطبيعية بعد ذلك أن يزيد تفكك الأسرة. إن أهل السويد يدافعون عن «حرية الحب» بقولهم: إن المجتمع السويدي ينظر نظرة احتقار إلى الخيانة بعد الزواج، كأي مجتمع متمدن آخر! وهذا صحيح لا ننكره! ولكنهم لا يستطيعون الدفاع عن الاتجاه إلى انقراض النسل. ثم الزيادة المروعة في نسبة الطلاق... والجيل الجديد ينحرف، وهذه ظاهرة جديدة تهدد الجيل الجديد في السويد وباقي دول اسكندنافيا. إن افتقادهم للإيمان يجرفهم إلى الانحراف، وإلى الإدمان على المخدرات والخمور. وقد قدر عدد أطفال العائلات التي لها أب مدمن بحوالي ١٧٥ ألفاً. أي ما يوازي ١٠ في المائة من مجموع أطفال العائلات كلها. وإقبال المراهقين على إدمان المخدرات يتضاعف. إن من يقبض عليهم البوليس السويدي في حالة سكر شديد من المراهقين بين سن ١٥ و١٧ يوازي ثلاثة أمثال عدد المقبوض عليهم بنفس السبب منذ ١٥ عاماً. وعادة الشرب بين المراهقين والمراهقات تسير من سيء إلى أسوأ.. ويتبع ذلك حقيقة رهيبة.

إن عُشر الذين يصلون إلى سن البلوغ في السويد يتعرضون لاضطرابات عقلية! ويقول أطباء السويد: إن ٥٠ في المائة من مرضاهم يعانون من اضطرابات عقلية تلازم أمراضهم الجسدية. ولاشك أن التمادي في التمتع بحرية عدم الإيمان سيضاعف هذه الانحرافات النفسية، ويزيد من دواعي

تفكك الأسرة، ويقربهم إلى هوة انقراض النسل[١].

والحال في أمريكا لا تقل عن هذه الحال، ونذر السوء تتوالى، والأمة الأمريكية في عنفوانها لا تلتفت إلى النذر. ولكن عوامل التدمير تعمل في كيانها، على الرغم من هذا الرواء الظاهري؛ وتعمل بسرعة، مما يشي بسرعة الدمار الداخلي على الرغم من كل الظواهر الخارجية!!!

لقد وجد الذين يبيعون أسرار أمريكا وبريطانيا العسكرية لأعدائهم، لا لأنهم في حاجة إلى المال. ولكن لأن بهم شذوذاً جنسياً ، ناشئاً من آثار الفوضى الجنسية السائدة في المجتمع...

...وكذلك من المعروف أن هناك مكاتب مهمتها البحث عن الزوجات الهاربات والبحث عن الأزواج الهاربين! وذلك في مجتمع لا يدري فيه الزوج إن كان سيعود فيجد زوجته في الدار أم يجدها قد طارت مع عشيق! ولا تدري زوجة إن كان زوجها الذي خرج في الصباح سيعود إليها أم ستخطفه أخرى أجمل منها أو أشد جاذبية! مجتمع تعيش البيوت فيه مثل هذا القلق الذي لا يدع عصباً يستريح!!!

وأخيراً يعلن رئيس الولايات المتحدة أن ستة من كل سبعة من شباب أمريكا لم يعودوا يصلحون للجندية بسبب الانحلال الخلقي الذي يعيشون فيه.

وقد كتبت إحدى المجلات الأمريكية منذ أكثر من ربع قرن تقول:

---

(١) ومعلوم أن هذه الاحصائيات كانت إبان حياة سيد قطب رحمه الله تعالى. فكيف بالاحصائيات المعاصرة إنها بلا شك أفظع وأشنع.

«عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثالوثها بدنيانا اليوم. وهي جميعها في تسعير مستمر لأهل الأرض، أولها: الأدب الفاحش الخليع الذي لا يفتأ يزداد في وقاحة ورواج بعد الحرب العالمية الأولى بسرعة عجيبة. والثاني: الأفلام السينمائية التي لا تذكي في الناس عواطف الحب الشهواني فحسب، بل تلقنهم دروساً عملية في بابه. والثالث: انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء، الذي يظهر في ملابسهن، بل في عريهن، وفي إكثارهن من التدخين، واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام. هذه المفاسد الثلاث إلى الزيادة والانتشار بتوالي الأيام. ولابد أن يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصرانيين وفناءهما آخر الأمر. فإن نحن لم نحد من طغيانها، فلا جرم أن يأتي تاريخنا مشابهاً لتاريخ الرومان، ومن تبعهم من سائر الأمم، الذين قد أوردهم هذا الاتباع للأهواء والشهوات موارد الهلكة والفناء، مع ما كانوا فيه من خمر ونساء، أو مشاغل رقص ولهو وغناء».

والذي حدث أن أمريكا لم تحد من طغيان هذه العوامل الثلاثة، بل استسلمت لها تماماً وهي تمضي في الطريق الذي سار فيه الرومان!...

... وكتب الطبيب العالم العالمي ألكسيس كاريل في كتابه: «الإنسان ذلك المجهول»:

«بالرغم من أننا بسبيل القضاء على إسهال الأطفال والسل والدفتريا والحمى التيفودية.. الخ. فقد حلت محلها أمراض الفساد والانحلال. فهناك عدد كبير من أمراض الجهاز العصبي والقوى العقلية؛ ففي بعض ولايات أمريكا يزيد عدد المجانين الذين يوجدون في المصحات على عدد المرضى

الموجودين في جميع المستشفيات الأخرى. وكالجنون، فإن الاضطرابات العصبية وضعف القوى العقلية آخذ في الازدياد. وهي أكثر العناصر نشاطاً في جلب التعاسة للأفراد، وتحطيم الأسر.. إن الفساد العقلي أكثر خطورة على الحضارة من الأمراض الحديثة التي تثير علماء الصحة والأطباء اهتمامهم عليها حتى الآن)[1].

ونظرة ثانية إلى ما يسود العالم اليوم من المخاوف، والحروب والدمار. كل ذلك يؤكد لنا تلك السنة الإلهية، والحقيقة الشرعية التي مفادها أن لا أمن ولا سلام ولا سعادة في هذه الدنيا إلا في ظل الإسلام الذي ارتضاه الله عز وجل ديناً لعباده، والذي يقوم على توحيد الله عز وجل، وطاعته وتحكيم شرعه. ومفادها أيضاً في الصورة المقابلة أن الناس إذا لم يعبدو الله عز وجل، ويحكموا شرعه، وأعرضوا عن دينه وذكره، فإنهم لن يذوقوا طعم الأمن، ولا طعم السلام، ولا طعم الرخاء والسعادة. قال الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢] وقال سبحانه: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقال سبحانه: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا ﴾ [طه: ١٢٤].

وقد رأينا في الصفحات السابقة تلك الصورة المشرقة، والحياة الهنيئة الآمنة التي يجدها المسلم في نفسه وفي أسرته وبيته وفي مجتمعه، وذلك في ظل

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٦٣٢-٦٣٧ (باختصار).

الإسلام، وتوحيد الله عز وجل، وتحكيم شرعه، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. ومن واجب شكر الله عز وجل على هذه النعمة العظيمة أن يحافظ عليها وأن يتجنب أسباب زوالها، كما أن من واجب شكرها على المسلمين السعي في إهدائها، وإيصالها إلى من حرمها من البشرية في هذا العالم بقدر المستطاع. وإذا لم نسع للحفاظ على هذه النعمة العظيمة في أنفسنا ومجتمعاتنا بطاعة الله عز وجل، وإذا لم نسع لإبلاغها للناس المحرومين منها، فإننا لن نكون مضيعين لأنفسنا في التيه فحسب، بل نكون مضيعين للبشرية كلها حين تحرم من هذا الخير الذي لو وجدته لوجدت عنده الأمن والسلام والطمأنينة بعد طول الشرود والقلق والعناء. فلنقدر تبعتنا تجاه أنفسنا وتجاه البشرية بأسرها.

وهنا يرد سؤال هام. ألا وهو: ما الوسيلة إلى إيصال هذا الخير الذي هو دين الإسلام إلى البشرية لتهنأ به وتسعد في ظلاله بالأمن والسلام؟

والجواب: في قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ... الآية ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن هاتين الآيتين يتضح لنا تلك الأمانة العظيمة والمسؤولية الجسيمة الملقاة على كاهل المسلمين، وبخاصة العلماء، والدعاة والأغنياء منهم، التي توجب عليهم إيصال التوحيد المتمثل في دين الإسلام، وما يتضمن من أحكام كلها عدل وخير ومصلحة وأمن وسلام ورحمة إلى الناس كافة. وفي

هذا يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: (والمسلمون إذن مكلفون تبعات إنسانية تجاه هذه البشرية بحكم وصايتهم هذه عليها، ووصاية كتابهم على كتبها. هم مكلفون أن يحققوا في الأرض ذلك السلام الذي أسلفنا خطواته في الضمير والبيت والمجتمع؛ وعرفنا أسسه ومبادئه من إفراد الله سبحانه بالألوهية وبالربوبية وبالحاكمية؛ ومن العدل والمساواة والحرية، ومن ضمانات الحياة القانونية والمعيشية؛ ومن منع البغي وإزالة الظلم، وتحقيق التوازن الاجتماعي، والتكافل والتعاون، وإزالة أسباب الفرقة والخصام والنزاع بين الأفراد وبين الجماعات، وسد الذرائع التي تدعو إلى قيام الطبقات وتميزها وصراعها. إلى آخر ما سبق بيانه في الفصول المتقدمة من هذا الكتاب. وقد جاءت هذه الأمة وسطاً عدلاً بين طرفي التفريط والإفراط في كل اتجاهات الحياة، كما ترسم لها حدود هذا الدين ومبادئه التي عرضنا طرفاً منها في مجال السلام، فكان عليها أن تنهض بهذا العبء، وألا تنكل عنه، لأنه نصيبها المقدر لها في الحياة من خالق الحياة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣] ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠].)[1] أ.هـ

ويمكن أداء هذه الأمانة عن طريق اثنين:

أولهما: البلاغ العام بوسائله المختلفة المسموع منها، والمقروء والمشاهد الذي يبين للناس حقيقة التوحيد، وحقيقة دين الإسلام، وما فيه من الخير

(١) السلام العالمي والإسلام، ص ١٦٨،١٦٩.

والأمن والسلام والرخاء في الدنيا لمن اتبعه. وفي الآخرة ينجو من دار الشقاء والعذاب والهموم والغموم، ويفوز بدار السلام والأمان في جنات ونعيم ادخلوها بسلام آمنين.

وهذا الأمر يستوجب جهوداً ضخمة، وتضحيات وأموال وتنظيم وتخطيط.

ثانيهما: الجهاد في سبيل الله تعالى. وذلك حين يحول الطواغيت بين الناس وبين البلاغ الموجه لهم؛ فحينئذ يشرع الجهاد في سبيل الله تعالى؛ لا لإكراه الناس على الإسلام . وإنما لرفع الفتنة عن المؤمنين كما هو الحال في جهاد الدفع، أو لإزالة وتكسير الحواجز والطواغيت الذين يحولون بين الناس وبين أن يصل إليهم الحق بصورته النقية، ويقيم فيهم شرع الله تعالى والتوحيد الذي قامت عليه السموات والأرض، وأنزلت من أجله الكتب وأرسلت الرسل، الذين ختم بهم رسول الإسلام محمد ﷺ إلى الناس كافة. كما هو الحال في جهاد الطلب.

والجهاد ضرورة شرعية وحكم قدري. لأن حكمة الله عز وجل اقتضت أن يكون هناك صراع بين الحق والباطل؛ وذلك بأن يقيض للحق وأهله أعداءً من الباطل وأهله يمكرون في الأرض ويصدون الناس عن سبيل الله عز وجل. وحينئذ تأتي شعيرة الجهاد لتدفع عن الناس هؤلاء الطواغيت الذين هم أعداء البشرية بحق، وأعداء أمنها وسلامها ورخائها، وذلك لوقوفهم في سبيل هذا الدين الذي هو أساس أمن الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

إذن نستطيع القول وبأعلى صوتنا: أن الجهاد في الإسلام شرع لأمن البشرية، وخيرها، وإن سقط فيه من سقط من القتلى، لأن هؤلاء القتلى إما أن يكونوا مسلمين فهم شهداء عند الله عز وجل وآمنين في جنات النعيم، وإما أن يكونوا كفارا فلا أسف عليهم لأنه بزوالهم يزول عن الناس أعداء الأمن الحقيقيون، الذين يحولون بينهم وبين الحياة الآمنة الرخية في الدنيا والآخرة. وماذا تساوي التضحيات والجراحات، والقتل في ساحات الجهاد بالنسبة إلى مآلات الجهاد، الذي فيه سعادة البشرية، وأمنها وإنقاذها من استعباد الطواغيت لها؛ وما يترتب على ذلك من ظلم وإرهاق وشقاء في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى في مشروعية الجهاد وحكمته: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال:٣٩] فإذا زالت الفتنة -وهي الشرك والكفر- وصار الدين كله لله فثم الأمن والسلام للناس. وحينئذ لا إكراه في الدين بعد وضوح الحق والباطل، قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة:٢٥٦] ومن اختار البقاء على دينه بعد ذلك فسيبقى آمنا له حقوقه وله الحماية من الدولة المسلمة على أن يدفع الجزية مقابل هذه الحقوق إذا كان قادراً.

(والأمة الإسلامية مكلفة أن تنشر التوحيد في العالم، وأن ترفع الظلم والفتنة عن الناس، وتمتعهم بالعدل، والأمن والسلام بكل صنوفه: سلام الفرد، وسلام البيت والأسرة، وسلام المجتمع ثم سلام الإنسانية في النهاية...

وهذه الخطوط تصور طبيعة السلام العالمي في الإسلام؛ فليس هو سلاماً بالمعنى الضيق أي تجنب القتال بأي ثمن، وأياً كانت الأسس التي يقوم عليها ترك القتال. إن هنالك سلماً رخيصة دنية، هي السلم التي تقام على حساب البشرية، وعلى حساب المبادئ العليا للإنسانية، كما أرادها الله في الأرض لبني الإنسان، وهذه هي السلم التي يحذر الله المسلمين منها: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ [محمد:٣٥] الأعلون لأنكم تمثلون الصورة العليا للحياة، والتي لابد لها من النصر حين يؤمن الناس بها لأنها من كلمة الله : ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد:٧]، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠،٤١] (١)

أ.هـ لقد انتضى الإسلام السيف، وناضل وجاهد في تاريخه الطويل. لا ليكره أحداً على الإسلام ولكن ليكفل عدة أهداف كلها تقتضي الجهاد.

جاهد الإسلام أولاً ليدفع عن المؤمنين الأذى، والفتنة التي كانوا يسامونها؛ وليكفل لهم الأمن على أنفسهم، وأموالهم، وعقيدتهم. وقرر ذلك المبدأ العظيم ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ . فاعتبر الاعتداء على العقيدة والإيذاء بسببها، وفتنة أهلها عنها أشد من الاعتداء على الحياة ذاتها. فالعقيدة أعظم قيمة من الحياة وفق هذا المبدأ العظيم. وإذا كان المؤمن مأذوناً في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله، فهو من باب أولى مأذون في

---

(١) انظر: السلام العالمي والإسلام (بتصرف يسير) ص١٧٢،١٧٣.

القتال ليدافع عن عقيدته ودينه. وقد كان المسلمون يسامون الفتنة عن عقيدتهم ويؤذون، ولم يكن لهم بد أن يدفعوا هذه الفتنة عن أعز ما يملكون. يسامون الفتنة عن عقيدتهم، ويؤذون فيها في مواطن من الأرض شتى. وقد شهدت الأندلس من بشاعة التعذيب الوحشي والتقتيل الجماعي لفتنة المسلمين عن دينهم، وفتنة أصحاب المذاهب المسيحية الأخرى ليرتدوا إلى الكثلكة، ما ترك إسبانيا اليوم ولا ظل فيها للإسلام! ولا للمذاهب المسيحية الأخرى ذاتها! كما شهدت بيت المقدس، وما حوله بشاعة الهجمات الصليبية التي لم تكن موجهة إلا للعقيدة والإجهاز عليها؛ والتي خاضها المسلمون في هذه المنطقة تحت لواء العقيدة وحدها، فانتصروا فيها؛ وحموا هذه البقعة من مصير الأندلس الأليم. وما يزال المسلمون يسامون الفتنة في أرجاء المناطق الشيوعية والوثنية والصهيونية والمسيحية في أنحاء من الأرض شتى. وما يزال الجهاد مفروضاً عليهم لرد الفتنة إن كانوا حقاً مسلمين!

وجاهد الإسلام ثانياً لتقرير حرية الدعوة- بعد تقرير حرية العقيدة- فقد جاء الإسلام بأكمل تصور للوجود والحياة، وبأرقى نظام لتطوير الحياة. جاء بهذا الخير ليهديه إلى البشرية كلها؛ ويبلغه إلى أسماعها وإلى قلوبها. فمن شاء بعد البيان والبلاغ فليؤمن ومن شاء فليكفر. ولا إكراه في الدين. ولكن ينبغي قبل ذلك أن تزول العقبات من طريق إبلاغ هذا الخير للناس كافة؛ كما جاء من عند الله للناس كافة. وأن تزول الحواجز التي تمنع الناس أن يسمعوا وأن يقتنعوا، وأن ينضموا إلى موكب الهدى إذا أرادوا. ومن هذه

الحواجز أن تكون هناك نظم طاغية في الأرض تصد الناس عن الاستماع إلى الهدى، وتفتن المهتدين أيضاً، فجاهد الإسلام ليحطم هذه النظم الطاغية؛ وليقيم مكانها نظاماً عادلاً يكفل حرية الدعوة إلى الحق في كل مكان وحرية الدعاة. وما يزال هذا الهدف قائماً، وما يزال الجهاد مفروضاً على المسلمين ليبلغوه إن كانوا مسلمين!

وجاهد الإسلام ثالثاً ليقيم في الأرض نظامه الخاص ويقرره ويحميه. وهو وحده النظام الذي يحقق حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان؛ حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال؛ ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها. فليس هنالك فرد ولا طبقة ولا أمة تشرع الأحكام للناس، وتستذلهم عن طريق التشريع، إنما هنالك رب واحد للناس جميعاً هو الذي يشرع لهم على السواء، وإليه وحده يتجهون بالطاعة والخضوع ، كما يتجهون إليه وحده بالإيمان والعبادة سواء. فلا طاعة في هذا النظام لبشر إلا أن يكون منفذاً لشريعة الله، موكلاً عن الجماعة للقيام بهذا التنفيذ. حيث لا يملك أن يشرع هو ابتداء، لأن التشريع من شأن الألوهية وحدها، وهو مظهر الألوهية في حياة البشر، فلا يجوز أن يزاوله إنسان فيدعي لنفسه مقام الألوهية وهو واحد من العبيد!

هذه هي قاعدة النظام الرباني الذي جاء به الإسلام. وعلى هذه القاعدة يقوم نظام أخلاقي نظيف تكفل فيه الحرية لكل إنسان، حتى لمن لا يعتنق عقيدة الإسلام، وتصان فيه حرمات كل أحد حتى الذين لا يعتنقون الإسلام، وتحفظ فيه حقوق كل مواطن في الوطن الإسلامي أياً كانت

عقيدته. ولا يكره فيه أحد على اعتناق عقيدة الإسلام، ولا إكراه فيه على الدين إنما هو البلاغ.

جاهد الإسلام ليقيم هذا النظام الرفيع في الأرض ويقرره ويحميه. وكان من حقه أن يجاهد ليحطم النظم الباغية التي تقوم على عبودية البشر للبشر، والتي يدعي فيها العبيد مقام الألوهية، ويزاولون فيها وظيفة الألوهية-بغير حق- ولم يكن بد أن تقاومه تلك النظم الباغية في الأرض كلها وتناصبه العداء. ولم يكن بد كذلك أن يسحقها الإسلام سحقاً ليعلن نظامه الرفيع في الأرض، ثم يدع الناس في ظله أحراراً في عقائدهم الخاصة. لا يلزمهم إلا بالطاعة لشرائعه الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والدولية. أما عقيدة القلب فهم فيها أحرار. وأما أحوالهم الشخصية فهم فيها أحرار، يزاولونها وفق عقائدهم؛ والإسلام يقوم عليهم يحميهم، ويحمي حريتهم في العقيدة ويكفل لهم حقوقهم، ويصون لهم حرماتهم، في حدود ذلك النظام.

وما يزال هذا الجهاد لإقامة هذا النظام الرفيع مفروضاً على المسلمين: ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣].. فلا تكون هناك ألوهية للعبيد في الأرض، ولا دينونة لغير الله.

لم يحمل الإسلام السيف إذن ليكره الناس على إعتناقه عقيدة؛ ولم ينتشر بالسيف على هذا المعنى كما يريد بعض أعدائه أن يتهموه! إنما جاهد ليقيم نظاماً آمناً يأمن في ظله أصحاب العقائد جميعاً. ويعيشون في إطاره خاضعين له وإن لم يعتنقوا عقيدته...

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة:٢٥٦] .. نعم ولكن: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم

مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]..

وهذا هو قوام الأمر في نظر الإسلام. وهكذا ينبغي أن يعرف المسلمون حقيقة دينهم، وحقيقة تاريخهم؛ فلا يقفوا بدينهم موقف المتهم الذي يحاول الدفاع؛ إنما يقفون به دائماً موقف المطمئن الواثق المستعلي على تصورات الأرض جميعاً، وعلى نظم الأرض جميعاً، وعلى مذاهب الأرض جميعاً. ولا ينخدعوا بمن يتظاهر بالدفاع عن دينهم بتجريده في حسهم من حقه في الجهاد لتأمين أهله؛ والجهاد لكسر شوكة الباطل المعتدي؛ والجهاد لتمتيع البشرية كلها بالخير الذي جاء به؛ والذي لا يجني أحد على البشرية جناية من يحرمها منه، ويحول بينها وبينه. فهذا هو أعدى أعداء البشرية، الذي ينبغي أن تطارده البشرية لو رشدت وعقلت. وإلى أن ترشد البشرية وتعقل، يجب أن يطارده المؤمنون، الذين اختارهم الله وحباهم بنعمة الإيمان، فذلك واجبهم لأنفسهم وللبشرية كلها، وهم مطالبون بهذا الواجب أمام الله)[1].

وبعد وضوح الغاية من الجهاد في الإسلام، وأنه يهدف إلى إنقاذ البشرية مما هي عليه من الكفر والظلم، اللذان هما مصدر الخوف والشقاء، وانعدام الأمن، ويرهب أعداء الله عز وجل الذين هم في الحقيقة أعداء البشرية وأعداء أمنها، ويزيلهم من طريق الحق والأمن والسلام، لينتشر التوحيد في الناس.

ومع ذلك فالجهاد في الإسلام الذي هذه غايته له أحكام وآداب سامقة

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٢٩٤-٢٩٩ (باختصار).

تدل على سماحة هذا الدين ورحمته بالناس. وأسوق فيما يلي بعض هذه الأحكام المتعلقة بالجهاد والتي تدل على حرص هذا الدين، على أمن الناس، وانتشار التوحيد والعدل والأمن والسلام بينهم، وأن القتال ليس مقصوداً لذاته في الإسلام وإنما لإزالة أعداء الإيمان والتوحيد والسلام الذين يمنعون أن يكون الدين كله لله.

أولاً: يحرم الإسلام على المجاهدين في سبيل الله عز وجل أن يقتلوا غير المحاربين لهم، فمن اعتزل قتال المسلمين من الكفار فلا يجوز قتله ولا تخويفه. كما جاء في وصية الرسول ﷺ وخلفائه من بعده للمجاهدين في سبيل الله تعالى.

- فعن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمّر الأمير على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى وبمن معه من المسلمين خيراً. ثم قال له : «أغزوا باسم الله في سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله أغزوا ولا تغلُّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا»[(١)].
- وروى مالك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: «ستجدون قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له، ولا تقتلن أمرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً»[(٢)].
- وقال زيد بن وهب : أتانا كتاب عمر رضي الله عنه وفيه : «لا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا واتقوا الله في الفلاحين»[(٣)]. ومن وصاياه:

---

(١) مسلم (١٧٣١).

(٢) الموطأ ٤٤٧ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ٩١.

«لا تقتلوا هرماً ولا امرأة ولا وليدا وتوقوا قتلهم إذا التقى الزحفان وعند شن الغارات»[1].

ثانياً: يشدد الإسلام في الوفاء بالعهود والعقود، وينهى عن الغدر والخيانة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة:١] وقال عز وجل: ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً ﴾ [الإسراء:٣٤] وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة:٤١] وعندما تظهر القرائن على خيانة المشركين المعاهدين، ويخشى خيانتهم فإن الإسلام يشعرهم بانتهاء العهد، وينبذه إليهم قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال:٥٨].

ثالثاً: إذا خضع الكفار لشريعة الله تعالى، وبقي منهم من بقي على كفره فإنه لا يكره على الإسلام، وإنما يدفع الجزية مقابل حمايته والقيام بحقوقه في ظل الدولة الإسلامية. وقد عاش الذميون حياة عادلة آمنة في ظل الإسلام لم يكونوا يجدونها في ظل دولهم الكافرة. ومنها أن الذمي يحرم الاعتداء عليه في نفسه وماله وعرضه وإذا عجز عن دفع الجزية لم يجبر عليها.

- رأى عمر رضي الله عنه شيخاً ضريراً يسأل على باب فسأل فعلم أنه يهودي فقال له: ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر بيده، وذهب به إلى منزله، فأعطاه ما يكفيه ساعتها، وأرسل إلى خازن بيت المال: «انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا

---

(١) .

شبيبته، ثم نخذله عند الهرم. ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة:٦٠]. وهذا من مساكين أهل الكتاب».

- ولما سافر إلى دمشق مر بأرض قوم مجذمين من النصارى، فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم القوت.
- وكان من آخر وصاياه رضي الله عنه لمن يخلفه من بعده قوله: «وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفي لهم بعهدهم وأن لا يكلفوا إلا طاقتهم».
- ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن وعسكر أبو عبيدة في فحل، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون: «يامعشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا. ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا». وغلق أهل حمص أبواب منازلهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم، وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم.

فإذا نحن ألقينا من هذه القمة الشامخة التي يقف عليها الإسلام في سلمه وحربه، نظرة على المستنقع الآسن الذي تلغ فيه الحضارة الغربية سلماً وحرباً، أدركنا بُعْد الشقة بين نظام ينزله الله للبشر، ونظام يضعه الناس للناس. وأدركنا كم خسرت البشرية يوم تنكرت لنظام الله. وهي تتعثر في تكبر مضحك وفي تعالم مضحك، تريد أن تقول: إنها تريد لنفسها خيراً مما أراد الله، وإنها تملك لنفسها خيراً مما أعطاها الله!

وستظل هذه البشرية تطلع في طريق كلها منحدرات وآكام؛ وتلغ في كل

مستنقع آسن من صنع الحضارة الكافرة المغرورة الضالة عن الله. إلى أن يتسلم الإسلام الزمام، فيقود البشرية الحائرة إلى مثابة العدل والنظام والسلام.

ولقد شهدت البشرية في الحقبة التي سيطرت فيها أوربا مُثُلاً من عهود الغابة، وصوراً من شرائع الذئاب. شرائع الغدر والنفاق والخسة، ونقض العهود، وخيانة الوعود، وتمزيق الاتفاقيات، ووصف المعاهدات بأنها قصاصات من الورق. كما شهدت من وحشية الحرب ما تخجل الوحوش أن تأتيه. وكان آخر هذه الوحشية السافرة قنبلتا هيروشيما وناجازاكي.

وستشهد البشرية في مستقبلها القريب من ألوان الخيانة والغدر، ومن صنوف الوحشية والبربرية ما يتفق مع روح هذه الحضارة المادية الكافرة، التي لا تؤمن بدين ولا خلق، ولا تقيد نفسها بمبدأ ولا ضمير، مما يتمشى مع الفكرة المادية الغليظة التي تسيطر على هذه الحضارة، فتنفي من الحياة كل عنصر غير المصلحة المباشرة والعنصرية اللئيمة...

والسماحة الإنسانية، عنصر هام لإقرار السلام، تفقده كل الحضارات التي تُظلل العالم اليوم. هذا العالم الذي تمزقه العصبيات الدينية، والعصبيات العنصرية، والعصبيات المذهبية، ويقف على شفا جرفٍ هار بسبب تلك العصبيات الذميمة، التي تنقصها روح السماحة الإنسانية، وروح العدالة الحقيقية، والتي تنطلق وفي إثرها الأحقاد والحزازات، والمطامع الاقتصادية وغير الاقتصادية، فتحيل الحياة البشرية جحيماً في الحرب وجحيماً في السلم، وتنشر فيه المجاعات والمخاوف؛ وتقف الأمم بعضها من بعض

موقف الحذر الدائم والقلق الدائم، وتثقل على أعصاب الناس فتصيبهم بالضغط العصبي والدموي، وتدعهم في تربص بأنفسهم وسواهم، وفي ذعر لا أمن فيه، وحقد لا سلام فيه، وظلمة لا بصيص فيها. ومع هذا كله، تجد تلك الحضارات البائسة معجبين ومدافعين . وهي تسوم البشرية شقاء بعد شقاء، وحرباً بعد حرب، وبلاء بعد بلاء. لماذا؟ لأنها تملك تسخير الحديد والنار والكهرباء والبخار، وتملك صنع القنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية والأقمار الصناعية، ولا تملك ذرة واحدة من ذرات المحبة ولا عنصراً واحداً من عناصر السماحة، ولا طاقة واحدة من طاقات الإنسانية!

ألا إنه المسخ الذي يصيب الروح البشرية في عصر الظلام الروحي والانتكاس. وما هنالك من بلسم يمس هذه الروح فيشفيها، وما هنالك من شعاع يضيء ظلماتها وخوافيها، إلا أن يقود الإسلام البشرية مرة أخرى، فيردها إلى السماحة الإنسانية، ويحيل كشوفها وعلومها أداة رحمة وحضارة وسلام)[1].

(١) انظر: السلام العالمي والإسلام (باختصار) ص١٨٥-١٨٧.

المبحث الثاني
الأمن عند الموت وبعده

مر بنا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وفهمنا من هذه الآية أن الأمن والإهتداء في الدنيا والآخرة لا يكونان إلا لمن آمن بالله ووحده، وأطاعه، ولم يلبس إيمانه بظلم. ولكن الناس يتفاوتون في هذا الأمن والاهتداء حسب تحقيقهم للإيمان وخلوصهم من الظلم. فإن خلص الإيمان من الشرك الأكبر الذي هو أعظم الظلم، وخلص من ظلم العباد، وخلص من ظلم العبد لنفسه بما دون الشرك من الكبائر والمعاصي وذلك باجتنابها أو التوبة الصادقة منها قبل الموت؛ فإن هذا الصنف من الناس يحصلون على الأمن التام في الدنيا وعند الموت وبعد الموت في البرزخ ويوم القيامة. وهم الذين وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٣٢] وبقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

أما إذا شاب الإيمان شيء من الظلم، فينظر إلى هذا الظلم فإن كان من الظلم الأكبر الذي هو الشرك بالله عز وجل، فإن صاحبه محروم من مطلق الأمن في الدنيا والآخرة؛ فلا يشعر في الدنيا بأمن ولا سعادة ولا طمأنينة

لفقده الإيمان. ولا ينعم بالأمن عند موته، بل تغشاه كرب الموت وغمراته وزجر ملائكة العذاب وضربهم له كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال: ٥٠] ولا يؤمنون في قبروهم بل الفزع والعذاب المؤلم إلى يوم القيامة ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦] ويوم القيامة يحزنهم الفزع الأكبر، ويدخلون دار الشقاء والخوف والعذاب الأليم.

أما إذا كان هذا الظلم ما دون الشرك الأكبر كمظالم العباد، أو الكبائر والمعاصي التي مات العبد وهو مصر عليها، فإن هذا يحصل له الأمن في نهاية المطاف بدخوله الجنة دار الأمن والسلم بما معه من الإيمان والتوحيد والعمل الدال على صدق إيمانه؛ لكنه معرض للمخاوف والعذاب في البرزخ ويوم القيامة، حتى يتطيب ويزول خبثه، ويتهيأ لدخول الجنة دار الطيبين، لأن الجنة لا يدخلها إلا طيبا قال تعالى عن أهل الجنة: ﴿ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر:٧٣]. وقد يدرك العبد الظالم لنفسه ظلما دون الشرك أحد الأسباب التي تحول بينه وبين عقوبة ذنوبه فلا يعذب. ومن هذه الأسباب ما ذكرها شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى بقوله:

«على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب:

أحدها: التوبة: وهذا متفق عليه بين المسلمين؛ قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ

ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١٠٤]..

السبب الثاني: الاستغفار لقوله ﷺ : «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر الله لهم».[(١)]..

السبب الثالث: الحسنات الماحية كما قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود:١١٤] وقال ﷺ : «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[(٢)]..

السبب الرابع: دعاء المؤمنين للمؤمن مثل صلاتهم على جنازته؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه»[(٣)]...

وهذا دعاء له بعد الموت، فلا يجوز أن تحمل المغفرة على المؤمن التقي الذي اجتنب الكبائر. وكفرت عنه الصغائر وحده، فإن ذلك مغفور له عند المتنازعين، فعلم أن هذا الدعاء من أسباب المغفرة للميت.

السبب الخامس: ما يعمل للميت من أعمال البر كالصدقة ونحوها...

السبب السادس: شفاعة النبي ﷺ وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة

---

(١) البزار (٣٢٤٧) وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٢١٥ رجاله ثقات وصححه الألباني في السلسلة (٩٧٠).
(٢) مسلم في الطهارة (٢٣٣).
(٣) مسلم في الجنائز (٩٤٨).

كما قد تواترت عنه أحاديث الشفاعة مثل قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[١]...

السبب السابع: المصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا، كما في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى – حتى الشوكة يشاكها- إلا كفر الله بها من خطاياه»[٢].

السبب الثامن: ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة؛ فإن هذا مما يكفر به الخطايا.

السبب التاسع: أهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها.

السبب العاشر: رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد[٣].

تنبيه مهم:

دأب كثير من الناس في حديثه عن الأمن اقتصاره في ذلك على الأمن في الحياة الدنيا، وعدم التطرق عند الحديث عن الأمن عن أمن الآخرة وأهوالها، ولا عن أمن القبر ونعيمه وعذابه ولذا يحرص أكثر الناس اليوم على توفير الأمن في حياتهم الدنيا وبخاصة على النفس والأهل والمال والعرض، ويبذلون ما في وسعهم من الأسباب لتحقيق السلام والأمن

---

(١) أحمد ٣/ ٢١٣ والترمذي (٢٤٣٠) وقال حسن صحيح.

(٢) البخاري (٥٦٤١) ومسلم (٢٥٧٣).

(٣) مجمع الفتاوى ٧/ ٤٨٧-٥٠١ (باختصار).

والسعادة في حياتهم الدنيا. والقليل القليل منا من يوجه همه وتفكيره وحركته للفوز بالأمن الحقيقي والسلام السرمدي يوم يبعث الله من في القبور ويحصل ما في الصدور ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ [الروم:١٤] فريق في الجنة آمنون سالمون منعمون أبد الآباد، وفريق في السعير معذبون مكروبون لا يموتون فيها، وما هم منها بمخرجين أبد الآباد. قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ [المعارج: ٢٧،٢٨] وقال سبحانه: ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [فصلت: ٤٠]. فأي الدارين أحق بتوفير الأمن فيها أدار الدنيا الفانية الزائلة بأفراحها وأتراحها، أم الدار الباقية السرمدية بنعيمها أو عذابها؟ لاشك أن منطق الشرع والعقل يؤثر الآخرة على الأولى. والعاقل من مهد لنفسه ليرتاح الراحة التامة الكاملة الأبدية في دار الخلد والسلام. والعاجز الأحمق من غفل عن ما بعد الموت وعن اليوم الآخر وانشغل بدنياه الفانية الزائلة عما وراءه من الأهوال والأفزاع والحساب والعذاب ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧] و﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج:٢].

والعجب كل العجب أنه مع كل هذا التذكير، والتنبيه والتحذير من ربنا الرحمن الرحيم من هذا اليوم العصيب، وأثره على أمن مستقبلنا الأبدي، إلا أن حالنا في هذا الزمان حال الغافل اللاهي عن كل هذه التحذيرات،

فلا تكاد تجد منا- إلا من رحم الله- إلا من هو منشغل بالتفاهات من هذه الدنيا الدنية، قد استهلكت عليه وقته، وأصبح في دوامة مستمرة منذ أن يصبح وحتى ينام آخر الليل.

وما هنالك أشد من مرض الغفلة، ولكن الأدهى والأمر أن يكون المرء من أهل الغفلة وهو لا يشعر بذلك، وهذه الحالة – والعياذ بالله- قد تتحول إلى جمود وتحجر وقسوة، ثم إلى لجاج وعناد.

وإذا كان الكتاب والسنة قد اهتما غاية الاهتمام بتفاصيل هذا اليوم المشهود، وخوفا منه ومن أهواله، فإنه من الحمق والجهل أن لا نهتم بما اهتم به كتاب ربنا – سبحانه- وسنة نبينا محمد ﷺ.

والدليل على هذا الحمق أن نجد الكثير منا – إلا من رحم الله- يكد ويتعب من أجل مستقبل قريب يسعى – بزعمه – لتأمينه، وهذا المستقبل بالإضافة إلى ما قد مرّ من عمرْ الإنسان لا يتعدى في الغالب الستين أو السبعين سنة، وقليل من يتجاوز ذلك، ولنفرض أنه مائة أو أكثر، فماذا يساوي بالنسبة إلى المستقبل البعيد الأبدي السرمدي والذي لا نهاية له؟ إنه لا يساوي شيئاً، فلماذا نحن بأمن المستقبل القريب الفاني مشتغلون وعليه مثابرون، وعن أمن مستقبلنا الأبدي السرمدي منشغلون ولاهون؟ إنه لابد من وقفة محاسبة وتأمل.

إن أعظم قضية يجب أن ينشغل بال كل واحد منا بها هي: قضية وجوده وحياته والغاية منها، وقضية مستقبله ومصيره وشقائه وسعادته فيه؛ فلا

يجوز أن يتقدم ذلك شيء مهما كان شأنه، فكل أمر دونه صغير، وكل خطب سواه حقير، وهل هناك خطب أعظم وأفظع من أن يخسر الإنسان نفسه وأهله ويخسر سعادته وسعادتهم؟! فماذا بقي له بعد ذلك! وما قيمة الدنيا الفانية وزخرفها وزينتها وراء ذلك؟ قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الزمر:١٥].

ولو لم يكن في انتظارنا إلا الموت وسكراته وغصصه لكفى به واعظاً ومكدِّراً، فكيف ووراءه يوم البعث والحساب والجزاء والجنة أو النار.

يومٌ تحار فيه العقول، وتذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، ويكون الولدان فيه شيباً. فاللهم اجعلنا في ذلك اليوم من الآمنين.

ولا يفهم مما سبق أن لا يهتم المسلم بدنياه، والأخذ بأسباب الأمن والسلامة فيها؛ وإنما كان المقصود أن لا ننسى ولا نغفل عن الأمن الأبدي الحقيقي وهو الأمن يوم القيامة، وأن يكون اهتمامنا وسعينا لأن نكون من الآمنين في الدار الآخرة أكبر وأشد من سعينا لذلك في الدنيا الفانية الزائلة. مع أن طاعة الله عز وجل وخوف اليوم الآخر يحصل بهما الأمن في الدنيا قبل الآخرة كما سبق بيانه. إذن فالأمن في الدارين مصدرهما طاعة الله وتوحيده واتقاء مساخطه، وأسباب عقابه.

وأرى في هذا المقام أن أعيد ما نقلته سابقاً عن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عند قوله عز وجل: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم:١٥] ثم تكرار هذا مع عيسى عليه الصلاة والسلام في قوله: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ

عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣٣] لمناسبته المقام.

قال رحمه الله تعالى: (قيل : ما الحكمة في تقييد السلام في قصتي يحيى والمسيح صلوات الله عليهما بهذه الأوقات الثلاثة؟

فسرُّه والله أعلم: أن طلب السلامة يتأكد في المواضع التي هي مظان العطب ومواطن الوحشة، وكلما كان الموضع مظنة ذلك تأكد طلب السلامة، وتعلقت بها الهمة؛ فذكرت هذه المواطن الثلاثة لأن السلامة فيها آكد وطلبها أهم، والنفس عليها أحرص، لأن العبد فيها قد انتقل من دار كان مستقراً فيها، موطن النفس على صحبتها وسكناها إلى دار هو فيها معرض للآفات والمحن والبلاء؛ فإن الجنين من حين خرج إلى هذه الدار انتصب لبلائها، وشدائدها ولأوائها ومحنها، وأفكارها؛ كما أفصح الشاعر بهذا المعنى حيث يقول:

تأمل بكاء الطفل عند خروجه ... إلى هذه الدنيا إذا هو يولد
تجد تحته سراً عجيباً كأنه ... بكل الذي يلقاه منها مهدد
وإلا فما يبكيه منها وإنها ... لأوسع مما كان فيه وأرغد

ولهذا من حين ابتدرته طعنة الشيطان في خاصرته فبكى لذلك، ولما حصل له من الوحشة بفراق وطنه الأول. وهو الذي أدركه الأطباء والطبائعيون. وأما ما أخبر به الرسول ﷺ فليس في صناعتهم ما يدل عليه، كما ليس فيها ما ينفيه فكان طلب السلامة في هذه المواطن من آكد الأمور.

الموطن الثاني: خروجه من هذه الدار إلى دار البرزخ عند الموت ونسبة

الدنيا إلى تلك الدار كنسبة داره في بطن أمه إلى الدنيا تقريباً وتمثيلاً، وإلا فالأمر أعظم من ذلك وأكبر. وطلب السلامة أيضاً عند انتقاله إلى تلك الدار من أهم الأمور.

الموطن الثالث: موطن يوم القيامة يوم يبعث الله الأحياء ولا نسبة لما قبله من الدور إليه. وطلب السلامة فيه آكد من جميع ما قبله؛ فإن عطبه لا يستدرك، وعثرته لا تقال، وسقمه لا يداوى، وفقره لا يسد. فتأمل كيف خص هذه المواطن بالسلام لشدة الحاجة إلى السلامة فيها.

واعرف قدر القرآن وما تضمنه من الأسرار وكنوز العلم والمعارف التي عجزت عقول الخلائق عن إحصاء عشر معشارها. وتأمل ما في السلام من الزيادة على السلامة من الأنس وذهاب الوحشة، ثم نزل ذلك على الوحشة الحاصلة للعبد في هذه المواطن الثلاثة عند خروجه إلى عالم الابتلاء، وعند معاينته هول المطلع إذا قدم على الله وحيداً مجرداً عن كل مؤنس إلا ما قدمه من صالح عمل، وعند موافاته القيامة مع الجمع الأعظم ليصير إلى إحدى الدارين التي خلق لها، واستعمل بعمل أهلها. فأي موطن آخر يطلب السلامة من هذه المواطن. فنسأل الله السلامة فيها بمنه وكرمه ولطفه وجوده وإحسانه) [1].

وقال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره عند هذه الآية:

---

(١) بدائع التفسير ٣/ ١٣٥، ١٣٦.

وقد ذكر عن ابن عيينة في ذلك ما حدثني أحمد بن منصور المروزي[١] قال: أخبرني صدقة بن الفضل[٢] عن سفيان بن عيينه قال: أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن، يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه فقال: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾[٣] [مريم:١٥].

خاتمة هذا الفصل

وأنهي هذا الفصل بالتمهيد للفصل الذي يليه. وهو الخروج من هذا الفصل بنتيجة مهمة ألا وهي: أن أعدى أعداء البشرية وأظلم الظالمين لها، وأعداء الأمن والسلام هم أولئك الذين يحاربون منهج التوحيد والإيمان أن يستقر في حياة الناس، ويحاربون شريعة الله عز وجل وأحكامها وآدابها أن تستقر في المجتمعات، ويريدون للناس أن لا يأمنوا في دنياهم على أديانهم ولا أنفسهم ولا أعراضهم ولا أموالهم ولا عقولهم. ويريدون لهم الشقاء والعذاب في نار جهنم يوم القيامة، فهؤلاء وأمثالهم يجب مطاردتهم ومحاصرتهم ومجاهدتهم حتى يصبحوا عاجزين عن هذا الظلم والفساد الذي يزاولونه، وأن ترصد لفضحهم وحربهم الأنفس والأموال. وهذا من

---

(١) في الطبري : (أحمد بن منصور الفيروزي) وهو خطأ والتصحيح من تفسير ابن كثير طبعة الشعب ٥/ ٢١٢.

(٢) في الطبري: (أخبرني صدقة بن الفضل سمعت إن عطية) هو خطأ، والتصويب من تفسير ابن كثير ط. الشعب ٥/ ٢١٢

(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٥٨.

أعظم غايات الجهاد وهنا أذكر بقول الله تعالى: ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١] وأخاطب به كل عاقل منصف: أي الفريقين أحق بالأمن، والدعوة إلى الأمن في الدنيا والآخرة؟ أهم دعاة التوحيد والإيمان والفضيلة أم دعاة الشرك والكفر والفساد والرذيلة؟ لقد حسم الله عز وجل الجواب بقوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] وأضم إلى آية الأنعام السابقة الآيات التالية والتي يوضح الله عز وجل فيها من هم دعاة الأمن وأهله ومن هم دعاة الشر والعذاب وأهله وأن لا التقاء بينهما. وهي من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى تعليق.

- يقول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٢٧].

- ويقول عز وجل: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

- ويقول الله عز وجل عن مؤمن آل فرعون وهو يدعو قومه: ﴿ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ

بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ﴾ [غافر: ٤١،٤٢].

وبعد: فأترك التفصيل عن أعداء الأمن والسلام هنا لأتحدث عنه في الفصل الثاني، الذي سأفصل فيه إن شاء الله تعالى الكلام عن هؤلاء الأعداء وأصنافهم وأساليبهم الماكرة الخبيثة أسأل الله عز وجل العون والتوفيق والسداد.

الفصل الثالث

أعداء الأمن والسلام

إذا أردنا الوصول إلى توصيف دقيق لأعداء الأمن والسلام؛ فإنه يمكننا القول بأنهم أعداء الله ورسوله الذين يرفضون الإهتداء بهدى الله عز وجل، ودينه الذي ارتضاه للناس كافة والمتمثل في الدين الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله عز وجل. ألا وهو دين الإسلام عقيدة وشريعة، وهم الذين يصدون الناس عن هذا الدين بالإرهاب تارة، وبالترغيب تارة، وهم الذين يمكرون، ويضللون ويلبسون الحق بالباطل، حتى يخلو الجو لباطلهم وأهوائهم وشهواتهم واستعبادهم لعباد الله عز وجل ليميلوا بهم ميلاً عظيما.

وقد مر بنا في الفصل السابق تلك الصور المضيئة للأمن والسلام والسعادة لمن يعيش في ظل الإسلام، سواء في نفسه أو في بيته أو في مجتمعه أو في دولته وعالمه. كما تبين لنا أيضاً حال من عاش بعيداً عن الإسلام في ظل أهواء البشر، وعبودية بعضهم لبعض من الخوف والقلق، وعدم الأمن في مناحي الحياة كلها وفي ضروريات الإنسان كلها.

فكل من ناصب هذا الدين العداء، وسعى لصد الناس عنه، وحرمهم من نعمة الأمن في ظلاله. وكان سبباً في حلول عقوبة الله عز وجل في الناس سواء في الدنيا أو في الآخرة في عذاب النار، فهو العدو الحقيقي لأمن الناس، وسلامتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة؛ سواء كان هذا الصد

عسكرياً أو فكرياً أو أخلاقياً، وسواء كان هذا العداء على الدين والأخلاق، أو على الأنفس والأموال والأعراض.

وأجدني في هذا المقام محتاجاً لإعادة الآيات التي ختمت بها الفصل السابق لمناسبتها القوية في هذا المقام، مع ذكر آيات أخرى تشابهها مع التعليق على بعضها بمقتطفات من ظلال القرآن.

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

(إن طريق المشركين والمشركات إلى النار، ودعوتهم إلى النار، وطريق المؤمنين والمؤمنات هو طريق الله. والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه.. فما أبعد دعوتهم إذن من دعوة الله!

ولكن أويدعو أولئك المشركون والمشركات إلى النار؟ ومن الذي يدعو نفسه أو غيره إلى النار؟!

ولكنها الحقيقة الأخيرة يختصر السياق إليها الطريق! ويبرزها من أولها دعوة إلى النار، بما أن مآلها إلى النار، والله يحذر من هذه الدعوة المردية .. ﴿ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ فمن لم يتذكر، واستجاب لتلك الدعوة فهو الملوم!)[1].

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٢٤٠.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٢٧].

فماذا يريد الله بالناس، حين يبين لهم منهجه، ويشرع لهم سنته؟ إنه يريد أن يتوب عليهم. يريد أن يهديهم. يريد أن يجنبهم المزالق. يريد أن يعينهم على التسامي في المرتقى الصاعد إلى القمة السامقة.

وماذا يريد الذين يتبعون الشهوات، ويزينون للناس منابع ومذاهب لم يأذن بها الله، ولم يشرعها لعباده؟ إنهم يريدون لهم أن يميلوا ميلاً عظيماً عن المنهج الراشد، والمرتقى الصاعد والطريق المستقيم.

وفي هذا الميدان الخاص الذي تواجهه الآيات السابقة: ميدان تنظيم الأسرة؛ وتطهير المجتمع؛ وتحديد الصورة النظيفة الوحيدة، التي يحب الله أن يلتقي عليها الرجالُ والنساء؛ وتحريم ما عداها من الصور، وتبشيعها وتقبيحها في القلوب والعيون. في هذا الميدان الخاص ما الذي يريده الله وما الذي يريده الذين يتبعون الشهوات؟

فأما ما يريده الله فقد بينته الآيات السابقة في السورة، وفيها إرادة التنظيم، وإرادة التطهير، وإرادة التيسير، وإرادة الخير بالجماعة المسلمة على كل حال.

وأما ما يريده الذين يتبعون الشهوات فهو أن يطلقوا الغرائز من كل عقال: ديني، أو أخلاقي، أو اجتماعي. يريدون أن ينطلق السعار الجنسي المحموم بلا حاجز ولا كابح، من أي لون كان. السعار المحموم الذي لا يقر

معه قلب، ولا يسكن معه عصب، ولا يطمئن معه بيت، ولا يسلم معه عرض، ولا تقوم معه أسرة. يريدون أن يعود الآدميون قطعاناً من البهائم، ينزو فيها الذكران على الإناث بلا ضابط إلا ضابط القوة أو الحيلة أو مطلق الوسيلة! كل هذا الدمار، وكل هذا الفساد، وكل هذا الشر باسم الحرية، وهي – في هذا الوضع- ليست سوى اسم آخر للشهوة والنزوة!

وهذا هو الميل العظيم الذي يحذر الله المؤمنين إياه، وهو يحذرهم ما يريده لهم الذين يتبعون الشهوات. وقد كانوا يبذلون جهدهم لرد المجتمع المسلم إلى الجاهلية في هذا المجال الأخلاقي، الذي تفوق فيه المسلمون، وتفردوا بفعل المنهج الإلهي القويم النظيف. وهو ذاته ما تريده اليوم الأقلام الهابطة والأجهزة الموجهة لتحطيم ما بقى من الحواجز في المجتمع دون الانطلاق البهيمي، الذي لا عاصم منه، إلا منهج الله، حين تقره العصبة المؤمنة في الأرض إن شاء الله)[1].

الآية الثالثة: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴾ [غافر: ٤١،٤٢].

(وهم لم يدعوه إلى النار. إنما دعوه إلى الشرك. وما الفرق بين الدعوة إلى الشرك والدعوة إلى النار؟ إنها قريب من قريب. فهو يبدل الدعوة بالدعوة في تعبيره في الآية التالية: ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٦٣١،٦٣٢.

عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّارِ﴾ [غافر:٤٢].

وشتان بين دعوة ودعوة. إن دعوته لهم واضحة ومستقيمة. إنه يدعوهم إلى العزيز الغفار. يدعوهم إلى إله واحد تشهد آثاره في الوجود بوحدانيته، وتنطق بدائع صنعته بقدرته وتقديره. يدعوهم إليه ليغفر لهم فهو القادر أن يغفر، الذي تفضل بالغفران: ﴿ ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّارِ ﴾ .. فإلى أي شيء يدعونه؟ يدعونه للكفر بالله عن طريق إشراك ما لا علم له به من مدعيات وأوهام وألغاز!)[1].

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ... الآية﴾ [النساء: ٨٩] ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

وذلك ما يفعله الحقد اللئيم بالنفوس. الرغبة في سلب الخير الذي يهتدي إليه الآخرون. لماذا؟ لا لأن هذه النفوس الشريرة لا تعلم. ولكنها لأنها تعلم[2].

الآية الخامسة: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٨٣.

(٢) نفس المصدر ١/ ١٠٢.

وهذا التقرير الصادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث على الشر؛ وعلى فتنة المسلمين عن دينهم، بوصفها الهدف الثابت المستقر لأعدائهم. وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض وفي كل جيل. إن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته غيظ ورعب لأعداء هذا الدين؛ ولأعداء الجماعة المسلمة في كل حين. إن الإسلام بذاته يؤذيهم ويرهبهم ويخيفهم. فهو من القوة ومن المتانة بحيث يخشاه كل مبطل، ويرهبه كل باغ، ويكرهه كل مفسد. إنه حرب بذاته وبما فيه من حق أبلج، ومن منهج قويم، ومن نظام سليم. إنه بهذا كله حرب على الباطل والبغي والفساد. ومن ثم لا يطيقه المبطلون البغاة المفسدون. ومن ثم يرصدون لأهله ليفتنوهم عنه، ويردوهم كفاراً في صورة من صور الكفر الكثيرة. ذلك أنهم لا يأمنون على باطلهم وبغيهم وفسادهم، وفي الأرض جماعة مسلمة تؤمن بهذا الدين، وتتبع هذا المنهج، وتعيش بهذا النظام. والخبر الصادق من العليم الخبير قائم يحذر الجماعة المسلمة من الاستسلام، وينبهها إلى الخطر، ويدعوها إلى الصبر على الحرب وإلا فهي خسارة الدنيا والآخرة والعذاب الذي لا يرفعه عذر ولا مبرر[1].

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ... الآية﴾ [البقرة:١٢٠].

(فتلك هي العلة الأصيلة. ليس الذي ينقصهم هو البرهان؛ وليس الذي

---

(١) في ظلال القرآن ١/ ٢٢٧، ٢٢٨.

ينقصهم هو الاقتناع بأنك على الحق، وأن الذي جاءك من ربك الحق. ولو قدمت إليهم ما قدمت، ولو توددت إليهم ما توددت. لن يرضيهم من هذا كله شيء إلا أن تتبع ملتهم وتترك ما معك من الحق.

إنها العقدة الدائمة التي نرى مصداقها في كل زمان ومكان. إنها هي العقيدة. هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة. إنها معركة العقيدة هي المشبوبة بين المعسكر الإسلامي وهذين المعسكرين اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما، وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها، ولكنها تلتقي دائماً في المعركة ضد الإسلام والمسلمين!

إنها معركة العقيدة في صميمها وحقيقتها. ولكن المعسكرين العريقين في العداوة للإسلام والمسلمين يلونانها بألوان شتى، ويرفعان عليها أعلاماً شتى، في خبث ومكر وتورية. إنهم قد جربوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة. ومن ثم استدار الأعداء العريقون فغيروا أعلام المعركة. لم يعلنوها حرباً باسم العقيدة – على حقيقتها- خوفاً من حماسة العقيدة وجيشانها. إنما أعلنوها باسم الأرض، والاقتصاد، والسياسة، والمراكز العسكرية، وما إليها. وألقوا في روع المخدوعين الغافلين منا أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها! ولا يجوز رفع رايتها، وخوض المعركة باسمها. فهذه سمة المتخلفين المتعصبين! ذلك كي يأمنوا جيشان العقيدة وحماستها؛ بينما هم في قرارة نفوسهم -الصهيونية العالمية، والصليبية العالمية، بإضافة الشيوعية العالمية-

جميعاً يخوضون المعركة أولاً، وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها طويلاً، فأدمتهم جميعاً!!!

إنها معركة العقيدة . إنها ليست معركة الأرض، ولا الغلة، ولا المراكز العسكرية، ولا هذه الرايات المزيفة كلها. إنهم يزيفونها علينا لغرض في نفوسهم دفين؛ ليخدعونا عن حقيقة المعركة وطبيعتها، فإذا نحن خدعنا بخديعتهم لنا، فلا نلومن إلا أنفسنا. ونحن نبعد عن توجيه الله لنبيه ﷺ ولأمته، وهو – سبحانه- أصدق القائلين. ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ فذلك هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه. وما سواه فمرفوض ومردود!) [1] . أ.هـ

فهل بعد هذه الآيات عذر لمن يجهل حقيقة أعداء هذا الدين، بل أعداء أمن البشرية والعالم أجمع؟ إن من يجهل حقيقة هذا العداء لم يتدبر كتاب ربنا سبحانه الذي فيه الكفاية والغنية، وفيه الحماية والحصانة من تلبيس الملبسين وتضليل المضللين.

وإن من أهداف هذا الفصل من هذه الرسالة هو فضح مكر الماكرين من الملبسين والمضللين الذين يرفعون عقيرتهم بمكافحة الإرهاب، وادعاؤهم حماية أمن الناس وسلامتهم، موظفين هذا المكر في محاربة المصلحين الذين يدعون إلى توحيد الله عز وجل،وتعبيد الناس لرب العالمين ومحاربة الفساد والظلم والكفر التي هي مصدر شقاء الناس، وخوفهم وقلقهم، ومع ذلك

---

(١) في ظلال القرآن ١/١٠٨.

يتهمهم هؤلاء الماكرون الملبسون بأنهم أعداء الأمن، ودعاة الإرهاب. وما أشبه هؤلاء الماكرين بإخوانهم وسلفهم من الكفار والمنافقين الذين قص الله عز وجل لنا أقوالهم الجائرة في الأنبياء والمصلحين، ووصفُهم لهم بأنهم مفسدون قال الله عز وجل عن اتهام فرعون لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر:٢٦] وقال عن تحريض الملأ من قوم فرعون على أصحاب موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ... الآية﴾ [الأعراف:١٢٧]. وقال عز وجل عن المنافقين في عهد الرسول ﷺ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١،١٢].

إذن فهي شنشنة قديمة، وسنة متبعة من الكفار والمنافقين ضد عباد الله المصلحين : ﴿ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات:٥٣].

وينطبق عليهم المثل العربي المشهور (رمتني بدائها وانسلت) فهم أهل الإرهاب، وهم أعداء البشرية وأمنها ومع ذلك يترسون وراء محاربة الإرهاب ونشر الأمن لينشروا الإرهاب والخوف والظلم بين الناس ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠].

يتحدث الأستاذ سليم الزغل عن (التطرف الديني والإرهاب)، وإلصاق الغرب الكافر، وأذنابه هذه التهمة بالمتمسكين من المسلمين بعقيدتهم فيقول: (لقد أصبحنا في العالم الإسلامي المنكود نردد ما يقوله الغرب

والشرق عنا من التطرف والغلو والتشدد، ونستخدم هذه المصطلحات ضد إخواننا وأبنائنا ممن ساروا مع قافلة الصحوة، وتشبثوا بأهداب هذا الدين الحنيف، وما ذلك إلا تنفيذاً لكل ما لقنته لنا الهيئات الاستعمارية حول كون تلك الحركات، والجماعات، والمنظمات متطرفة متعصبة أصولية إرهابية، فسِرْنا وراءهم بحماس يفوق حماسهم، سرنا وراءهم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، ولو دخلوا جحر ضب لدخلناه وراءهم، كما قال رسول هذه الأمة ﷺ .. قوافل الشباب المسلم والذين ألقي بهم في سجون الطغاة، وقُطِّعوا إرباً إرباً وذاقوا من صنوف العذاب مالا تتوهمه الأوهام، وقتل الكثير على أعواد المشانق، وفعلت ببعضهم الفاحشة، وقضى آلاف منهم عشرات الأعوام في الأقبية والزنازين والسراديب المظلمة.. خرجوا بعدها إلى الحياة لكي يجدوا أن الأبناء تشردوا، وأن الأسر قد تبعثرت بعد أن عبثت بها الأيدي الآثمة، وحيل بينهم وبين لقمة العيش الكريمة. كل تلك الكؤوس المترعة تجرَّعوها حتى الثمالة، لا لذنب اقترفوه، وإنما لأنهم قالوا: ﴿ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ ، وتنفيذاً لرغبات الأسياد في الشرق والغرب حصل ما حصل.

إننا نتساءل وبكل لغات العالم: من هو المتطرف.. الضحية أم الجلاد؟؟! ولماذا قامت الدنيا ولم تقعد في فرنسا لأن بعض التلميذات العربيات ارتدين اللباس الإسلامي؟؟ وبدأ الإعلام الآثم يمارس سياسة التحريض ضد الإسلام والمسلمين، ويصورهم على أنهم وحوش هذا العالم وصار الخطاب عن التطرف الإسلامي والإرهاب الديني، أين هو التطرف؟؟ إننا لم نشاهد هذا الزخم الإعلامي ولم نرقب مثل هذه التحذيرات المرعبة، ولا طرقت

أسماعنا بالأحاديث المفزعة عن الإرهاب والتطرف والهمجية وسكاكين الصرب كانت تخوض في بحور الدماء في البوسنة والهرسك، إدارات المدارس والوزارات والحكومات والهيئات الشعبية هناك، كلها وقفت تنادي بطرد العرب والمسلمين. واليهود والنصارى دقوا الطبول لأن اللحن أعجبهم، الكل صار يهتف بنغمة متناسقة تنادي بوقف التطرف الديني. من هو المتطرف – بالله عليكم- التلميذات العربيات أم الحاقدون عليهن من أعداء الإسلام؟! الصليبيون عندما احتلوا مدينة القدس ذبحوا كل أهلها عن بكرة أبيهم حتى خاضت الخيل في بحور الدماء إلى بطونها، وعندما دخلها صلاح الدين الأيوبي وحررها من النصارى وأهل الصليب أعطى أهلها الأمان وعاملهم معاملة الرجال الكرماء.

اليهود في فلسطين، والصرب في البلقان، والبوذيون في بورما، والهندوس في الهند وكشمير، والأمريكان في بلاد الأفغان والعراق، والشيوعيون في جمهوريات آسيا الوسطى خصوصاً في تركمانستان وطاجيكستان، والشيشان، كل هذه الملل وغيرها تمارس القتل والذبح والاغتصاب والتصفية العرقية، وكل ما هو محرم إنسانياً وحيوانياً، يمارسون ذلك ضد المسلمين في طول الأرض وعرضها لا لشيء سوى أنهم مسلمون- تحت مظلة الحماية التي توفرها لهم الأمم المتحدة- (الأمم المتحدة ضد كل مما يمتَ إلى الإسلام بصلة) – ممثلة بالدول الخمس الدائمة العضوية بمجلس الأمن، والتي تشكل عصابة تروج للإنحراف والجريمة، والتخطيط الآثم للاعتداء على المسلمين وإذلالهم، وهتك أعراضهم والزج

بهم في أتون الفضيحة الكبرى، فقط لأنهم مسلمون!! إذن من هم المتطرفون دينيا؟؟ ومن هم الإرهابيون على الحقيقة؟؟)[1].

ونظراً لبعد الكثير منا اليوم عن كتاب الله عز وجل وما ذكر فيه من صفات المؤمنين وبيان سبيلهم، وصفات المجرمين وبيان سبيلهم، فإني في هذا الفصل سأبسط القول إن شاء الله تعالى في بيان أصناف المعادين لهذا الدين، والمعادين لأمن الناس، وسلامتهم في الدنيا والآخرة وأدعم ذلك بأقوالهم وأفعالهم الشنيعة التي تفضحهم، وتبين أساليبهم الماكرة في التسلط على الناس وإضلالهم، وسفك دمائهم، وهتك أعراضهم، وضياع أموالهم. والخروج في نهاية هذا الفصل بالجواب الواضح المبين لقوله تعالى: ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، والذي قد أجاب الله عز وجل عنه في كتابه الكريم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ من غير حاجة إلى هذا التفصيل ولكن ما الحيلة فيمن بعد عن كتاب الله عز وجل فلم يتدبره. إنه لابد له من هذا التفصيل.

أصناف المعادين للأمن والسلام المتمثل في دين الإسلام الحق

الأول: فئة الكفار والمنافقين

ثانياً: فئة أهل الأهواء والشبهات

ثالثاً: فئة أهل الشهوات والفسق والمجون

---

(١) مجلة البيان العدد (٦٣).

وهذه الفئات ليست على درجة واحدة في الخطورة فخطر فئة الكفار والمنافقين هي أشدها ثم فئة أهل الأهواء ثم أهل الشهوات.

أولاً: فئة الكفار والمنافقين

لقد سبق في الصفحات السابقة ذكر الآيات من كتاب الله عز وجل التي يبين الله تبارك وتعالى فيها خطر الكفار والمنافقين على أمن المسلمين بخاصة، وعلى أمن البشرية بعامة، وأنهم يسعون جهدهم، ومكرهم بالليل والنهار ليردوا المسلمين عن دينهم، ويفتنوهم عنه، ويحولوا بين الناس وبين وصول الدين الحق إليهم. وكفى بهذا عداء وقضاءً على أمن الناس حيث الشقاء والخوف والظلم في الدنيا، والعذاب الأليم في الدار الآخرة. فهم والله أعداء البشرية كافة. ولو أن الناس علموا حقيقة حالهم وأهدافهم ومخططاتهم لجاهدوهم وحاربوهم بكل وسيلة ومن كل صوب وفي كل زمان ومكان.

والكفار في عدائهم وحربهم للأمن والسلام يستخدمون وسائل ماكرة كثيرة أذكر منها ما يلي:

أولاً: أسلوب الغزو العسكري والإرهاب والقتل والتشريد والأسر وهتك الأعراض، وسلب الأموال. وهذا أمر واضح لا يشك فيه عاقل. والتاريخ يشهد، وواقعنا المعاصر شاهد على ذلك. ومن مكرهم وخبثهم أنهم يحسنون استثمار الفرص، ويوظفونها في تنفيذ مخططاتهم الماكرة. ومن خبثهم وتلبيسهم أنهم يبررون حروبهم وعدوانهم على أمن الناس في دينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم بمكافحة الإرهاب، ونشر الأمن والحرية. ومن الغريب والعجيب أن يوجد من غفلة الناس، بل ومن بعض

المسلمين من يصدق هذا المكر. ولأنْ وجدت الغفلة فيما مضى، فلا عذر اليوم لأحدٍ من المسلمين بأن تنطلي عليه هذه الأباطيل؛ وبخاصة بعد أن ظهر إرهاب الكفرة الأمريكان وحلفائهم ووحشيتهم في حربهم على أفغانستان والعراق وما يفعلونه بأسارى المسلمين في سجون جوانتانامو، وأفغانستان، والعراق. اللهم إلا أن يكون منافقاً مرتداً يتولى الكفار مقابل مناصب، وعرض من أعراض الدنيا أو حقد دفين على الإسلام وأهله. والمنافقون بتوليهم الكفار وخيانتهم للمسلمين يعدون من أعدى أعداء الأمن والسلام، حيث يتواطأون مع الكفار في غزوهم لبلدان المسلمين، ويرحبون بهم. ولولا هؤلاء المنافقون وأمثالهم لما استطاع الكفار دخول بلاد المسلمين ولما وجدوا لهم موطأ قدم في بلدان المسلمين*. ونظرة في واقعنا المعاصر إلى غزو الأمريكان وحلفائهم لأفغانستان والعراق تطلعنا على الصورة السوداء للمنافقين في كلا البلدين؛ فلولا أن قدر الله عز وجل وجود هؤلاء المنافقين في بلاد الأفغان والعراق وقتالهم دون الأمريكان كزمرة المنافقين الكرزاييّن المتأمركين الذين أتت بهم أمريكا على ظهور الدبابات وزمرة المنافقين من الرافضة والعلمانيين الذي تولوا الأمريكان وجاءت أمريكا بقياداتهم من ديارها لما استطاع الأمريكان أن يواجهوا جيوش المسلمين الذين قامت لإعلاء كلمة الله تعالى في أرض أفغانستان والعراق.

---

* ومن أشهر المنافقين في واقعنا المعاصر : الرافضة (أحفاد ابن العلقمي)، والعلمانيون المستغربون، وزنادقة الصوفية الباطنيون، وأكثر الأنظمة التي تحكم في بلاد المسلمين.

ولذا فإن المنافقين من أخطر الطوائف، وأشدهم عداء للأمة. بل هم أخطر من الكفار الصرحاء، لأن الكافر يعرف ويحذر منه أما المنافق فلا يعرفه الناس، وبالتالي ينخدعون به، ويحصل منه اللبس والتضليل والكيد للأمة في الظلام. ولذلك كانت عقوبته عند الله عز وجل أشد من الكافر الواضح . قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقد حذرنا الله عز وجل من المنافقين وعداوتهم وكيدهم للإسلام وأهله وذلك بتوليهم للكفار، ونصرتهم لهم، وفرحهم بانتصارهم على المسلمين. قال الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الحشر:١١] وقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٨،١٣٩] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

وفي التاريخ أمثلة كثيرة للمصائب والكوارث العظيمة الناشئة من تواطأ المنافقين مع الكفار في احتلال بلاد المسلمين. ويكفينا من ذلك ما فعله الرافضي المنافق الباطني ابن العلقمي في خيانته للخليفة العباسي المستعصم بالله، واجتياح جيوش التتار لعاصمة الخلافة الإسلامية، وقتلهم المقتلة العظيمة للمسلمين وهتك أعراضهم ونهب أموالهم.

وأسوق فيما يلي بعضاً من صور العداء والإرهاب الذي يقوم به الكفار والمنافقون وبخاصة في العصر الحديث على بني الإنسان بعامة وعلى المسلمين بصفة خاصة.

يقول الأستاذ ضميريه في كتابه «يسألونك عن الإرهاب»:

(.. وأما الغربيون المعاصرون؛ الذين يزعمون محاربة الإرهاب، وينصبون أنفسهم لزعامة العالم والسيطرة على الشعوب المستضعفة والمقهورة، فهم الإرهابيون حقيقةً: أصلاً ونشأة وتاريخاً وواقعاً...

لكنهم يفعلون كما يفعل وعَّاظ الاستعمار ومشعوذو السياسة لتخدير الأمم المستضعفة؛ فيقبِّحون لها العنصرية، وهم من حماتها؛ ويزهِّدونها في الجنسية، وهم من دعاتها.

فهل يعي الناس أن أمريكا – زعيمة العالم الغربي- إنما قامت على استئصال الهنود الحمر بطريقة لا تجد لها مثيلاً في البشاعة، والهمجية، والمذابح الدموية، وإتلاف المحاصيل الزراعية، وتخريب البيوت، وقتل المواشي، تلك الأعمال التي أثارت الاشمئزاز والقرف، وكلُّ ذلك باسم

المسيحية والتبشير، وباسم الإنقاذ والخلاص، ونشر الحرية والديمقراطية، والقيام بالواجب والمهمة الدينية، ومقتضيات الشجاعة والرجولة!

وهذا شيء لا نقوله من عندنا، ولا ننقله عن كاتب مسلم قد يُتَّهم بالتعصب ضد أولئك القوم، وإنما نستدعي شاهداً من القوم أنفسهم، ونجتزئ بفقرات من شهادته المطوّلة:

• يروي لنا المطران «برتولومي دي لاس كازاس» وثائق إبادة الهنود الحمر في القارة الأمريكية على أيدي المسيحيين الأسبان، وهو شاهد عيان على ما ارتكبته مسيحيةُ عصره من فظائع ومذابح في القارة الأمريكية. وشهادته هذه فوق الشبهات؛ لأنّ أحداً لا يستطيع أن يتهمه في دمه الإسباني، أو في دينه المسيحي. حتى الرهبان من رجال الدين الذين وصفهم أحد الزعماء الهنود بأنهم لا يعبدون إلا الذهب. وصفهم «لاس كازاس» بقوله: «كانوا يسمُّون المجازر عقاباً وتأديباً لبسط الهيبة وترويع الناس. كانت هذه سياسة الاجتياح المسيحي: أول ما يفعلونه عندما يدخلون قرية أو مدينة هو ارتكاب مجزرة مخيفة فيها.. مجزرة ترتجف منها أوصال هذه النعاج المرهفة».

ثم يقول: ثَمَّة استهتار وطيش يتعاظمان في أنفس هؤلاء الذين يسفكون كل هذه الدماء، ويستأصلون هذه الأراضي الشاسعة من أهلها وأصحابها بقتل مليار من البشر، وبنهب الكنوز التي لا تقدر بأثمان. إنهم يحتالون بأساليب مختلفة من أجل أن تسمحوا لهم بالمضي في الفتوح التي لا يمكن

السماح بها من غير الاعتداء على حرمات الله، واختراق القوانين الطبيعية، ومن غير اقتراف الخطايا المنكرة التي تستأهل العذاب الشديد.

إن الذين ذهبوا إلى هناك من أدعياء المسيحية: أبادوا الشعوب الهندية الوادعة، ومحوا ذكرها من وجه الأرض، إما بالاجتياحات الدموية المتوحشة، وإما باستعباد مَنْ تبقّى استعباداً فظاً غليظاً شنيعاً، لم يشهد مثله البشر ولم تعرفه الدواب. أما من كان يحلم بالحرية أو يفكر فيها أو يحاول الخلاص من عذابه، كما يفعل ذلك كل إنسان: فمصيره القتل. إلى أنواع منوعة من الجور والطغيان الجهنمي والتخريب.

قتل المسيحيون كلَّ هذه الأنفس البهية، وفتكوا كلَّ ذلك الفتك باسم الدين، ليحصلوا على الذهب، ويكتنزوا الثروات، ويصلوا إلى مراكز أكبر من أشخاصهم. إنَّ جشعهم وتطاول شهواتهم الجامحة: أدّى بهم إلى احتقار هذه الشعوب المتواضعة الحالمة الودودة، ونَهْبِ ثروات هذه الأراضي الخصبة البهيجة. (إنني أقول الحقيقة لأني شاهدتها بأم عيني). كان المسيحيون ينظرون إلى الهنود الحمر لا كما ينظرون إلى الحيوانات (وياليتهم اعتبروهم حيوانات) بل أقلّ قدراً من الدوابِّ وأحطّ شأناً من الزِّبْل..)[1].أ.هـ

ويقول أيضاً:

(والفكر الأصولي الإنجيلي قائم على الإرهاب والتدمير والتخريب، وتصريحات الوعاظ السياسيين في الكنيسة المرئية، كلها طافحة بالتهديد

(١) انظر: يسألونك عن الإرهاب ص٥٣-٥٧ (باختصار).

بحرب نووية ستنشب حول «أورشليم»، وكثيراً ما كانوا يضربون في مواعظهم وتصريحاتهم على وتر «هرمجدُّون».

يقول الأصولي الأمريكي بات روبرتسون: «كنت أتمنى أن أستطيع القول إننا سنحصل على السلام، ولكني أومن بأن هرمجدُّون مقبلة. إن هرمجدُّون قادمة، وسيخاض غمارها في وادي مجدو، إنها قادمة، إنهم يستطيعون أن يوقعوا على اتفاقيات في السلام التي يريدون. إن ذلك لن يحقق شيئاً، هناك أيام سوداء قادمة إن مشاكل إفريقيا لن تحل، وكذلك مشاكل أمريكا الوسطى، ومشاكل أوربا. إن الأمور ستتوجه نحو الأسوأ. إنني لا أخطط لولوج جهنم القادمة. إن الله سوف يهبط من عليائه. ياإلهي إنني سعيد من أجل ذلك! إنه قادم ثانية! إنني لا أكترث لمن تسبب هرمجدُّون القلق والمتاعب؟ إنها تنعش روحي!»أ.هـ

• وهل ينسى العالم قنبلتي هيروشيما، وناغازاكي اللتين أحدثتا دماراً رهيباً وذهب ضحيتهما مئات الألوف من النساء، والأطفال والعجزة؟ ففي السادس من شهر أغسطس عام ١٩٤٥م ألقت أمريكا القنبلة الأولى على مدينة هيروشيما، وفي اليوم الثاني قنبلة أخرى على مدينة ناغازاكي اليابانيتين.

ويصف الطيار الأمريكي الذي قام بإلقاء القنبلة ذلك العمل (المتحضر المتمدن السلمي المسالم) فيقول: رأيت المدينة أمامي فسويتها بالأرض وانتهى كل شيء. ثم أرسل تلكسا إلى القاعدة الجوية في تينان يقول فيه:

«تحقق التدمير والنتائج ممتازة».

● وهل يغيب عن البال: أنهم هم الذين يدعمون يهود في عدوانهم الغاشم على فلسطين، والمقدسات الإسلامية فيها، واستئصالهم للشعب الفلسطيني من دياره، وفي العدوان الهمجي، والمجازر التي يقومون بها منذ اللحظة الأولى التي زرع فيها الصليبيون ذلك السرطان في جسم الأمة الإسلامية في فلسطين؟ ثم راحوا يدعمونهم بكل وسائل الدعم العسكري، والاقتصادي والمالي والأدبي، على كل صعيد وفي كل مناسبة. وبخاصة في المحافل الدولية، وفي مجلس الأمن باستعمال حق النقض (الفيتو) ضد أيِّ مشروع قرارٍ يُصوَّت عليه لصالح الفلسطينين، أو يكون فيه إدانة لإسرائيل، وإن كان لا يترتب عليه أي موقف عملي، أو أثر واقعي. والموقف الراهن من المجازر الأخيرة التي يتعرض لها الفلسطينيون رجالاً ونساء وأطفالاً، وأجنَّةً في بطون الأمهات، ببشاعتها وهمجيتها: دليل واقعيٌّ وشاهد صادق على ذلك الانحياز الظالم ، حتى البيوت والأشجار والمزارع، لم تكن بمنأى عن التخريب والعدوان. مع ما يكتنف ذلك من ضعف وتخاذل في موقف المسلمين بعامة من إخوانهم الفلسطينيين، وفي موقفهم من القضية برمَّتها حين اختزلوها وحصروها بالعرب دون المسلمين، ثم أصبحت قضية الفلسطينيين وحدهم، وقضية شخص أو أشخاص، يحكم فيها اليهود والصليبيون والمتآمرون)[1].

وأما ما فعلوه في هذه السنوات من إرهاب وقتل وهتك وتشريد في

(١) انظر: يسألونك عن الإرهاب ص٥٩-٦١ (باختصار).

بلدان المسلمين، فهو أوضح من أن يفصل فيه، ولكن أذكر هنا ما فعلوه في بلاد الأفغان، والرافدين المسلمتين، وعن ذلك يقول د. ضميرية:

(ثم، هل يغيب عن البال – في هذه الأيام التي نعيشها- التدخل الأمريكي – المتحالف مع القوى الغربية الصليبية والفئات العميلة لها- في أفغانستان، التي قُتل فيها خلال ثلاثة أشهر فقط (من ٧ أكتوبر حتى ٧ ديسمبر) نتيجة القصف الأمريكي ما لا يقل عن (٥٠٠٠) أفغاني، جلُّهم من المدنيين من الرجال، والشيوخ الطاعنين في السن، ومن الأطفال والنساء والعجائز!)[1].

ويقول الدكتور محمد السلومي في كتابه : (القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب):

«إرهاب الحرب ضد الإرهاب». بهذا العنوان كتب الصحفي البريطاني (روبرت فيسك) عن أفغانستان فقال: وهكذا بدأت الإصابات تتزايد من (قندهار)، تصلنا قصص مرعبة عن مدنيين دُفنوا تحت الأنقاض، وأطفال مُزقوا إربا بقنابل الأمريكيين، وقد رفضت حركة طالبان – لحسن حظ الأمريكيين- السماح للصحفيين الغربيين بالدخول إلى البلاد للتحقق من تلك التقارير.

ففرار اللاجئين الأفغان بالآلاف عبر الحدود هو دليل ساطع أنهم لا يفرون من حركة طالبان، بل من قنابلنا وصواريخنا، فحركة طالبان لا تطهر

---

(١) المصدر السابق، ص٦٢،٦٣.

عرقياً مواطنيها من الباشتون، فاللاجئون يتحدثون بحرارة عن خوفهم ورعبهم من القنابل التي تتساقط على مدنهم. هؤلاء الناس مذعورون من (حربنا ضد الإرهاب) وهم ضحايا بريئة، مثلهم مثل من قتلوا في مركز التجارة العالمي يوم ١١ أيلول، فأين نحن من ذلك؟ هذا سؤال مهم، فحين تهب عواصف الشتاء الباردة في وديان جبال أفغانستان ستبدأ على الأغلب مأساة جديدة؛ مأساة لن يكون في وسع أي مغرض أو خبير تجاهلها أو تجنبها، سنقول إن الآلاف الذين ماتوا أو على وشك الموت من الجوع والبرد هم ضحايا طالبان أو دعم طالبان للإرهاب... وقالت رئيسة البرلمان الأوروبي نيكول فونتين: إنه يجب حظر استخدام قنابل إنشطارية في أفغانستان، واعتبرت أن استمرار اللجوء إلى هذه الأسلحة خطأ إنساني وسياسي.

وأضافت في بيان صدر بهذا الخصوص : إن للقنابل الإنشطارية عواقب الألغام المضادة للأفراد؛ لأنها تظل منتشرة بصورة مهددة؛ وذلك في مناطق بكامل طوال سنوات!!

وفي باريس أعلن الناطق باسم وزارة الخارجية الفرنسية (فرنسوا ريفاسو)؛ أن فرنسا تأسف وتندد بمقتل أولى ضحايا المدنيين في انفجار القنابل الانشطارية التي ألقتها الولايات المتحدة على أفغانستان...

ويرى (روبرت فيسك) أن الغرب بحضارته أصبح مجرم حرب في أفغانستان، أو كما عبر عن ذلك بقوله: أصبحنا (مجرمي حرب) منذ قرار

ضرب أفغانستان وتجييش الجيوش والتحالفات لها قبل إعلان الأدلة والوثائق المدينة لهؤلاء أو هؤلاء.

وهذا ما عبر عن معناه وزير العدل الأمريكي السابق (رمزي كلارك) في مقابلته مع قناة الجزيرة القطرية؛ حيث وصف عمليات القصف الأمريكي على أفغانستان بأنها : (جرائم حرب بالتأكيد؛ وجرائم ضد الإنسانية، وضد السلام، ووفقاً للمادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة يقول: نحن الأمريكيين نذهب هناك بمفردنا، ونحاول جلب الكثيرين إلى جانبنا لنقتل ونغتال من نشاء كما يحدث...)[1].

(وأما العراق؛ فقد أصابه ما أصابه من التدمير، والتخريب الذي لحق بالمؤسسات المدنية والبنية التحتية والفوقية، والتجويع والإذلال، والتقتيل للرجال والنساء، والأطفال الذين بلغ عدد من مات منهم، بسبب الحصار وسوء التغذية ونقص العلاج (مليون) طفل.

ويبدو أن هذا كله ليس إرهاباً في نظر الصليبيين، بل هو أمنٌ وسلامٌ، وحريةٌ واطمئنانٌ.. حتى ولو وصل استخدام أحدث الأسلحة، لتجريبها على الشعب، ولاستخدامها في التهديد بتفكيك وتجزئة البلد الواحد إلى دويلات عرقية وطائفية؛ فقد اقترح مستشار سياسي لجورج بوش الابن، أن تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية القوة الجوية ووسائل أخرى لاقتطاع أجزاء أخرى من العراق.

---

(١) القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، ص٢٦٦-٢٨٣ (باختصار). ومن أراد توثيق المقولات فليرجع إلى الكتاب.

وهذا الذي تقدم ، كتبناه قبل بداية العدوان الأمريكي البريطاني والقوى المتحالفة معها على العراق فيما عرف بحرب الخليج الثالثة واحتلال العراق عام ٢٠٠٣م، والذي يحصل فيها الآن من المبالغة في الإفساد والتدمير، والإذلال والتقتيل، مع معرفة الدوافع الحقيقية.. يفصح عن حقيقة القوم ونواياهم، وعن أخلاقهم وحضارتهم وقيمهم، وعن منظماتهم الدولية والإنسانية المزعومة؛ فقد بلغ عدد القتلى من الرجال والنساء والأطفال في الأيام الأخيرة من العدوان على مدينة «الفلوجة» وغيرها من المدن العراقية المقاومة للاحتلال بالآلاف ، ومثل هذا العدد أو أكثر من المصابين.

• وفي ١١/٣/١٤٢٤هـ الموافق ٢/٥/٢٠٠٤م عرضت القنوات الإخبارية صوراً منقولة عن (قناة سي بي س الأمريكية) يظهر فيها تعذيب الأسرى العراقيين في «سجن أبو غريب» قرب بغداد، بلغت الغاية في الوحشية والهمجية والظلم وامتهان الكرامة الإنسانية، والتعذيب الذي يؤدي إلى القتل، فظهر في الصورة جندي أمريكي يضع قدمه على المواطن العراقي السجين، وفي صورة أخرى يتبول الجندي الأمريكي على السجين وسط استهزاء الجنود وإظهار الاحتقار، وفي صورة ثالثة ظهر المعتقلون عراة والمجندات يتحسَّسن بعض المواضع من أجسادهم ويتندرن بهم ، مما دعا الهيئات العالمية إلى استنكارها وشجبها، وإظهار الاشمئزاز.

ولئلا يقول قائل: هذه تصرفات فردية من الجنود لا تعبِّر عن القيم الأمريكية والبريطانية، ولا يرضى عنها المسؤولون، كما أنهم لم يعلموا بها

عند وقوعها، نشير إلى ما أوردتـــه الوكالات وبثته القنوات الفضائية في ٢٠-٢٣/٣/ ١٤٢٤هـ فقد نقلت عن الواشنطن بوست أن وزارة الدفاع وافقت على وسائل تعذيب استخدمت في سجن أبو غريب وغوانتانامو. وذكرت أن مسؤولين بوزارة الدفاع والعدل (الأمريكي) وافقوا على لائحة سرية تتضمن عشرين أسلوباً في التحقيق مع المعتقلين، منها تعليقهم بصورة معكوسة ، وتعريضهم للحرارة والبرد، وتسليط أضواء قوية عليهم، والوقوف ساعات طويلة، والتعرية. وهذه أول وثيقة رسمية تسمح للمحققين بإرهاق المعتقلين جسدياً ونفسياً قبل الاستجواب.

كما جاء في المصادر نفسها – وفي غيرها كثير- أن الجنود الأمريكيين الذين ظهرت صورهم في تعذيب المعتقلين العراقيين يقولون: إنهم تلقوا أوامر من المخابرات بالتعذيب. كما نقلت الواشنطن بوست أن الجندية التي شاركت في انتهاكات أبو غريب تقول: إنها تلقت أوامر من الاستخبارات العسكرية بتحويل حياة المعتقل إلى جحيم قبل استجوابه!

كما ذكرت وسائل الإعلام: أن التقارير تفيد أن المسؤولين بوزارة الدفاع لديهم علم بكل صور التعذيب، وأن ذلك كله مسجل على أشرطة الفيديو.

ثم توالت بعد ذلك الأخبار في كل وسائل الإعلام عن انتهاكات كبيرة لحقوق الإنسان في معتقلات وسجون أفغانستان وغوانتانامو على يد القوات الأمريكيّة وقوى التحالف الآثم معها.

• وهم – الغربيون الصليبيون- الذين انتهكوا كل الأعراف الدولية في حربهم الصليبية الإرهابية في أفغانستان بقتل المدنيين والأبرياء الأطفال والعجزة، وقصف القرى الآمنة المسالمة، وقصف مراكز الإغاثة والمستشفيات والتجمعات المدنية الآمنة في المناسبات الاجتماعية.. ومتابعة الفارين في الكهوف والمغارات في الجبال، وانتهاك كل الأعراف الدولية والقواعد القانونية، باسم محاربة الإرهاب في بلد من أفقر بلاد العالم وأقلها شأناً في السلاح والقوة العسكرية والمادية، بعد الحرب ضد الشيوعية الغاشمة، التي أنهكتها واستنفذت طاقاتها وشبابها، ثم جاءت بحكومة من صنعها، رغم إرادة الجميع، حتى إن رئيس الحكومة طلب أخيراً «تعزيز حرسه الشخصي بقوات أمريكية خاصة ومتخصصة في حماية الشخصيات».

• وأما طريقة التعامل مع أسرى الحرب في أفغانستان؛ فيرسم لها تقرير «منظمة أصدقاء الإنسان الدولية» صورةً قاتمة بشعة، تتنافى مع كل الأعراف الدولية والقواعد الإنسانية، فقد أعربت المنظمة في هذا التقرير عن استيائها الشديد للأسلوب الذي تعامل به القوات الأمريكية أسرى الحرب الذين احتجزتهم في أفغانستان، ثم رحلتهم إلى قاعدة (غوانتانامو)، وشبَّهت المنظمة- التي تتخذ من (فيينا) مقراً لها- ملابسات ترحيل الأسرى، وطريقة احتجازهم برحلات أساطيل الرقيق البحرية من إفريقيا إلى أمريكا منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، مشدِّدة على أنها تراقب بقلق بالغ عمليات نقل أسرى الحرب وظروف احتجازهم.

• ولا يغيبنَّ عن البال أن أسلوب الإرهاب هو الذي سلكته أمريكا

مع الدول الأخرى لتضمَّها إلى التحالف الأمريكي الدولي، من خلال «من لم يكن معنا فهو ضدنا ومع الإرهاب»، حتى صارت غالبية الدول التي يخوفها الشيطان من أوليائه، تتسابق في تسليم أبنائها ومواطنيها والمقيمين على أرضها، لمجرد الشبهة بأنهم يمكن أن يكونوا من المتعاونين أو المنتمين إلى هذا التنظيم أو ذاك. تسلمهم إلى أمريكا لتنفي عن نفسها تهمة الإرهاب الأمريكية، ولتحصل منها على شهادة حسن السيرة والسلوك، ولتبرهن على نظافة سجلها في حقوق الإنسان، وهذه بادرة جدُّ خطيرة لا نجد لها سابقة في تاريخنا وعلاقاتنا مع الآخرين، بل هي تشكل الآن سابقة يقاس عليها فيما بعد، ويخشى أن تصبح قاعدة في العلاقات الدولية.

• وأيُّ إرهاب أكثر من التدخل في الشؤون الداخلية للدول المستقلة ذات السيادة، والتلويح والتهديد بتغيير القيادات والأنظمة، والضغط عليها -بكل الوسائل والأساليب- لتعديل مناهجها التعليمية والتربوية ولإعادة تشكيل العالم وفق النظرة الأمريكية التي يتبناها صقور إدارة بوش؟.

وفي هذا المعنى يقول روبرت دريفس: إن النزاع مع العراق هو حدث بارز صُمم لخلق صدمة مزلزلة تموج في أرجاء المنطقة، وحول العالم، وتبشر باقتراب حقبة جديدة من النفوذ الإمبراطوري الأمريكي، كما أنه من المحتمل أن يُدخل الولايات المتحدة في نزاع مع دول عديدة في الشرق الأوسط.. وفي الشرق الأوسط؛ فإن تغيير النظام الوشيك في العراق، ليس سوى خطوة أولى في إعادة تنظيم كلية للمنطقة بأسرها، وفقاً للمحافظين الجدد الذين بدؤوا - بسعادة- إطلاق لقب «عصابة سرية» على أنفسهم.

ومثل لعبة الدمينو (حيث يتسبب حدثٌ بتعاقب أحداث مشابهة)؛ فإن الأنظمة في المنطقة ابتداء بإيران، وسوريا، والعربية السعودية، ثم لبنان، ومنظمة التحرير الفلسطينية، وأخيراً السودان وليبيا، واليمن، والصومال مرشحة لأن تستسلم، أو تنهار، أو تواجه العمل العسكري الأمريكي. ولهذه البلاد قال زعيم العصابة السرية ريتشارد بل، العضو المقيم في المشروع الأمريكي ورئيس لجنة سياسة الدفاع: يمكننا نقل رسالة قصيرة من كلمتين: (أنت التالي). إن ذلك يشبه المتسيد على الملعب، فأنت توسع أحدهم ضرباً، وعندها يتأدب كل شخص آخر)[1].

ويتحدث الدكتور محمد السلومي حفظه الله تعالى في كتابه (القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب) عن التعاون الأمريكي اليهودي في إرهاب المسلمين وزعزعة أمنهم فيقول:

(الكاتب الأمريكي (ديفيد ديوك) يؤكد أن الدعم الأمريكي (الأعمى) لإسرائيل هو السبب الرئيسي لهجمات سبتمبر:

لقد أبرزت المقالة لهذا الكاتب بعض جوانب دعم أمريكا للإرهاب، وسوف أختار من هذا المقال بعض المقتطفات التي تتسق وطبيعة الموضوع، وباختصار شديد يقول الكاتب بعنوان: (فلتفتح أمريكا أعينها وترى الحقيقة في هدوء. ٦ مليارات دولار سنوياً لمدة نصف قرن تتلقاها إسرائيل من أمريكا). «الحقيقة المؤكدة التي لا مراء فيها هي أن الفلسطينيين والكثيرين

---

(١) يسألونك عن الإرهاب ص٦٣-٨٠ (باختصار).

وجميع النقولات موثقة في هذا الكتاب، وقد آثرت تركها طلباً للإختصار فليرجع إليها من شاء.

من العرب الذين يدعمونهم ظلوا مستهدفين طيلة نصف قرن من قبل الإرهاب الإسرائيلي الذي لا يرحم؛ ففي نهاية الأربعينيات سيطر الصهاينة على فلسطين وطردوا حوالي (٧٠٠,٠٠٠) فلسطيني من بيوتهم، من خلال أعمال الإرهاب التي مورست ضدهم على نطاق واسع؛ مثل تلك المذبحة التي راح ضحيتها (٢٥٤) فلسطينياً غالبيتهم من الشيوخ والنساء والأطفال في (دير ياسين)؛ تلك المذبحة الوحشية التي ارتكبت بدم بارد، تميزت به جرائم اليهود من خلال بقر بطون النساء الحوامل، وبعد أن قاموا بإراقة دماء أولئك الأبرياء أشاعوا على الملأ تفاصيل تلك المذبحة الرهيبة؛ لدفع أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين إلى الفرار؛ تاركين بيوتهم وأملاكهم وأموالهم التي لم يُسمح لهم حتى الآن بالعودة إليها.

وتنفيذاً لسياسة التطهير العرقي؛ تستمر إسرائيل في منع السكان الفلسطينيين الذين ولدوا في فلسطين، والذين عاش ذووهم لأجيال لا تعد ولا تحصى من العودة إلى ديارهم، وفي الوقت نفسه تعطي حوافز مغرية لليهود الذين لم يسبق لهم العيش في فلسطين؛ ليهاجروا إليها من أقصى أركان العالم.

كل فلسطيني وكل عربي يعرف جيداً أن إسرائيل وعلى مدى نصف قرن من العنف؛ ليس بوسعها القيام بكل ذلك دون الدعم المادي والعسكري والدبلوماسي الذي تتلقاه من الولايات المتحدة، وهم يعرفون أيضاً أن اللوبي اليهودي يحكم السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، وأن الصهاينة في وسعهم الحصول على ما يريدون من الكونجرس في الأمور التي

تهمهم، وكان الدعم الأمريكي للغزو الوحشي، والاحتلال الذي قامت به إسرائيل للبنان في الثمانينيات؛ هو السبب الرئيسي في تفجير مقر قوات المارينز وسقوط (٣٠٠) شاب أمريكي. ويؤكد الكاتب الأمريكي اشتراك أمريكا في الجرائم الإسرائيلية؛ فيقول مؤكداً على إرهاب دولته:

«ويعرف العرب أيضاً أن كل قنبلة تقتل شعبهم تأتي من أمريكا، وكل رصاصة ودبابة وطائرة هي إما مصنوعة وإما مدفوعة من أمريكا، ويشكل ذلك بلايين الدولارات تُرجمت إلى دعم حقيقي وفعَّال، مكَّن الدولة اليهودية من بث الرعب في صفوف الشعب العربي على مدى نصف قرن. ورغم أن إسرائيل غزت لبنان وقتلت الآلاف من الأبرياء فإن أمريكا لم تهدد بقصف تل أبيب (كما حدث في العراق)؛ إذا رفضت إسرائيل تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بالانسحاب، ويقول الكاتب: وإذا أجرينا مقارنة يسيرة بين تفاعل أمريكا حيال الغزو العراقي للكويت، وتفاعلها حيال الغزو الإسرائيلي للبنان، ستتضح لنا الصورة بشكل أوضح)[1].

- ويتحدث عن الإرهاب اليهودي على المسلمين في فلسطين فيقول:

(يتميز الكيان الصهيوني بسن قوانين إرهابية تجيز انتهاك حرمة وكرامة الإنسان، وتزيد من معاناة الشعب الفلسطيني المضطهد، ومن ذلك قوانين الاعتقال الإداري، التي تجيز اعتقال أي مشتبه به لمدة معينة، وتمديدها إذا رأى القائمون على الأجهزة الأمنية ذلك.

---

(١) القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، ص١٠٢-١٠٤.

والاعتقال الإداري عبارة عن أمر عسكري، يقره ضابط برتبة عميد، بدون لائحة اتهام وبدون محاكمة، ودون إبلاغ المعتقل ما هي الاتهامات المنسوبة إليه.

ويطال هذا النوع من الاعتقال أي فلسطيني لمجرد الشبهة، ولا حاجة فيه إلى الأدلة، أو الأسباب الداعية إلى الاعتقال، وكان المعتقل يمكث في السجن ثمانية عشر يوماً، ثم يُطلق سراحه، أو يمدد اعتقاله مدة مماثلة أخرى، ثم صدر قرار بزيادة المدة إلى ثلاثة أشهر، ثم إلى ستة أشهر قابلة للتمديد.

ويعاني الفلسطينيون خلال فترة الاعتقال الإداري معاناة لا توصف، حيث يقوم المحققون خلال هذة الفترة بتعذيب المعتقل بكافة الوسائل والأساليب البشعة دون حساب أو رقابة، وذلك بحجة خطر المعتقل، وضرورة نزع الاعترافات التي يمكن أن توقف بعض العمليات، وتكشف مخططات قوى المقاومة...

ويشهد على إرهاب هذا الكيان ما يجري في الزنازين المرعبة من أعمال وحشية، وممارسات لا إنسانية، وجرائم بشعة يندى لها الجبين.

فالسجون الصهيونية الكالحة لا تعرف الرحمة، ولا تعترف بها، وداخلها مفقود، والخارج منها مولود، وهي بحق معتقلات الموت البطيء التي شُيدت لقتل الإنسانية والعزة والكرامة في نفوس أبناء فلسطين ومن أعانهم، أو انتصر لهم من إخوانهم المسلمين.

ولم يكن إنشاء هذه السجون فقط من أجل اعتقال وتعذيب المقاتلين،

وجنود المقاومة، أو تأديب المعارضين، وحبس المتظاهرين، وإنما لأهداف أخرى أشمل وأعم، من مثل بث الرعب، ونشر الخوف بين الفلسطينيين جميعاً دون استثناء، وتجنيد العملاء والخونة بالإسقاط والإكراه ووسائل التعذيب المختلفة، وتدريب الإسرائيليين على التحقيق وكيفية التعامل الوحشي مع أعدائهم، وتحطيم المعنويات لدى الشعب الفلسطيني، وكسر شوكة المقاومة، وغرس الشعور باليأس من الخلاص في قلوب الناس، وتوفير الحماية والأمن للمستوطنين المغتصبين المحتلين للأرض، وغير ذلك...

- **وجرائم أخرى بحق النساء:**

في ١٣/ ٩-٢٠٠١، وبينما كانت الأسيرات يجلسن في غرفهن، اقتحمت قوة من السجانات غرف الأسيرات، وصادرن جميع أمتعتهن وممتلكاتهن، واقتيدت الأسيرات مها العك، وعبير عمرو، وسعاد غزال، ورابعة حمايل (١٤ سنة) إلى قسم آخر ، حيث لا يوجد سوى السجناء المدنيين المجرمين، وبعد ذلك قامت قوة من السجانات بالدخول إلى غرف العزل، وبدأت بالاعتداء بالضرب العنيف على الأسيرات، بعد أن قام السجانون والشرطة بتقييد أيدي وأرجل الأسيرات، ورشهن بالغاز، وربطهن بالأسرة بشكل مؤلم، فقضين طول الليل يصرخن من شدة الألم.

- **سياسة الإعدام الميداني للمعتقلين:**

أكثر من ١٩ مواطناً عذبوا وأعدموا عند تنفيذ عملية الاعتقال.

أعدمت سلطات الاحتلال الصهيوني ١٩ مواطناً فلسطينياً، ألقي القبض عليهم وهم على قيد الحياة ، خلال عام من انتفاضة الأقصى، وتمت عملية الإعدام حين تنفيذ عملية الاعتقال، وقبل اقتيادهم إلى مراكز تحقيق رسمية، والمقصود بالإعدام هنا هي عملية تصفية المعتقل بعد إلقاء القبض عليه مباشرة، خارج نطاق القوانين المعمول بها رسمياً، والمطبقة حول إجراءات الاعتقال، وتمت عمليات القتل بعدة أساليب هي:

- إطلاق النار بشكل مباشر على المعتقل عند إلقاء القبض عليه.
- عدم السماح بتقديم الإسعافات الطبية للجرحى، الذين تم اعتقالهم حتى يفارقوا الحياة.
- تعذيب المعتقلين ميدانياً حتى الموت.

ومعظم المعتقلين الذين أعدموا تم تشويه جثثهم، والتنكيل بها بشكل بشع، ولا إنساني.

وتنفرد حكومة الكيان الصهيوني المتعاقبة في تنفيذ هذه السياسة، التي تعتبر جزءاً أساسياً من التوجه الرسمي لها، منذ عام ١٩٦٧م، وكانت قضية الباص رقم ٣٠٠ عام ١٩٤٨م قد فتحت ملفات العديد من حالات إعدام معتقلين بعد القبض عليهم، وذلك بعد الكشف عن هذه القضية التي تم خلالها إعدام مجدي أبو جامع من قطاع غزة، وزميل له بعد إلقاء القبض عليهما، إثر عملية اقتحام فاشلة لباص إسرائيلي.

وقبل خمس سنوات قتل ناحوم كورمان، ضابط الأمن في مستوطنة بيتار

الصبي حلمي شوشة من قرية حوسان المجاورة، بعد أن اشتبه بقيامه بإلقاء الحجارة على سيارة مستوطنين، وذلك في صورة بشعة تصور وحشية الاحتلال، حيث داس على رأسه، وظل يركله في رأسه لأكثر من ساعة، ثم قام بإطلاق النار على رأسه بدم بارد، وانسحب من المكان)[1].

• وأما ما يقوم به المنافقون المتنفذون في كثير من بلدان المسلمين من الإرهاب والسجن والتعذيب لدعاة المسلمين ومصلحيهم ومجاهديهم فلا يحتاج إلى تفصيل لأنه لا يخفى على أحد، فأين من يتكلم عن الإرهاب عن هذا الإرهاب والتخويف والتضييق على المصلحين وأهليهم وذويهم.

• وفي ختام الحديث عمَّا يقوم به الكفار والمنافقون من إرهاب وتقتيل وتشريد وتخويف للآمنين أود الحديث عن (مجلس الخوف والإرهاب والاستعمار) وهو ما يسمى زوراً وبهتاناً (بمجلس الأمن). وعن دوره التآمري الخبيث في إضفاء الشرعية على ما تقوم به الدول الكافرة من قتل وعدوان على المسلمين، واحتلال لبلدانهم ومقدراتهم، وما يصاحب ذلك من تغيير للعقائد والأفكار والأخلاق، يتحدث الدكتور محمد طاهر حكيم في كتابته عن حقيقة مجلس الأمن فيقول:

(كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن دور مجلس الأمن ومهامه في تحقيق الأمن والسلام العالمين إبان تعرض المسلمين لمآس ونكسات وويلات من أعدائهم في شتّى أنحاء المعمورة، ولا سيما في البوسنة وفلسطين وكشمير،

(١) القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، ص٢١٤-٢٤٠ (باختصار شديد) ومن أراد التوثق من النقولات فليرجع إليها في الكتاب المذكور.

والعراق، وأفغانستان على سبيل المثال لا الحصر.

وظن بعضهم أن مجلس الأمن سيفرض الأمن ويعيد السلام إلى المناطق المنكوبة، ويحقق الأهداف التي قام من أجلها؛ وهي إقامة العدل ونصر المظلوم وردع المعتدي، وغاب عن هؤلاء أن المنظمة الدولية غدت أداة طيعة في أيدي الأقوياء لتحقيق خططهم وتنفيذ مآربهم.

إن مجلس الأمن تتحكم في قراراته خمس دول فقط الأعضاء الدائمون وهم: أمريكا، روسيا، بريطانيا، فرنسا، والصين، التي تسعى من خلال قراراته لتحقيق مصالحها الخاصة، وفرض سيطرتها على الدول الضعيفة والإسلامية منها بالذات، ويقال عن أي قرار يصدر عن هذا المجلس بأنه قرار دولي. أو يعبر عن إرادة المجتمع الدولي. وهذا عجيب وما أكثر عجائب هذا الزمن. ومنها أن يقال عن القرار الصادر من خمس دول بأنه «دولي»، ويفرض على باقي دول العالم، دون أدنى حق لها في إبداء الرأي أو الاعتراض عليه، بل إنه بإمكان دولة واحدة من هذه الدول الخمس إفشال أي قرار لا يعجبها، بصرف النظر عن مواقف باقي الدول، ومع هذا يقال عن أي قرار يصدر عن مجلس الأمن بأنه قرار دولي.

خذ مثالاً شعب البوسنة المسلم، وما حدث له من وحشية وهمجية لا نظير لها، حيث يعيش شعب بكامله تحت الإرهاب، والحكم العسكري، ونظام المعسكرات الذي يذكرنا بأساليب «النازية» أو «الفاشية» أو «الشيوعية». ومجلس الأمن الذي يتبجح بالدفاع عن حقوق الإنسان،

وقواعد القانون الدولي، وحق جميع شعوب الأرض في العيش في سلام متباطئ متخاذل، لأن هناك بعض الأعضاء الدائمين في المجلس لا يرون ما يراه العالم ودوله وشعوبه قاطبة، فهل بعد هذا يصح أن يقال عن أي قرار يصدر من مجلس الأمن بأنه قرار دولي؟ أين مكمن التزوير؟ إن مجلس الأمن لا يعبر عن المجتمع الدولي، بل هو يعبر عن هيمنة أعضائه الدائمين على «القرار الدولي» ولذا يحسن تسميته بـ «مجتمع القوة» أو «مجتمع الخاصة» الذي يحكم باسم المجتمع الدولي، ولذا فإن تسمية قراراته بالدولية زور وباطل.

إن هذا الوضع القائم ما هو إلا امتداد لحقبة الاستعمار، الذي ولى بمظهره العسكري، ليحل بمظهره السياسي، فهذا المجلس في الحقيقة أصبح مجلس استعمار وليس مجلس أمن...

الحقيقة أن بعض المسلمين يبالغ في حسن الظن بمجلس الأمن عندما يلجأ إليه، ويتوقع منه أن ينظر إلى قضايانا بعين العطف والرحمة أو على الأقل بعين العدل والإنصاف.

وتغيب عن أذهاننا حقيقة مهمة وهي: أن المجلس عبارة عن التكتل اليهودي (أمريكا) النصراني (بريطانيا وفرنسا) الشيوعي (روسيا والصين)، فهل يرجى للمسلمين خير من هؤلاء؟ أليس هؤلاء هم أعداؤنا، أليس الله قد حذرنا منهم، ومن الاعتماد عليهم وموالاتهم؟ ألم يخبرنا الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ

أَشْرَكُوا﴾ فكيف نأمل الخير ممن حذرنا الله منهم.

هل نتوقع مناصرة قضايانا ممن زرعوا النبتة الخبيثة (إسرائيل) في قلب العالم الإسلامي؟ أم نتوقع ذلك من روسيا وهي التي لطخت يديها بدماء المسلمين الأبرياء في دول آسيا الوسطى وأفغانستان، وهي التي تزود إسرائيل باليهود، والأيدي الفنية الماهرة، وتزود مجرمي الصرب بالأسلحة ضد مسلمي البوسنة العزل.

أما فرنسا فلها موقفها من قضايا المسلمين بعامة ومن قضية البوسنة بخاصة فعندما قام ميتران بزيارته المشبوهة (لسراييفو) قال للرئيس المسلم علي عزت : «ليكن في علمك بوضوح أن فرنسا لن تسمح مطلقاً بوجود دولة مسلمة على عتبات أوروبا يحكمها المسلمون».

وقد عبر نائب الرئيس البوسني أيوب غانيتش عن موقف الأوروبيين من قضية بلاده ، فقال: إن أوروبا أظهرت وجهها الحقيقي، وإن تدمير البوسنة وفناء أهلها سيكون على يد أوروبا وليس على يد الصرب فقط.

فهل نأمل مناصرة قضايا المسلمين من هذه الدول، أم نأمل ذلك من الصين العضو الخامس في مجلس الأمن وهي التي لا زالت تستعمر تركستان الشرقية، وتعمل التقتيل والتهجير حيال المسلمين هناك، وتزود مجرمي الصرب بالأسلحة والمعدات...

ثم إن قرارات مجلس الأمن تفرض على الدول الضعيفة ولا سيما الإسلامية منها، كما تفرض على هذه الدول العقوبات الاقتصادية

والتجارية والعسكرية، والمقاطعة الدولية إذا لم تخضع لرغبة وهيمنة مجلس الأمن، بل وتدرج أسماؤهم في قائمة الدول المساندة للإرهاب والمنتهكة لحقوق الإنسان.. الخ كما هو حال بعض الدول الإسلامية المعروفة للجميع. أما الدول الكافرة والمحتلة لأراضي المسلمين والتي تحظى بمساندة وتأييد أعضاء مجلس الأمن الدائمين، فلا تلزم بتطبيق أي قرار صادر عن مجلس الأمن، ولا يفرض عليها أي عقوبات إلا صورياً ذراً للرماد في العيون، بل هي في كثير من الأحيان تعربد يمنة ويسرة وتهزأ بقرارات المجلس «الموقر» دون أن يثير ذلك حفيظة المجلس، أو أن يكون فيه التحدي للمجتمع الدولي، وهذا يؤكد أن المجلس لن يقف مع أي قضية للمسلمين مهما كانت إذا كان الطرف الآخر فيها من غير المسلمين...

ويأتي بعد هذا دور القوات الأممية التي ترسل هنا وهناك لتؤمن الخائفين، وتدافع عن المظلومين، وتستر عورات المضطهدين إلى آخر مصطلحات الرحمة، وحماية الإنسانية، التي ترفع لواءها قوات الأمم المتحدة في كل مكان، فماذا فعلت هذه القوات؟

ذكرت صحيفة «الجارديان» الصادرة في ٢٨ أغسطس ١٩٩٣م عددا من تهم الفساد الموجهة إلى جنود الأمم المتحدة في سراييفو وأخطر هذه التهم أن هذه القوات تقوم بالمتاجرة بالمخدرات وتهريبها، وقال المراسل: إن الجنود الفرنسيين الذي يعملون تحت قيادة الأمم المتحدة يقومون بعمليات اغتصاب واسعة ضد المسلمات، وأنهم كانوا يعطون الصرب شحنات الأغذية والأدوية مقابل إعطائهم نساء مسلمات بوسنيات من المعتقلات

لاغتصابهن.

وقال مراسل «الديلي تلغراف»: إن ضباطاً كباراً من الأمم المتحدة هم الذين كانوا يشرفون على أسواق الدعارة في البوسنة.

وذكرت «نيويورك نيوز» الصادرة في ١٧/٥/١٤١٤هـ ، أن أكثر من خمسين ضابطاً من فرنسا وكندا وأوكرانيا ونيوزيلندة ودولة إفريقية لم يذكر اسمها كانوا يترددون على معتقل يديره الصرب يعج بالأسيرات من النساء المسلمات اللاتي أجبرن على ممارسة البغاء.

هذه بعض أعمال وجرائم ذوي القبعات الزرقاء، لكن السؤال: من يتولى التحقيق في ذلك إذا كان الخصم هو الحكم... ؟

إن المرء يقف حائراً أمام تصرفات هذه المنظمة التي تكيل بمكيالين، وتزن بميزانين، فهي لا تحب نصرة المسلمين، أو حتى السماح للآخرين بمساعدتهم، أو حتى حمايتهم، أو حتى حماية الأبرياء منهم؛ لكن عندما يكون الأمر متعلقاً ببعض الجنود غير المسلمين فيظهر الوجه الآخر للمنظمة الدولية، فتقلق وتحزن على بضعة جنود أسبان، ولا تتأثر على تقتيل مئات الآلاف من المسلمين، وتشريدهم وتهجيرهم، واغتصاب نسائهم ونهب ممتلكاتهم.

إن هذا الشعور الذي ينتابنا نحو هذه المنظمة وسكرتيرها يجعلنا نكرر ونرفع صوتنا مع الكاتب الذي يقول: (إن عالمنا مليء بالأكاذيب وإن هيئة الأمم وميثاق حقوق الإنسان كذب في كذب، وحماية الشعوب من التفرقة

العنصرية كذب في كذب، وحماية الدول من الإعتداء هو كذب في كذب)، وكذلك نكرر مع الرئيس علي عزت (إن الغرب حينما يتعلق الأمر بالإسلام مستعد لأن يخون مبادئه وقيمه التي ينادي بها).

إن الحقيقة الناصعة التي لا تحتاج إلى إثبات هي أن قضايانا لن يحلها أحد سوانا «وما حك جلدك مثل ظفرك»، وإن أمة لا تملك الدفاع عن نفسها لا تستحق الحياة والبقاء. والحقيقة أن ما اغتصب بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، ذلك هو المنطق البدهي الذي تشهد له حقائق التاريخ الإنساني قديماً وحديثاً ، فلولا ذلك لما خرج الرومان من العالم العربي في عصر الفتوحات، ولما طرد المسلمون الصليبيين المعتدين الغزاة من أراضيهم، ولما غادرت فرنسا الجزائر، وأمريكا فيتنام، وروسيا أفغانستان.

لكن إلى متى نظل نتشبث بمجلس الأمن؟ وإلى متى نبقى مخدوعين بـ «المجتمع الدولي» ؟ إن شرور اليهود والهندوس والصليبين والشيوعيين واعتداءاتهم على المسلمين لن تقهرها «شرعية دولية» ولا قرارات شجب وإدانة واستنكار، وإنما تهزمها وحدة المسلمين واتفاقهم وقوتهم وتفوقهم التقني والعلمي والعسكري، والاتحاد والتعاون فيما بينهم في كل المجالات ولا سيما المجالات الدفاعية والعسكرية.

والله من وراء القصد... [1] أ.هـ

وهذا نص شعري نشرته مجلة البيان بعنوان «رسالة إلى مجلس الأمن» !! بل «إلى

(١) مجلة البيان العدد (٨٢) ص٦٠.

مجلس الخوف»:

يامجلساً قد خان حمل	عهود ميثاق الشرف
كم ذاقَ غدرَك مسلمٌ	يلقى المذلّةَ والشظف
في البُسنْة الثكلى هنا	كَ دماءُ شعبٍ لم تَجِفْ
وعلى ثرى الشيشان منـ	كَ مواقفُ الغدرِ الدّنِفْ
كشميرُ أنت عدوّها	والدمعُ فيها لم يكفْ
في دولةِ الغصبِ التي	تلقى المعَزة والكَلَفْ
آثارُ غدرك كلّما	هَدَرَ المُعربدُ أو عَصَفْ
تنسى الدماءَ بأرضنا	وبغيرها تبكي النّطَفْ
كم من سياطِ الغدرِ في	قاعاتِ خوفِك والحَسَفْ
وبَدوتَ مِنْ إثر المهانة	تحتَ أقدامِ السّخَفْ
يامجلسَ الخوفِ الذي	من جُرحِ أمتِنا ارتَشَفْ
دعْ عنكَ نظْم القولِ يا	مَن حِبرُ مكرك لم يجفْ
يا من يرومُ عداءَنا	إنّا وربك لم نَخَفْ
لسنا الأذلاءَ الذيـ	ن لهمْ عنِ العليا جَنَفْ
لسنا كمن تُلْقي لهمْ	في الجَهْرِ أطنانَ العَلَفْ
فلنا على دربِ الكرامةِ	من أرُومَتها سَلَفْ
كم في جهود الأمن مِنْ	خوفٍ على أهلِ الشَرَفْ
فاسند حِياض الظلم في	عصرِ التخاذلِ والتلف
وامكُرْ فمكرُ الله كم	أودى بِمِثلكَ في سَلَفْ[1]

ثانياً: أسلوب غزو العقيدة والعقول والأخلاق.

وهذا الأسلوب من العداء للمسلمين، وأمنهم الفكري والأخلاقي قد يكون أخطر من الأسلوب العسكري السابق بيانه، ذلك لأن العداء العسكري بالتقتيل والتشريد، والاحتلال العسكري للبلاد يستنهض الهمم، وينبه الغافلين، ويوقظ النائمين. أما الغزو العقدي على العقول والأخلاق، فيسري في الناس، وهم في غفلة عن ذلك، وبخاصة إذا اشتغل أكثر الناس بدنياهم ولهوهم وشهواتهم.

وهذا النوع من الغزو والعداء لأمن الناس وسلامتهم في الدنيا والآخرة لم يسلم منه بلد من بلدان المسلمين. بينما الغزو العسكري الظاهر كان في بعض البلدان كأفغانستان والعراق والشيشان وفلسطين. ومما ساعد الكفار على هذا الأسلوب من العدوان أناس من بني جلدتنا مهدوا لهذا الغزو، وفتحوا صدورهم وأيديهم له، وساهموا بشكل فعال في تنفيذ مخططات الكفار على بلدان المسلمين. وهؤلاء هم المنافقون الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان.

وهؤلاء هم الذين سبق ذكرهم عند الكلام عن تعاون المنافقين مع الكفار في غزوهم واحتلالهم لبلدان المسلمين، وتوليهم للكفار، وخيانتهم للمسلمين كما قال تعالى في الآية السابقة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ

(١) مجلة البيان العدد (١٢٧) ص ٥٦.

فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الحشر:١١] وهم الذين قال الله عز وجل فيهم : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٣٨،١٣٩] وهم الذين وصفهم الله عز وجل بقوله: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧].

ولولا المنافقون لما استطاع الكفار أن يحققوا أهداف غزوهم لبلدان المسلمين سواء كان ذلك الغزو عسكرياً أو ثقافياً وأخلاقياً . ومن أشد المنافقين عداوة وخطراً في صفوف المسلمين اليوم الرافضة وزنادقة الصوفية والعلمانيون والحكام المتنفذين في أكثر بلدان المسلمين. وتاريخ هذه الطوائف معروف في حياتهم وتواطئهم مع الكفار الغزاة، وفتح بلدان المسلمين لجيوش الكفار العسكرية، أو جيوشهم الفكرية والثقافية، وتضليل المسلمين بها. وأسوق فيما يلي صوراً من هذا العدوان الآثم من الكفار المنافقين على ثوابت الأمة وأخلاقها، وضرورياتها الأساسية:

أولاً: العدوان على أمن الدين وثوابته:

إن عداوة الكفار وإخوانهم من المنافقين لأمن الدين والعقيدة وثوابتها معروف منذ وجد الصراع بين الحق والباطل، والتوحيد والشرك، والهدى والضلال. وكان يأخذ أشكالاً وصوراً مختلفة حسب الزمان والمكان. ولقد شهدت السنوات الأخيرة بعد حرب أفغانستان والعراق غزواً خطيراً صريحاً على هذا الدين وثوابته وأمنه وسلامته أعلن فيها الكفار موقفهم

الصريح من دين الإسلام وكشفوا عن خططهم ونواياهم. كما أخرج المنافقون قرونهم، وأفصحوا عن أنفسهم بمالأتهم للكفار، ومسارعتهم في فتح البلاد لهم ولأفكارهم وثقافاتهم، وفرحوا بها، بل كانوا أكثر من الكفار حرصاً ومسارعة على مسخ هوية الأمة، وإبعادها عن دينها الذي هو مصدر عزها وسعادتها وأمنها في الدنيا والآخرة.

وإن أخطر غزو يوجهه الكفار اليوم إلى بلدان المسلمين وساعدهم في ذلك المنافقون، بل وينفذونه لهم، إنما هو غزوهم لعقول وأفكار المسلمين، وتغيير نظرتهم الصحيحة للإسلام، وذلك بوصفهم الإسلام أنه عقيدة وجدانية بين العبد وربه في صلاته ومسجده وأذكاره وتسبيحاته، وأن لا دخل له في توجيه دفة الحياة الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. كما أنهم حرب على عقيدة الولاء والبراء بوصفها تثير العداء بين بني الإنسان. وهم حرب على شعيرة الجهاد بوصفها عدوان وكراهية وإرهاب وإكراه!! وهو حسب مكرهم وتضليلهم يتعارض مع سماحة الإسلام ورحمته!!

ومن هذا المنطلق في غزوهم الماكر يوجهون حربهم الدعائية والاستئصالية لكل من يرفض هذا الفهم الأمريكي النفاقي للإسلام ويصمونه بالمتطرف والإرهابي والأصولي والوهابي إلى آخر هذه المسميات. أي أن من يفهم الإسلام بالفهم الذي جاء في كتاب الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة: ٢٠٨] وقوله سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ

فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢،١٦٣] وأن من يفهم التوحيد أنه ولاء وبراء ولاء للمؤمنين، وعداوة وبراءة للكافرين كما قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤]. ومن يفهم الإسلام أنه دين الله الحق الذي ارتضاه لعباده، ولا يرضى ديناً غيره، ويسعى لنشره في العالم بالدعوة والتبليغ والجهاد والسنان إذا وقف في طريقه من يصد الناس عنه كما قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال:٣٩]. إن كل من يفهم الإسلام بالفهم السابق في الولاء والبراء، والحكم والتحاكم، والجهاد والدعوة فهو الإرهابي الذي ينبغي أن يحارب، ويصفى فكرياً أو جسدياً، ومن فهم الإسلام من المسلمين بهذه النظرة الأمريكية، كما هي نظرة المنافقين والمخدوعين من المسلمين؛ فهو المحبوب عند الكفار والمقبول لديهم وهو العالم المرن المتسامح المعتدل!!!

ولذلك فهم لا يفتأون يركزون على بعض الرموز والطوائف الإسلامية الذين يصفونهم بالمعتدلين، ويستخدمونهم في تنفيذ مخططاتهم الماكرة في غزوهم للعقول والأفكار.

وكون الكفار يفهمون الإسلام بهذا الفهم له ما يفسره. ولكن ما عذر المخدوع من المسلمين في هذا الفهم الذي يريده الكفار والمنافقون

بالمسلمين، وكتاب الله عز وجل بين أيديهم، وآيات التوحيد والولاء والبراء والحكم والتحاكم والجهاد والدعوة واضحة بينة فيه. لا غموض فيها ولا التباس؟ لكنه البعد عن كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ . أو هو الشعور بالهزيمة النفسية والاحباط، والتبعية. ولكن أين نحن من تحذير الله عز وجل في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠٠،١٠١].

(إن طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم، واقتباس مناهجهم وأوضاعهم، تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية، والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة المسلمة. كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صعداً في طريق النماء والارتقاء. وهذا بذاته دبيب الكفر في النفس، وهي لا تشعر به ولا ترى خطره القريب.

هذا من جانب المسلمين. فأما من الجانب الآخر، فأهل الكتاب لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها. فهذه العقيدة هي صخرة النجاة؛ وخط الدفاع، ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة. وأعداؤها يعرفون هذا جيداً، يعرفونه قديماً ويعرفونه حديثاً، ويبذلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كل ما في وسعهم من مكر وحيلة، ومن قوة كذلك وعُدة. وحين يعجزهم أن يحاربوا هذه العقيدة ظاهرين يدسون لها ماكرين. وحين يعييهم أن يحاربوها بأنفسهم وحدهم،

يجندون من المنافقين المتظاهرين بالإسلام، أو ممن ينتسبون- زوراً- للإسلام، جنوداً مجندة، لتنخر لهم في جسم هذه العقيدة من داخل الدار، ولتصد الناس عنها، ولتزين لهم مناهج غير منهجها، وأوضاعاً غير أوضاعها، وقيادة غير قيادتها..)[1].

هذا كتاب ربنا عز وجل ينطق بالحق، وكأنه يخاطبنا الآن، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا نهتدي لولا أن هدانا الله عز وجل. وكلام الله عز وجل وموعظته وتحذيراته تكفينا؛ ولكن نظراً لأن بعض المسلمين اليوم قد هجر القرآن الكريم، إما تلاوة، أو تدبراً، أو عملاً؛ فإن الحاجة تدعو إلى نقل بعض ما كتبه الملأ الذين كفروا في مراكز بحوثهم ودراساتهم الاستراتيجية، وما رسموه من خطط خبيثة ماكرة لمواجهة الإسلام الحق، وبث الشبهات بالوسائل المختلفة وتغييره في نفوس أهله حسب الفهم الذي يريدون، وهو الذي حذرنا الله عز وجل منه في كتابه الكريم.

يقول الأستاذ حسن الرشيدي في مقال بعنوان (إسلام على الطريقة الأمريكية):

(تعتقد الولايات المتحدة أن حربها ضد الإرهاب قد تنتهي غداً أو بعد غد، أو حتى بعد عقد من الزمن، وذلك بانتصار الأقوى على الأضعف، ولكن في الوقت نفسه يظن قسم من مفكريها وسياسييها أن اقتلاع الغضب من الصدور، والكراهية من القلوب في عالم تحركه العواطف أمر يحتاج إلى

---

(١) انظر: في ظلال القرآن ١/ ٤٣٨.

جهود كثيرة وعقود طويلة.

ففي استطلاع أجراه شبلي تلحمي البروفيسور في جامعة ميريلاند الأمريكية كانت نتائجه كالآتي: معظم المستفتين من مصر والأردن والسعودية ولبنان يحبذون دوراً أكبر لعلماء الدين في الحياة العامة. ٦% فقط من الذين شملهم الاستطلاع يثقون بأن الولايات المتحدة ستُدخل الديمقراطية إلى العراق، وباقي الدول العربية ، فيما الغالبية العظمى تعتقد بأن أمريكا تريد فقط الاستيلاء على النفط، وتدعيم سيطرة إسرائيل على الشرق الأوسط. وأشار الاستطلاع أنه في حال تطبيق الديمقراطية، فإن الحركات الإسلامية لها الأغلبية الكاسحة في العديد من الدول العربية. فالاستطلاع يشير إلى أن الاكتساح العسكري الأمريكي مهما بلغ مداه فإنه لن ينزع كره أمريكا، ومن ثم لن تقضي على محاولة الإيقاع بها، والانتقام منها في أقرب فرصة سانحة، لذلك لجأت أمريكا إلى ما اصطلح على تسميته بالإسلام الأمريكي (أو الإسلام العلماني)...

وهو الوصف الذي أطلقته صحيفة ليبراسيون الفرنسية، أو ما يطلق عليه: العلمانية المؤمنة. ويعرفها الدكتور محمد يحيى بأنها طرح فكري يتقبل العلمانية تماماً لكنه يسوغها إسلامياً، ويخلق لها شرعية إسلامية مزعومة باعتبارها نوعاً من أنواع التجديد، والاجتهاد في المجال السياسي والاجتماعي، مسموح به في إطار «أنتم أعلم بشؤون دنياكم»..

ويضيف إن طرح العلمانية المؤمنة يسمح بوجود هامشي للدين على

سبيل التمويه مرشح للتعميم على البلدان الإسلامية، كنموذج جاهز للتطبيق، يحل محل شتى الأفكار والاتجاهات الإسلامية الموجودة، ويبشر بالعلمنة كسبيل وحيد أمام هذه الدول للانضمام إلى النطاق العالمي الجديد والدخول في ركب العولمة.

وتزيد صحيفة الإيكونوميست البريطانية هذا المفهوم وضوحاً، فتعرف العلمانية المؤمنة بأنها علمانية متصالحة مع الدين مثل العلمانية الأمريكية، وليست معادية له مثل علمانية فرنسا وأتاتورك...

وباستقراء الواقع تبين كثرة وتعدد الوسائل والأساليب التي تحاول الولايات المتحدة أن تعمم بها هذا الطرح الفكري على المسلمين. وهذا إنما يدل على الرغبة العارمة والمحمومة في فرض الإسلام الأمريكي على المسلمين. ولقد شغلت مراكز الدراسات والأبحاث الأمريكية، وكذلك المفكرون وصانعوا القرار، بابتكار وإيجاد أساليب لتوصيل ذلك المفهوم المشوه للإسلام، ومنها:

١- ضم علماء المسلمين الراغبين في هذا الفكر: تقول بولا دوبريانسكي وكيلة وزارة الخارجية الأمريكية للشؤون العالمية: «يتحدث الكثير من المسلمين عن الإرهاب وهم يعارضونه، لكن ذلك غير كاف، علينا أن نواصل القيام بالمزيد لحث المسلمين في الخارج على التحدث علناً عن قيم دينهم التي تعلي من شأن الحياة»، وأضافت: «يجب أن نفكر خارج الإطار التقليدي، ونوظف وسائل خلاقة للنهوض بالحرية الدينية،

وهنا أفكر في تمويل علماء مسلمين، أو أئمة، أو أصوات أخرى للمسلمين».

ويشرح مسؤول بوزارة الخارجية الأمريكية هذه المسألة فيقول: «إننا نريد ضم مزيد من علماء المسلمين إلى برامج التبادل الثقافي والأكاديمي التي تمولها أمريكا.. إننا مشغولون ببذل جهد أكبر لكي نصل لهذه المجتمعات الإسلامية وهذا الجمهور.. والهدف هو دعم أصوات التسامح في الدول الأخرى».

هذا التسامح يعني التخلي عن العقيدة الإسلامية التي تجعل للمسلم هوية تحقق له شخصيته واستقلاله.

٢- رصد مصادر التأثير في الشعائر الإسلامية: فمنذ حوالي عشرة أعوام انتبه المصلون في أحد المساجد بمركز الفتح التابع لمحافظة أسيوط لوجود شخص أجنبي ، يمسك في يده بجهاز كاسيت وينصت باهتمام شديد للشيخ أثناء خطبة الجمعة، ويدون الملاحظات، وعندما تجمع حوله بعض المصلين للاستفسار عن شخصيته، وسبب وجوده حاول الهرب، فأمسكوا به وسلموه إلى الشرطة التي فوجئت بالنتائج: فالرجل الأجنبي أمريكي الجنسية، يهودي هكذا قيل. كان موجوداً بالمسجد ليتابع بدقة خطبة الجمعة، وأنه لم يترك مسجداً تقريباً بأسيوط إلا وقد دخله، والسبب أنه يعد دراسة مهمة جداً عن تأثير خطبة الجمعة في المصلين في مصر.

٣- محاولة التأثير في أصول الدين والتفسير والحديث من أجل الاتفاق على مذهب وسط جديد يجمع كل الميزات؛ من نشر قيم التسامح والمحبة والوداعة، وهذا ما يطلق عليه «تجديد الخطاب الديني»: ففي دراسة أمريكية أعدت مؤخراً في إطار سلسلة من الدراسات الشاملة بهذا الشأن، أعدها خبراء أمريكان، تقول هذه الدراسة: اعتقدنا لسنوات طويلة أن حربنا مع هذا الكتاب يجب أن تستمر، وأن نقنع الآخرين بأن يغيروا الكلمات والآيات الواردة في هذا الكتاب، ولم يقل لنا أحد إن هذا ضرب من الخيال؛ لأن المسلمين ببساطة ليسوا هم واضعوا الكتاب أو بعض آياته، هم يعتقدون أنه هدية السماء لهم، وأن من يبدله أو يغيره شرير وفاسد، ومن يملك هذا هو الله وحده، وأننا في كل اللقاءات والمنتديات التي جمعتنا بالعديد من الشخصيات الأوسطية كانوا يتحدثون عن كتابهم المقدس باحترام بالغ وتقديس عظيم، وعندما كنا نتحاور عن معاني ما ورد في هذا الكتاب عن اليهود والقتال، وإجبار الآخرين على الدخول في الإسلام، والعديد من العادات السيئة (على حد زعمهم) كان الأوسطيون يرون أن ذلك مرده بالأساس للفتاوى والتفسيرات المصاحبة لهذا الكتاب، ناهيك عن آراء رجال الدين؛ لذا فإن المسلمين على الرغم من أنهم ظاهرياً ينتمون لدين واحد، وأن القرآن هو الذي يجمع بينهم؛ فإنهم في الحقيقة مختلفون ومنقسمون على أنفسهم إزاء تعدد وتضارب رجال الدين الذين ينتمون لتفسيراتهم.

إن أفضل وسيلة للتعامل مع المسلمين هي التأثير في أفكارهم واتجاهاتهم الدينية؛ من خلال الفتاوى والكتب الأخرى وليس من خلال الكتاب المقدس.

وتستمر هذه الدراسة الخطيرة فتقول: يعتمد هذا المنهج على مقومات؛ منها إظهار الاحترام الكامل للكتاب المقدس للمسلمين، والتأكيد على أن هذا الكتاب محل تقدير من الإدارة الأمريكية، وأنه يتم التعامل معه بوصفه كتاباً دينياً سماوياً، ولا يشكل خلافاً في التعامل بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى، وأن منهج الاحترام الواجب للكتاب المقدس للمسلمين سيؤدي إلى الشعور بالود والتعاطف بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى.

إن المنهج الرئيس في تغيير ما هو قائم يتعلق بقسم مهم لدى المسلمين يطلقون عليه الفتاوى، وهو يشمل آراء رجال الدين الكبار أو المعروفين لدى غالبية هؤلاء الناس، وفي الوقت الراهن توجد مؤسسات دينية تمارس هذا الدور (الإفتاء)، ويلاحظ أن غالبية الإرهابيين مارسوا جهودهم المتواصلة في ترويج أفكارهم السيئة بين الآخرين اعتماداً على فتاوى معينة صدرت في أزمنة مختلفة تحث على القتل والتخريب وتدمير الممتلكات الخاصة والعامة.

وتقتضي الخطة الأمريكية أن تبذل جهوداً كبيرة من أجل تنقية هذه الفتاوى من مواطن الإرهاب، والعنف لصالح نشر روح التسامح والمحبة،

ولهذا تؤكد الدراسة ضرورة اتباع تعليمات تقضي بابتداع أنواع جديدة من الفتاوى الإسلامية فيما يتعلق باليهود، وإلغاء مبدأ الجهاد بالنفس أو جهاد الأموال، الذي أصبح موضوعاً شائكاً في إطار مقاومة الإرهاب، والترويج لفتاوى أخرى تحث على التعامل المباشر مع حضارة وقيم الولايات المتحدة والدول الأوروبية. وإن نقل هذه القيم للمجتمعات الإسلامية سيزيدها تطوراً يتفق مع الإسلام. وعلى سبيل المثال لابد أن تصدر فتاوى جديدة تؤكد حرية المرأة، والقضاء على الانغلاق الذي اعتمد على فتاوى قديمة مما أجهض دور المرأة سياسياً، وفتاوى أخرى حول الإخاء الإسلامي المسيحي اليهودي، وأن هذا الإخاء لا يستهدف سوى إرضاء الله.

مطلوب أيضاً وفقاً للدراسة فتاوى تفصيل أخرى جديدة حول الاستعانة بالدول الصديقة في حال تهديد الأمن الداخلي أو الخارجي لأي دولة إسلامية، حتى لو كان هذا الصديق غير إسلامي، وفتاوى تكرس لأهمية الديمقراطية الغربية، وأنها أفضل أنواع الحكم في العالم، وحول ضرورة قتال الإرهابيين والتخلص منهم داخلياً، وتشجيع الآخرين على القيام بأدوار مهمة من أجل وقف تمويل الإرهاب.

ولم تنس الدراسة أن تشترط ضرورة صدور هذه الفتاوى عن رجال دين معتدلين بطبعهم، واقترحت أن يتم إنشاء معهد ديني علمي متخصص للدراسات الإسلامية في واشنطن، وأن يشرف على هذا المعهد الخارجية الأمريكية، وأن يتم إبرام اتفاقيات تعاون مع الدول العربية من أجل الاعتراف بالدرجة العلمية الكبرى التي يمكن الحصول عليها من خلال هذا

المعهد، وكيفية إمداده بالدعاة والمدرسين، على أن يتوسع المعهد في فترة لاحقة وتصير له فروع في كل البلاد العربية.

وأكدت الدراسة أهمية مصادرة كل الكتب الدينية المذهبية القديمة التي تحوي تفسيرات واضحة وصريحة حول القتل والتدمير والاعتداء على حريات الآخرين، وكذلك تنقية الأجواء من آراء عدد كبير من المفكرين والكتاب الحاليين التي تحض المسلمين على الإرهاب والعنف، وهؤلاء تحديداً يجب حصارهم إعلامياً وفكرياً، وملاحقة النظم التي تسمح من خلال أجهزة إعلامها ببث مواد دينية تثير مشاعر عدائية، بعد أن بدؤوا في التزايد مؤخراً في العديد من الدول العربية، ويعملون على إثارة تجمعات كبيرة للقيام بأعمال غير مقبولة نحو الأمريكان، ولابد من إلغاء فكرة إنشاء قنوات إعلامية دينية متخصصة، وأن يتم بدلاً منها إنشاء قنوات دينية اجتماعية تؤكد التواصل بين الحضارات، والأديان مؤكدين أن استمرار قناة دينية في البث يؤدي في النهاية لإشاعة ثقافة التطرف.

وإمعاناً في الاستخفاف بعقول المسلمين، وحضارتهم وتاريخهم تطالب الدراسة بتشكيل لجنة من علماء الدول الإسلامية من المعتدلين (بالطبع) الذي تختارهم الحكومات من أجل مراجعة تفسيرات الكتب الدينية، وخاصة التي تحمل أفكاراً إرهابية.

وترى الدراسة بعد تحليل ومراجعة المذاهب الأربعة، والكثير من الكتب الشارحة لهذه المذاهب وكافة التعليقات الأخرى الأجنبية أن المذاهب

الأربعة تضمنت أفكاراً قديمة غير لائقة وغير مقبولة في الوقت الراهن، وأن من الأفضل أن يتفق علماء الإسلام المتطور على مذهب وسط جديد يجمع هذه المذاهب بعد تنقيتها. ويتم اختيار لجنة تنسيقية بين أكبر عدد من الدول الإسلامية، تسعى للتوصل لصياغة علمية جديدة لهذا المذهب المعتدل. وهكذا يكون تجديد الخطاب الديني.

٤- تعديل مناهج التعليم بما يناسب المفاهيم الخاصة بالإسلام الأمريكي: في ندوة بعنوان «الإسلام الليبرالي والليبرالية الإسلامية» في المؤتمر السنوي السادس والخمسين لمعهد الشرق الأوسط الذي عقد في ١١ أكتوبر قال أكبر أحمد، رئيس دائرة الدراسات الإسلامية بمركز ابن خلدون، وأستاذ العلاقات الدولية بالجامعة الأمريكية بواشنطن، دي. سي: إن التعليم هو مفتاح الإصلاح.

وقال: إنه يجب التأكيد على أهمية التعليم في العالم الإسلامي. ومضى قائلاً إنه: «عن طريق التعليم وحده يستطيع المسلمون إعادة اكتشاف جوهر الإسلام»، وطبعاً الإسلام بالمفهوم الأمريكي.

٥- الاستعانة بالمسلمين الأمريكيين: وفي الندوة نفسها قالت السيدة عزيزة الهبري، أستاذ القانون في معهد تي. سي. وليامز للقانون بجامعة رتشموند بولاية فرجينيا، «إنه لمناقشة الديمقراطية والإصلاح في العالم الإسلامي بنجاح، من المهم أن ندرك أن الأفكار الليبرالية كفصل الدين عن الدولة موجودة في الإسلام ، وأنها ليست أفكاراً أمريكية

فحسب».

وأضافت: «إنه بدلاً من نقل أفكار غربية إلى العالم الإسلامي، ينبغي للمسلمين أن يركزوا على مفاهيم الإصلاح الإسلامية الموجودة فعلاً».

وقالت السيدة الهبري إن هناك حاجة إلى التأكيد بشكل أقوى على الحضارة الإسلامية، وإن واضعي السياسة الأمريكية بحاجة إلى الاستعانة بالمسلمين الأمريكيين في بناء جسور بين العالمين.

٦- تشجيع ما يعرف بالمسلمين الليبراليين: وفي الندوة نفسها قال السيد مقتدر خان، مدير الدراسات الدولية ورئيس دائرة العلوم السياسية بكلية أدريان بولاية مشيغان، «إن المسلمين المعتدلين والليبراليين يعتقدون أن هدف الإسلام هو تنوير المجتمع، وأن الاختيار الأول للمسلمين لمعالجة المشاكل والعقبات هو الاجتهاد، بينما الاختيار الأخير هو الجهاد. أما المسلمون المتزمتون فإن اختيارهم الأول هو الجهاد ولا يشكل الاجتهاد خياراً لهم». ومضى السيد خان إلى القول إن: الاجتهاد أسلوب حياة؛ فهو حرية التفكير ومصدر أساسي من مصادر التنوير..

٧- تخطي الحكومات والوصول للشعوب مباشرة: ويستخلص وولفوتيز أنه بينما تشن أمريكا حرباً على الإرهاب فإنها تفكر في الحرب الأوسع؛ أي الصراع ضد أعداء التسامح والحرية في العالم.

وأحد أسلحتنا في هذه الحرب هو مدى قدرتنا على تخطي الحكومات والوصول إلى الشعوب والأفراد، وخصوصاً الأصوات التي تصارع من أجل أن تعلو فوق التطرف...

هذه بعض الآليات الأمريكية لفرض نموذجاً للإسلام، والمقام لا يتسع لسرد كل الأدوات الأمريكية، ولكن ما يعنينا أن ينتبه المسلمون بصفة عامة والإسلاميون بنحو خاص لما يدبر ويجري في هذه الأيام، فإن فقه الأولويات، وضغط الواقع ليس مسوِّغاً لتقبل هذا النوع من الإسلام الذي يفرغه من مضامينه الأساسية، وخاصة السياسية منها والتشريعية ؛ لعزله عن الحياة)[1].

وعن أهداف (أمركة الخطاب الديني للمسلمين) يتحدث الأستاذ خالد أبو الفتوح فيقول: نشرت جريدة الأسبوع القاهرية في شهر يناير الماضي تفصيلات خطط أمريكية لما أطلقت عليه: (أمركة الخطاب الديني للمسلمين)، وجاء فيما نشرته الصحيفة أن أمر تطوير الخطاب الديني كان جزءاً من الحملة الأمريكية الأولى على ما وصفته بالإرهاب...

وفي تفصيلات الخطط الأمريكية التي أوردتها الصحيفة: أن وزارة الخارجية الأمريكية شكلت لجنة تعرف باسم : (لجنة تطوير الخطاب الديني في الدول العربية والإسلامية) وأن هذه اللجنة انتهت على حد قول الصحيفة من توصياتها فعلاً وأنه سوف يتم تبليغ الدول بها، مع توضيح

(١) مجلة البيان العدد (١٩٢) باختصار.

أن استمرار المعونات الأمريكية مرهون بتنفيذ هذه الخطط.

وتتمثل التوصيات الأمريكية في:

- تهميش الدين في الحياة الاجتماعية للناس؛ وذلك عبر إغراق الشعوب العربية والإسلامية بأنماط مختلفة من الحياة العصرية الغربية، وحيازة التكنولوجيا الحديثة (التكنولوجيا ذات الطابع الترفيهي).
- التقريب بين الديانات الثلاث اليهودية والنصرانية والإسلام عن طريق تكوين لجنة عليا من المحمديين (أي المسلمين) والمسيحيين واليهود، لتبصير كل شعوب العالم بالتقارب بين الأديان الثلاثة، كما تتحدث الخطة، وتقترح ضمن ما تقترحه بشأن هذه اللجنة أن تعمم هذه اللجنة توصيات ملزمة لكل الدعاة في العالم العربي والإسلامي بحيث لا يخرجون عن هذه التوصيات.
- تحويل المسجد إلى مؤسسة اجتماعية تتضمن حدائق للأطفال والسيدات (فقدان المسجد لهيبته وخصوصيته)، وأن تتولى الإشراف عليه شخصية غير دينية ناجحة.
- خضوع خطبة الجمعة والخطباء تحت رقابة أجهزة الأمن في الدولة، وأن يتم البعد عن تسييس الخطبة، أو تعرضها للجانب الحياتي أو المجتمعي بمعنى (علمنة الخطبة) أي منع الحديث عن الأمريكان واليهود، أو الحديث عن الجهاد وبني إسرائيل.
- وتهدف الخطط الأمريكية إلى أن تصبح خطبة الجمعة حلقةً نقاشيةً

للجميع لا ينفرد بها الخطيب وحده، حيث ستكون الخطبة بذلك أكثر ديمقراطية في نظرهم، كما تهدف أن تشارك المرأة في خطبة الجمعة، حيث رأوا أنه لا توجد نصوص دينية تمنع المرأة من ذلك.

- وأن يكفل للمرأة سبل الاختلاط مع الرجال، والمشاركة في التدريب على الانتخابات لتعليم المرأة الديمقراطية.

- إلغاء مادة التربية الدينية الإسلامية، مع تخصيص يوم كامل للقيم الأخلاقية والمبادئ بدلاً منها، والعمل على اكتساب الطلاب مهارات التسامح، والتحرر من اعتقاد المسلمين أنهم خير أمة أخرجت للناس!، وأن يعلم الجميع أن العقائد والأديان هي نتاج التنشئة الاجتماعية والأفكار المسبقة، وأن الانتماء للإنسانية هو الجامع لهم، أما المعتقدات فهم أحرار فيها)[1].

وعن الدعوة الخبيثة المحمومة إلى ما يسمى (تجديد الخطاب الديني) وملامحها يتحدث أيضاً الأستاذ خالد أبو الفتوح فيقول: (نشير إلى بعض الملامح التي لوحظت على هذه الحملة، وهي في نظري ما يأتي:-

- أن هذه الدعوة ظهرت في البلاد التي يقوى فيها النفوذ الأمريكي مع وجود نشاط ملحوظ في البلدان التي تعد تاريخياً مرجعيات العالم الإسلامي.

- وأنها جاءت اتساقاً مع خطة تطوير مناهج التعليم التي أملتها وأوعزت

(١) مجلة البيان العدد (١٩٥).

بها قوى خارجية معينة، مستغلة أحداثاً وظروفاً معروفة، فجاءت هذه الحملة استكمالاً لمخطط إعادة تشكيل العقلية المسلمة.

- الالتباس المتعمد في هذه الدعوة، فعلى عادة العلمانيين والتغريبيين في الإيهام والغموض عندما يتعلق الأمر بخطوة يصعب على الجماهير هضمها، جاءت الدعوة إلى تجديد الخطاب الديني، فكلمة (الخطاب) تحتمل أن تكون المقصود بها (مضمون) الخطاب ومحتواه،

ولا شك أن مقصود مروجي هذه الدعوة هو تجديد مضمون الخطاب الديني، أي (تجديد) القيم والتصورات والمبادئ التي يحتويها هذا الخطاب، ولا يخفى على القارئ ما تتضمنه كلمة (تجديد) من معانٍ تشمل كون هذه القيم والمبادئ والتصورات أصبحت بالية ولا تصلح لهذا العصر، ففي معرض إيضاحه للمقصود بكلمة (الخطاب) يذكر الكاتب أحمد عبد المعطي حجازي «أن هذا العصر الذي نعيش فيه هو عصر العلم الذي نرجع إليه في كل أمر من أمور حياتنا، أو أن هذا ما ينبغي أن نفعله، فنقرأ، ونفهم، ونناقش، ونجرب، ونحلل، ونقارن لنعرف الأسباب ، ونتوقع النتائج، ونفسر ما يحدث في الطبيعة والنفس، والجسم، والمجتمع.

نعرف الآن مثلاً أن الزلزال يقع نتيجة لتصدع طبقات الأرض وتحركها، وليس لأن المدن شريرة أو لأن الآلهة ثائرة غضبى، ونعرف أن الجنون مرض يصيب العقل وله أسباب مختلفة وصور شتى وطرق في العلاج تتعدد بتعدد أسبابه وأنواعه، وليس حلولاً لجن أو شيطان في جسد المريض كما

كان يعتقد الناس من قبل، وكما يعتقد كثيرون منهم حتى اليوم، وهذا هو الخطاب الذي يتفق مع روح العصر، لأنه يتفق مع العلم، أي مع العقل والتجربة، ونحن إذن أمام مصدرين للمعرفة: العقل الذي نفسر به الظواهر، ونتتبع التحولات، وننتقل من السبب إلى النتيجة، فيبدو لنا العالم مفهوماً، ونشعر بقدرتنا على التحكم فيه والسيطرة عليه. النص الذي يعتقد النصوصيون الحرفيون فئران الكتب وحفارو القبور أنه علم سابق على كل علم، وأن كل معرفة جديدة صادرة عنه ومتضمنة فيه، فالأسلاف لم يتركوا شيئاً للأخلاف، ولا جديد تحت الشمس!» (الأهرام المصرية ٢٣/٧/٢٠٠٣م).

ولكن غموض هذا العنوان (تجديد الخطاب الديني) لهذه الدعوة (هدم القيم والثوابت والتصورات الإسلامية واستبدالها) أفادهم فوق التعمية على مقصدهم الحقيقي تورط بعض المنتسبين إلى الدعوة الإسلامية من علماء أو دعاة في الترويج لها ظناً منهم أن المقصود هو تجديد الوسائل والأساليب، وهذا تورط أعطى غطاءً مناسباً لأصحاب الدعوة الأصليين من متبجحي العلمانيين، حتى وإن همش فيما بعد هؤلاء العلماء والدعاة.

- تشابه مفردات هذا الخطاب عند الدعاة (البروتستانت) مع القضايا التي أثارها العلمانيون، التي تتفق بدورها مع أهداف مبادرة باول، وقد تمثلت هذه المفردات في:

١- إعلاء قيمة العقل والمصلحة بمعناهما الوضعي والمادي على النص

الشرعي.

٢-تغليب المادي والمشاهد على العاطفي والغيبي.

٣- مسايرة الأحداث والخضوع لها باسم التواكب مع العصر.

٤- غلبة الخطاب الدفاعي والانهزامي بدعوى دفع التهم، وخاصة الإرهاب، وهضم حقوق الإنسان عن الإسلام، مع التركيز في هذا الخطاب على تناول قضايا المرأة والأسرة، والمرتد وحرية العقيدة.

٥- التأكيد على أهمية الديمقراطية، والمشاركة الشعبية، وإظهار الفئات المهمشة، وإبراز مكانتها في الإسلام.

٦- (تلطيف) الموقف مع الآخر، بإعادة تشكيل بعض المفاهيم ذات العلاقة به (بدءاً من التكفير، ومروراً بالولاء والبراء، ووصولاً إلى الجهاد)، مع التأكيد على ضرورة التواصل مع هذا الآخر، وخاصة الغرب.

٧-تحويل الخطاب الديني الإسلامي (الدعوة الإسلامية) إلى مجرد إحدى مفردات وسائل دعم سياسات الدولة المحلية ومواقفها الخارجية.

- تشابه بعض الأساليب المتبعة في نشاطات تجديد الخطاب الديني مع الأساليب السياسية الأمريكية في تحويل الاتجاهات والميول، وذلك عن طريق المشاركة في أنشطة ودورات تعقد في أمريكا، والعمل على تذويب الفوارق النفسية والفكرية بين أصحاب الاتجاهات المختلفة خاصة العقائدية بالمخالطة والمعايشة اليومية فيما بينهم: فعلى سبيل المثال: كان أول برنامج

ينفذ برعاية مبادرة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط برنامجاً بعنوان (النساء كقادة سياسيين: الانتخابات الأمريكية والحملات السياسية)، وقد جلب البرنامج وفداً من ٥٥ زعيمة سياسية عربية، ما بين مسؤولات منتخبات ومعينات، ومرشحات لمناصب، وناشطات في الدفاع عن حقوق المرأة، وقادة مجتمعات مدنية وصحفيات...

وفي المقابل يتضمن مشروع خطة تطوير الخطاب الديني في مصر والدول العربية دورات تدريبية مكثفة في القاهرة وواشنطن.. حيث من المقرر أن يلتحق بدورات واشنطن ما بين ٥٠٠ إلى ٦٠٠ من الدعاة، وذلك بعد الانتهاء من الدورات التدريبية في مصر.. وفي هذا الإطار كانت وزارة الأوقاف قد انتهت من دورة أخرى لعدد من الدعاة بالاشتراك مع الهيئة الإنجيلية بالقاهرة.. كانت مدتها أكثر من ٦ أشهر، حيث تم اختيار الدعاة بدقة متناهية للإقامة في أحد فنادق القاهرة بمشاركة عدد مماثل من القساوسة، وكان نظام الدورة يعتمد على ورش عمل بين الأئمة والقساوسة لإعداد أبحاث علمية في قضايا شتى ثم مناقشتها مع الخبراء والمفكرين الليبراليين؛ وذلك بهدف كسر الحاجز الديني وتغيير الفكرة الذهنية عن الآخر من خلال المشاركة بين القس والخطيب، ومن ثم فإن النتيجة من هذه المشاركة ستكون في صالح الإدارة الأمريكية.. على اعتبار أنها الموجه الرئيسي لهذه الأفكار.

ومن وجهة نظر الإدارة الأمريكية فإن مثل هذه الدورات، ومن خلال مشاركة عدد من رجال الدين الكبار، الذين يرفضون الإرهاب ولديهم

تفسير عقلاني للدين تسعى لترسيخ مفردات الخطاب الديني الجديد، وليس موضوعاته فقط، خاصة ما ورد في القرآن أو السنة؛ لأنه وفق رؤيتهم فإن هذه المفردات هي التي تشكل السلوك العام والتفصيلي الذي يلتزم به الأفراد.. (مصطفى سليمان، جريدة الأسبوع، ١٦/ ٦/ ٢٠٠٣م)....

هل ينجحون ؟ لاشك أن تحقق ذلك، أو عدم تحققه يتوقف على عوامل كثيرة خارجية وداخلية، ولكن ما يعنينا أن في قلوب القوم أماني سادرة تبدو على ألسنتهم، وفي كتاباتهم من حين لآخر، كما أن في أذهانهم أهدافاً محددة تشير إليها مخططاتهم وأنشطتهم، ومن غير المبالغ فيه القول إن من اماني أئمتهم: محو القرآن من الوجود، ولعلمهم باستحالة ذلك فإنهم يعملون على تحقيق أهداف يظنون تحقيقها ممكنا وعلى رأس هذه الأهداف: تحريف المعاني القرآنية، وتفريغ القرآن من أهدافه ورسالته، وإبعاد المسلمين عن تدبر القرآن والعمل به، أي إنهم يريدون أن يتحول القرآن إلى حبر على ورق كما يقولون، والله من ورائهم محيط.

وحتى لا نخدع أنفسنا فإنه يجب التنبيه إلى أن تحقيقهم لهذه الأهداف أو بعضها في عالم الواقع ليس مستحيلاً شرعاً أو عقلاً، فالله عز وجل تعهد بحفظ الذكر، ولكنه لم يتعهد بحفظ معانيه في عقول المسلمين وقلوبهم، ومسيرة الانحراف في فهم الكتاب والسنة وتطبيقها مسيرة قديمة، حقق فيها أعداء الإسلام نجاحات لا يستهان بها، ومن هنا يمكن القول: إن المعوّل عليه في الحفاظ على هذه المعاني من التحريف والتبديل وتطبيقها في واقع المسلمين في أي وقت وأي مكان: هو ما يقوم به أهل الحق أنفسهم بحسب

جهدهم، ووفق سنن التغيير التي تسير بها حركة المجتمعات وليس وفق الأماني والنيات.

وقد أشار إلى هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله- عندما قال: «ولما كان النبي ﷺ قد أخبر: أن هذه الأمة تتبع سنن من قبلها حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه: وجب أن يكون فيهم من يحرف الكلم عن مواضعه فيغير معنى الكتاب والسنة فيما أخبر الله به أو أمر به.

وفيهم أميون لا يفقهون معاني الكتاب والسنة، بل ربما يظنون أن ما هم عليه من الأماني التي هي مجرد التلاوة، ومعرفة ظاهر من القول هو غاية الدين، ثم قد يناظرون المحرفين وغيرهم من المنافقين، أو الكفار مع علم أولئك المحرفين [بما لم يعلمه الأميون، فإما أن تضل الطائفتان ويصير كلام هؤلاء الأميين فتنة على أولئك المحرفين]، حيث يعتقدون أن ما يقوله الأميون هو غاية علم الدين ويصيرون في طرفي النقيض، وإما أن يتبع أولئك الأميون أولئك المحرفين في بعض ضلالهم. وهذا من بعض أسباب تغيير الملل، إلا أن هذا الدين محفوظ؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، ولا تزال فيه طائفة قائمة ظاهرة على الحق، فلم ينله ما نال غيره من الأديان من تحريف كتبها وتغيير شرائعها مطلقاً، لما يُنطق الله به القائمين بحجة الله، وبيناته الذين يُحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنوره أهل العمى؛ فإن الأرض لن تخلو من قائم لله بحجة؛ لكيلا

تبطل حجج الله وبيناته»[١].

فالفيصل في المحافظة على المعاني والقيم والتصورات الإسلامية صحيحة في عقول المسلمين وقلوبهم وحياتهم هو مدى تحقيق أهل الحق لسنة التدافع مع الأطراف الأخرى، وهذا يتطلب يقظة وجهداً ونشاطاً وعملاً دؤوباً ومنظماً من جميع الأفراد.

والذي أراه أن الظرف الذي تمر به الأمة يتطلب فوق اليقظة والنشاط حلولاً غير تقليدية لاستنفار جموع الأمة، واستخراج القوى الكامنة في قطاعاتها الشعبية، بعد أن رفعت معظم الأنظمة جميع الرايات البيضاء التي في حوزتها، حتى إنهم رفعوا أخيراً ما كانوا يسترون به عوراتهم أمام شعوبهم. نسأل الله عز وجل أن ينصر دينه ويعلي كلمته) [٢].

ولأجل تنفيذ هذه الأهداف الخبيثة من أعدائنا الكفرة فهم يعتمدون كثيراً على عملائهم من المنافقين في كل بلد من بلدان المسلمين في السعي لفرض هذه الأفكار، وتغيير عقول المسلمين وثوابت هذا الدين.

ولم يكتف الكفرة الغزاة بعملائهم المنافقين، بل تعدى خبثهم إلى أن يتقاربوا مع بعض الإسلاميين الذين يصفونهم بالمعتدلين من بعض الدعاة وطلبة العلم الذين هالهم ضغط الواقع، ومرارته، فراحوا يظهرون أنفسهم بمظهر التسامح، والمرونة، وقبول الرأي الآخر وحرية التفكير إلى آخر هذه

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٥/ ١٣٠،١٣١.

(٢) مجلة البيان، عدد (١٦٠) للأستاذ خالد أبو الفتوح.

المواقف الانهزامية. فانتهزت أمريكا وحلفاؤها هذا الشعور من هؤلاء الإسلاميين، فغيروا مواقفهم منهم، وأصبح من سياسية الغرب بقيادة أمريكا قبول بعض الإسلاميين من الحركات الإسلامية، حيث سعت لاستخدامهم في تمرير بعض الأفكار الخطيرة في الأصول والأحكام الإسلامية، لأن هذا أدعى لقبول الشعوب المسلمة. كما كان من أهدافها للتقارب مع بعض الإسلاميين التعرف على طبيعة الحركات الإسلامية التي كانت عندها مجهولة إلى عهد قريب. كما أن في التقارب مع الإسلاميين محاولة للضغط على النظم العربية والإسلامية لتقديم مزيد من التنازلات. وعن هذا التقارب بين أمريكا وبعض الإسلاميين وأهدافه يحدثنا الأستاذ كمال حبيب فيقول:

أهداف الحوار الأمريكي مع الحركة الإسلامية:

يرفض المسلمون الهجمة الأمريكية على حرمات مقدساتهم. وشاعت موجة كراهية عاتية للولايات المتحدة الأمريكية جعلت الأمريكان يتساءلون لماذا يكرهوننا، ومن ثم بدا للاستراتيجيين الأمريكان أن الوسيلة الأفضل لتطويع العالم الإسلامي هي دعاوى الإصلاح السياسية، وليست الدينية، ومن ثم سمعنا عن تغيير النظم السياسية التي تراها أمريكا مستبدة، وإشاعة قيم الديمقراطية بمفهومها الغربي في العالم الإسلامي. ومن خلال التعمق الأمريكي في فهم أحوال العالم الإسلامي ذهبت النخبة الاستراتيجية الأمريكية إلى أن الإصلاح السياسي في العالم الإسلامي والعربي لا يمكن بدون القوى الإسلامية باعتبارها التيار الرئيسي الجامح والفعال والمقبول

جماهيرياً لدى الناس، ومن هنا كانت فكرة الحوار مع الإسلاميين ، بل وقبول وصولهم إلى السلطة في بلدانهم، لأن خطر استمرار النظم المستبدة القائمة هو أشد وطأة على الأمن القومي الأمريكي من قبول الإسلاميين في السلطة، ومن هنا كانت دعوات أمريكا على لسان أكبر المسئولين فيها للحوار مع الإسلاميين، والقوى التي وصفتها بالاعتدال في العالم الإسلامي والعربي بحيث لا تهدد هذه القوى المصالح الأمريكية والغربية، وتعترف وتقبل بقواعد اللعبة السياسية الديمقراطية، ويكاد هذا الموضوع يكون هو أهم القضايا المطروحة على أجندة السياسة العربية سواء بالنسبة للنظم السياسية، أو الحركات الإسلامية المعتدلة، وهو ما يشير إلى أن العالم الإسلامي أصبح أحد أهم مدخلات تشكيل السياسة الخارجية الأمريكية.

وهنا تكمن المشكلة التي نود أن نشير إلى خطرها وهي أن السياسة الأمريكية تريد أن تطوع الحركات الإسلامية في تنفيذ الأجندة الأمريكية عبر السماح لها بالمشاركة في السلطة، أو حتى الانفراد بها. فبدلاً من الاعتماد على النظم العلمانية لماذا لا تجعل الإسلاميون هم أنفسهم الذين يقومون بتنفيذ المطالب الأمريكية، أي بيد الإسلاميين نحارب الإسلام وهنا مكمن الخطر الكبير، بل الفتنة الكبيرة التي تنتظر الحركة الإسلامية، والمتابع لجمل ما نشر من تقارير، ودراسات غربية حول الظاهرة الإسلامية يلاحظ بوضوح محاولة نقل الصدام الحضاري داخل الحالة الإسلامية، فبدلا من أن يكون الصراع بين الإسلام والغرب يكون الصراع والصدام داخل الحضارة الإسلامية ذاتها، بل وداخل الحالة الإسلامية. ومنذ كتاب (الفرصة

السانحة) لريتشاد نيكسون وهو منشور قبل أحداث سبتمبر نجد الحديث عن الإسلام التقليدي، والإسلام السياسي، والإسلام الأصولي، والإسلام السلفي، والإسلام المعتدل، والإسلام المتشدد والجهادي، فهم يرون الظاهرة الإسلامية من منظور تفتيتها وتجزئتها، وغرس عوامل الصراع والنزاع داخل أطرافها رغم أن الجميع يشملهم مفهوم الإسلام، والجماعة والأمة طالما أنهم يلتزمون بقواعد الفهم للكتاب والسنة كما فهمها سلف هذه الأمة وخيرها وهم الصحابة والتابعون، وتابعوهم بإحسان،. فالمحاولة الأمريكية الجديدة من الإصلاح، والحوار مع الإسلاميين اليوم هي بغرض توريط الحركة الإسلامية ذاتها في تحقيق أهداف الأجندة الأمريكية، ومن أجل بذر بذور الصراع والشقاق داخل الحالة الإسلامية، ومن ثم فالحركة الإسلامية تواجه لحظة خطر حقيقة نرى أنها تفرض الوعي بالمخاطر المحاقة التي تجعل الهدف من الوجود الإسلامي لهذه الحركات في الميزان. فالحركة الإسلامية بالأساس هي حركة للأمة، ومعبرة عن ضميرها. ووجودها بالأساس قائم على الدعوة إلى الدين الصحيح، وتذكير الناس بالتمسك بدينهم ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٤٣] وحين يتعارض هذا المقصد الرئيسي مع الحوار الأمريكي، أو حتى الوصول إلى السلطة؛ فإن الحركة الإسلامية عليها التمسك بدعوتها ووظيفتها التي أعطتها شرعية وجودها، يقول تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

[آل عمران:١١٠] ومن يقرأ تقرير مؤسسة راند يعرف كيف يفكر الأمريكيون تجاه الحركة الإسلامية وتجاه العالم الإسلامي، فاللحظة الحاضرة هي لحظة فتنة وخطر تستدعي أقصى روح من الوعي والتثبت والتثبيت ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء:٧٤].

إن العقل الأداتي الغربي هداه شيطانه إلى التفكير بتغيير قواعد اللعبة من وجهة نظره، بنزع المقاومة والتحدي عن الأمة في مواجهة مشاريعه، بجعل من ينفذونها هم من المسلمين أنفسهم، وإذا كانت حربه ضد العالم الإسلامي تمت بأيدي علمانية من أبناء العالم الإسلامي فها هو يسعى لخطوة خطيرة وشيطانية، وهي استخدام الإسلاميين أنفسهم لتحقيق مآربه وأهدافه، فليحذر قادة الحركات الإسلاميين وعموم العاملين في حقل العمل الإسلامي من خطر اللحظة الأمريكية القادمة، وليتمسكوا بثوابتهم وقواعدهم، وقيمهم، ولا ينجرفوا لمخاطر الألعاب السياسية، ويدركوا أنهم دعاة إلى الله، وأنهم موقعون عن الله، ومعبرون عن الأمة، وهم دعاة المقاومة والرباط والصمود والمواجهة، وإلا فالخطر القادم وهو حركة إسلامية بلا معالم ولا ثوابت ولا مرجعيات. وحينها تجري علينا سنن الله الكونية فيما نطلق عليه سنة الاستبدال والتغيير ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨] فالله حفظ الأمة بالذكر، ولم يجعل حفظها وفعلها وحيويتها مرهونة بإمام أو جماعة أو طائفة أو ملة، وستبقى سنة الله جارية فيها لا تتبدل ولا تتغير ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ

﴾ [الحجر:٩][1]. أ.هـ

ويدلي الأستاذ طارق ديلواني بحديث صريح حول ما سبق وهو يجيب على سؤال مفاده: هل ثمة تقارب بين أمريكا والإسلاميين؟ فيقول:

(سؤال بات مطروحاً بقوة بين مناصري، ومؤيدي الحركات الإسلامية وتحديداً جماعة الإخوان المسلمين وقاعدتها الجماهيرية العريضة. ومن الضروري أن يمتلك الإسلاميون إجابة واضحة... ربما كان هذا سؤال اللحظة الذي فرضه تجاوز الحديث الأمريكي حدود التلميح إلى التصريح بأنه لا ممانعة أمريكية من وصول الإسلاميين للسلطة، وهو ما يستدعي البحث عما إذا كان هذا تحولا حقيقيا في الموقف الأمريكي من الإسلاميين؟ أم أنها فزاعة للتهديد في إطار الضغوط المتصاعدة على الأنظمة الحاكمة؟

وأتصور أن أولى خطوات محاولة الإجابة على السؤال تبدأ بضرورة مراجعة الرؤية التقليدية التي تستبد بنا حين نتحدث عن أمريكا والإسلاميين باعتبار أن العداء والكراهية هو سيد الموقف، في حين أن أموراً تغيرت، ومياها جرت في نهر العلاقات بين «الشيطان الأكبر» و «الخطر الأخضر» نقول أن الحال لم يعد كما كان.

ولفهم وقائع ما جرى في نظرة الأمريكان للإسلاميين لابد من التوقف عند أحداث ١١ سبتمبر ، فقد أثار الحدث هزة عنيفة في المجتمع الأمريكي

---

(١) مشاريع الاصلاح الأمريكي والحوار مع الإسلاميين ... الخطر القادم/ كمال حبيب ، المصدر: موقع مختصر الأخبار.

تجاوزت الغضب على الإسلام والمسلمين إلى الدعوة لإعادة النظر في السياسة الأمريكية تجاه العالم الإسلامي التي باتت ترى أن ديكتاتورية بعض الأنظمة العربية هي التي أفرزت العداء لأمريكا باعتبارها راعية لهذه الأنظمة.

على أن النظرة الأمريكية للحوار مع الإسلاميين معنية فقط بالإسلاميين «المعتدلين» المتبعين لأسلوب العمل السلمي دون غيرهم. وهنا ينبغي الحديث عن عدة نماذج إسلامية مقبولة لأمريكا لا تتعدى حدود النموذج الإخواني وإسلاميي تركيا تحديداً.

ثمة تجارب إسلامية مشجعة إذا بالنسبة للأمريكيين ومنها تجربة حزب العدالة والتنمية في تركيا كما أسلفنا، وسجل العمل السلمي للإخوان المسلمين في مصر والأردن واليمن والمغرب وغيرها من الدول العربية.

إلا أنه لا يمكننا أن نحصر النماذج التي ستعتمد أمريكا الحوار معها، ويمكن القول أن أي تيار إسلامي يتمتع بالعقلانية والانفتاح على الحكومات والشعوب سيكون مرشحاً للحوار مع الأمريكيين.

ومن المهم الإشارة لتصريحات مسئولي الإدارة الأمريكية في هذا الصدد، فهي تصريحات توضح حقيقة الرغبة الأمريكية الجامحة للشروع في حوار وتقارب مع الإسلاميين. تصريحات مسئولي الإدارة الأمريكية وعلى رأسهم وزيرة الخارجية «كونداليزا رايس» التي تكشف عن اقتناع الولايات المتحدة بأهمية التحاور مع الإسلاميين في المنطقة العربية، وأنها لا تخشى من

وصول تيارات إسلامية إلى السلطة هي أكثر هذه التصريحات إثارة للجدل.

فهي تشير بوضوح إلى أن بوش الذي تركزت سياسته في السابق على معاداة واستهداف الحركات الإسلامية تحول الآن إلى التقارب مع الإسلاميين. ولم تكن رايس وحدها التي صرحت بهذا، فقد قال ريتشارد هاس مدير إدارة التخطيط السياسي بالوزارة نفسها إن الولايات المتحدة لا تخشى وصول تيارات إسلامية إلى السلطة لتحل محل الأنظمة القمعية العربية التي «تتسبب بتكميمها الأفواه في اندلاع أعمال الإرهاب»، شريطة أن تصل عن طريق ديمقراطي وأن تتبنى الديمقراطية كوسيلة للحكم)[1].

والعدو الكافر لم يلجأ إلى مثل هذه الأساليب إلا عندما رأى نفسه لا يستطيع تنفيذ مخططاته، وأهدافه إلا باستخدام بعض الإسلاميين الذين يسميهم بالمعتدلين. أما من يعلنون كراهية الكافرين، والبراءة منهم، وتحريض الأمة على جهاد المحاربين الغزاة منهم، فهؤلاء شوكة في حلوق الكافرين وهم الذين يحشد الكفار لحربهم والقضاء عليهم (زعموا). وقد عرفوا عند الكفار بالأصوليين السلفيين أو الوهابيين المتطرفين.

يقول الشيخ سفر الحوالي حفظه الله تعالى: (يقول باول شميدس في كتابه : (الإسلام قوة الغد العالمية) عبارة خطيرة جداً لكنها حقيقة : إنه قد تبين من التاريخ أو من استقرائه أنه أينما وجدت الحركة الوهابية فإنه يوجد معها مقاومة الغرب ومقاومة المستعمر)[2]. وبهذه المناسبة اتوجه بالنصح

---

(١) موقع العصر.

(٢) آفة الاستعجال للشيخ سفر ، ص٢٩.

لإخواني الدعاة وطلبة العلم بأن يحذروا مكر الأعداء من الكفار والمنافقين حتى لا يستخدموهم، ويوظفوهم دون أن يشعروا في تحقيق حربهم الظالمة على الطائفة المنصورة والحر تكفيه الإشارة.

والكفرة الصليبيون يستخدمون في حرب هذا التيار الصادق المجاهد من المسلمين شتى الوسائل، فتارة بالاستئصال والتصفية والإبادة، وتارة بتسليط الحكومات العميلة والمنافقين عليهم، وتارة بتسليط بعض الإسلاميين عليهم ليواجهوهم ويشاغبوا عليهم. ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف:٢١] ﴿ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦] ولخوف الكفرة من الطائفة المنصورة التي تتمسك بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وتوالي وتعادي في الله تعالى والذين يسمونهم بالوهابيين[1]، أو الأصوليين المتشددين تراهم يجندون مراكز دراساتهم وبحوثهم وعملاءهم في تتبع هذه الطائفة، وتتبع كتبها، ورموزها وأنشطتها، وأثرها في المجتمعات، فهذا (مركز الحرية الدينية بيت الحرية)

(١) مصطلح الوهابيين مصطلح حادث أراد محدثوه تشويه صورة المتمسكين بما كان عليه السلف وأهل السنة والجماعة من عقيدة وشريعة وأخلاق، وإلا فما جاء به الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى إنما هو في الكتاب والسنة وفهم الصحابة رضي الله عنهم، ولكن لأن أعداء الإسلام وأعداء السنة لا يستطيعون مواجهة القرآن والسنة مباشرة فقد اتجهوا إلى مواجهة الملتزمين بهما ووصفوهم بالوهابيين المتطرفين ليتوصلوا (إن استطاعوا) إلى هدم القرآن والسنة.

الأمريكي يتابع نشاط الدعاة في أمريكا في المساجد والمراكز الإسلامية ويستخرج الكتب والرسائل والمطويات والفتاوى التي فيها العقيدة الصحيحة وفيها كراهية الكافر والبراءة منه والحذر من التشبه به ومداهنته وينتهي إلى كتابة تقرير مطول يصل إلى (١٢٠) صفحة، وقد نشر هذا التقرير موقع (www islamdaily net.) ويقول التقرير في مقدمته: (إن هذا التقرير هو الخطوة الأولى في جهد يسعى إلى احتواء هذا الفكر المدمر الذي تنشره الوهابية داخل الأراضي الأمريكية، ونأمل أن يُوفق في إزالة تلك الكتيبات التي تنشر الحقد داخل المساجد، والمكتبات والمراكز الإسلامية الأمريكية. إن هذه المنشورات التي تم تحليلها في هذا التقرير وغيرها من المطبوعات التي تعمل على تأييد فكر الكراهية، لا مكان لها في أمة قامت على أساس الحرية الدينية والتسامح).

ومما جاء في هذا التقرير قولهم: (إن انتشار التطرف الإسلامي من قبل المذهب الوهابي يعتبر من أخطر التحديات الفكرية التي نواجهها في وقتنا الحاضر. ويؤكد السناتور جون كيل رئيس لجنة الإرهاب؛ وهي لجنة فرعية للجنة القضائية ، والذي عقد جلسة استماع حول المذهب الوهابي: أن عدداً متزايداً من الأدلة المقبولة وبحوث الخبراء تشير إلى أن الفكر الوهابي الذي يهيمن على الكثير من الجماعات، ويمولها هنا في الولايات المتحدة يتناقض مع قيم التسامح والفردانية والحرية كما نفهمها نحن).

وجاء في هذا التقرير أيضاً قولهم: (وفي كتاب بعنوان حقيقة التوحيد والشرك طبع بواسطة وزارة الشؤون الإسلامية السعودية والذي وجدت

بعض النسخ منه في مسجد الفاروق في بروكلين بنيويورك. قال المسؤول الديني الراحل المفتي العام ابن باز: إن الإسلام منذ عهد آدم ومروراً بالأنبياء الذين جاءوا من بعده كانوا يدعون إلى توحيد الله، ولكن اليهود والنصارى أصبحوا ضالين وكفارا عندما رفضوا محمد بالرغم من وجود من يوحد الله بينهم) وبناءاً على الرؤية الوهابية ، فإنه يجب على المسلم دينياً أن يزرع العداوة بينه وبين الكافرين، وإن كراهيتهم دليل على أن المؤمن متبرئ منهم بالكامل).

ومما جاء في هذا التقرير أيضاً قولهم: (ورداً على أسئلة بعض المسلمين الذين يعيشون في الغرب عن الكيفية التي يمكنهم التعامل بها مع غير المسلمين يقدم الخبراء في اللجنة الدائمة بما فيهم المفتي العام بن باز، والعثيمين سلسلة من الأجوبة تنصح في الغالب بمزيج من الشك والكراهية والتبشير المعادي. ولقد وجدت هذه الفتاوى في عدد من المساجد في الولايات المتحدة).

وفي موطن آخر من هذا التقرير يقولون: (ويقول الكتاب والوعاظ الوهابية لقرائهم، أو مستمعيهم بشكل مستمر أن عبارة (المغضوب عليهم) التي في بداية القرآن يقصد بها اليهود، وعبارة (الضالين) تشير إلى المسيحيين، ونفس التعاليم توجد في وثيقتين من المجموعة إحداهما صادرة عن الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء تم الحصول على نسخة منها في أحد المساجد بهيوستن، والأخرى في فتوى موجهة إلى المسلمين المسافرين والمهاجرين).

ويقولون أيضاً: (لقد طالب الإسلاميون بالجهاد رداً على التهديدات المزعومة. ولكن الوهابية عادة لا يفهمون الجهاد على أنه وسيلة دفاعية خالصة، بل يعتقد الوهابية أن الفتوحات الإسلامية السابقة، كانت وسائل لنشر الدين الجديد، ونوع من الجهاد الإلزامي، أو الحرب المقدسة: لقد كانت غايته نشر الإسلام في المناطق التي كانت تحت حكم الكفار، أي دار الكفر، وإخضاعها، ومن ثم إقامة حكم الإسلام وتطبيق الشريعة وتأمين القوة السياسية والهيمنة العسكرية للمسلمين).

ويقولون في تقريرهم عن الوهابية والمرأة: (إن الوهابية وغيرهم من السلفيين يعتبرون المرأة مصدراً أساسياً للفتنة من الناحيتين الاجتماعية والأخلاقية. وتستدعي هذه الحالة يقظة دائمة في جانب الرجال، وخصوصاً السلطات الإسلامية، للتأكد من أن النساء مستورات بالشكل الملائم من خلال إخفائهن خلف الأبواب المغلقة، أو تحت الأحجبة والعباءات).

ويقول أحد الكتب التي طبعت بواسطة معهد العلوم الإسلامية والعربية وتم الحصول على نسخ منه في مسجد الإسلام في واشنطن: (من بين أكثر الأمور أهمية في تقليد الكفار ، وأشدها خطراً على المسلمين، هي فتنة النساء، وهي من سمات الكفار. والهدف من ذلك هو إبعادهن عن فطرتهن، وحجابهن، وحيائهن، وذلك حتى يفتنوا بهن الرجال. لأن النساء تحب بريق الحياة المادية، ويملن إلى التقليد، ويتكيفن معه ويبالغن فيه، لأن

النساء خلقن من أجل إغراء الرجال وتجميل أنفسهن لهم)[١].

ومن وسائل أمريكا وحلفائها الصليبيين في محاربة الطائفة المنصورة التي تسميها بالوهابية تشجيع الطوائف الصوفية في محاربتها ومواجهتها.

نقلت مفكرة الإسلام بتاريخ ١/٤/١٤٢٦هـ عن إحدى المجلات الأمريكية ما يلي:

(كشفت مجلة "يو إس نيوز" الأمريكية عن سعي الولايات المتحدة لتشجيع ودعم الصوفية كإحدى وسائل التصدي للجماعات الإسلامية.

ويعتقد بعض الاستراتيجيين الأمريكيين أن أتباع الصوفية ربما كانوا من بين أفضل الأسلحة الدولية ضد «القاعدة» وغيرها من الإسلاميين المتشددين.

ويمثل المتصوفون وأساليبهم الصوفية الغامضة اختلافاً واضحاً مع الطوائف الأصولية الإسلامية، كالطائفة «الوهابية»، على حد زعم المجلة.

وكانت الأضرحة الصوفية قد تعرضت للتحطيم في إطار الصراع الطويل بين الصوفية والأصولية في الجزيرة العربية، كما وصفت كذلك الأساليب الصوفية بأنها ارتداد عن الدين، على حد زعم المجلة.

وبحسب مجلة «يو إس نيوز» فإن الصوفية تسعى للعودة ثانية، حيث يوجد عشرات الملايين في وسط وجنوب شرق آسيا وغرب إفريقيا، ومئات

---

(١) موقع (WWW islamdaily net).

الملايين الآخرين من التابعين للتقاليد الصوفية.

وقد صرح أحد متخصصي الأنثربولوجي ويدعى «روبرت دانين»، والذي كان قد درس المتصوفين الأفارقة، أنه: «سيكون من الحماقة تجاهل الاختلافات بين الصوفية والأصولية»، حيث قد وصف الصراع بين المتصوفين والأصوليين بأنه يشبه «حرب العصابات»، على حد قوله.

وقد استرعى ذلك الصراع انتباه صناع السياسة الأمريكية، ولأنه ليس في إمكانهم دعم الصوفية بصورة مباشرة، فإنهم يسعون إلى دعم من هو على علاقة بهم.

ومن بين التكتيكات السياسية في هذا الشأن استخدام الدعم الأمريكي لاستعادة الأضرحة الصوفية حول العالم، وترجمة مخطوطاتهم التي ترجع للعصور الوسطى، وكذلك دفع الحكومات لتشجيع نهضة الصوفية في بلدانهم.

ووفقاً للمصدر: فإن تلك الفكرة كان قد انتهجها الملك محمد السادس عاهل المغرب، والذي كان قد جمع في هدوء زعماء الصوفية المحليين بالمغرب، وقدم ملايين الدولارات كمعونة لاستخدامها كحصن ضد الأصولية المتشددة[1].

وبعد هذه النقولات التي تكشف مكر الكفرة ووسائلهم الخبيثة في تغيير العقول، والأفكار وتشكيك المسلمين في ثوابتهم، وقيمهم قد يرد سؤال

---

(١) مفكرة الإسلام www. Islammem O.CC ١/ ٤/ ١٤٢٦هـ.

وجيه ألا وهو: ما علاقة هذا الموضوع بالأمن وأعداء الأمن؟

والجواب بإيجاز أن هذا المكر، وهذا الغزو بهذه الوسائل المتنوعة من الكفرة وإخوانهم المنافقين قد تنطلي على بعض المسلمين سواء المثقفين منهم أو العامة وهذا بدوره يؤدي إلى الانحراف عن الحق والدين الحق ويقود إلى التبعية للكفار والتأثر بتصوراته وأفكاره . ولا يخفى ما في ذلك من خلل في أمن الدين والعقيدة . وهذا يقود المجتمع المسلم إلى الزعزعة والاضطراب والتعرض للمصائب والعقوبات واختلال الأمن.

ثانياً: العدوان على أمن الأخلاق والأعراض والبيوت والأسر

لم يعد خافياً على أحد ما في مجتمعات المسلمين من هجمة شرسة على القيم والأخلاق والأعراض، حيث لا يفتأ الكفرة وإخوانهم الذين نافقوا في القديم والحديث في زعزعة الأخلاق، وثلب الأعراض، وإشاعة الفاحشة بين المؤمنين، وسعيهم لتفكيك بيوت المسلمين وأسرهم، كما تفككت بيوتهم وأسرهم. وقد بين الله عز وجل حالهم ووصفها لنا كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٢٧] وقال سبحانه عن المنافقين الذين جاءوا بالأفك على عائشة رضي الله عنها: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩] ومع أن هذا شأن الكفرة والمنافقين من قديم الدهر، إلا أن هذا المكر وهذا الغزو الخبيث لم يمر على البشرية في تاريخها، كما يمر اليوم في واقعنا المعاصر

وذلك لتسخيرهم الوسائل الإعلامية المختلفة التي لم تعرفها البشرية من قبل في نشر الفساد والرذيلة والشهوات والانحلال وبخاصة بعد ظهور وسائل الاتصال السريعة كالقنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية (الانترنت)؛ فأصبح المسلم في خطر، وأصبحت المجتمعات الإسلامية في خطر عظيم لا يمسك سماء إيمانها إلا من يمسك السموات والأرض أن تزولا. ومما يزيد الأمر خطورة وكارثية تهالك كثير من المسلمين على هذه القنوات، وفتح بيوتهم لها دون رقيب أو حسيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكفى بذلك ثلباً لأمن الأخلاق والأعراض، وكفى به عدواناً على أمن البيوت والأسر، وكفى به تعريضاً للأفراد والمجتمعات لسخط الله عز وجل وعقوبته في الدنيا والآخرة. وأي عداء أشد من هذا العداء الذي يعرض الناس للشقاء والعذاب في الدنيا والآخرة. وأسوق فيما يلي بعضاً مما يقوم به الكفرة والمنافقون من عدوان على أمن الأخلاق والأعراض والبيوت بإجازة:

أولاً: إثارة الشهوات، ونشر الرذيلة، وإفساد الأخلاق بما يقوم به الكفرة والمنافقون في وسائلهم الإعلامية المختلفة من مجلة وصحيفة ومذياع وتلفاز وقنوات فضائية وشبكات عنكبوتية، من نشر للعهر والفساد والإباحية التي تلهب الشهوة في نفوس المتعاطين معها، والتي تقود إلى الخبث والزنا، وفساد الأسر والبيوت والأعراض والنسل. وليس المقام هنا مقام تفصيل وتوثيق فأمر هذه الوسائل الخبيثة واضحة وجلية. وإن لم يرحمنا ربنا ويكف عنا شر هذه الوسائل؛ فإن الكارثة عظيمة، والعاقبة وخيمة، ولا حول ولا قوة إلا

بالله العلي العظيم». والمراد هنا فضح هؤلاء المفسدين وبيان خطرهم على أمن الفرد والأسرة والمجتمع في الدنيا والآخرة. فهلا انتبهنا إلى هؤلاء الأعداء الحقيقيين لأمننا من الكفرة والمنافقين.

ثانياً: الحملة الشعواء على المرأة ولباسها وحجابها وعملها والدعوة إلى تحررها، والتمرد على قوامة زوجها إلى آخر هذه الصيحات العدوانية التي يريد أصحابها أن تكون المرأة سلعة رخيصة بيد الرجل يتمتع بها حيث شاء، كما يريدون أن يخلو البيت المسلم من مربية الأجيال، بحيث تترك أولادها وزوجها بلا سكن ولا رعاية، لتعمل مع الرجل الأجنبي خارج بيتها. ولا يخفى ما في هذا من نشر للفساد والفجور، ومن تفكيك للأسر والبيوت. كما تفككت أسرهم وبيوتهم. قال تعالى: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩] ويشترك في هذه الجريمة الكفار الحاقدون، وأولياؤهم من المنافقين والشهوانيين.

فمما يتعلق بلباس المرأة وحجابها فقد سلكوا في ذلك طريقاً فكرياً يبثون فيه الشبهات ويدلسون ويلبسون، ويغرون ويحرضون. وآخر عملياً بما يقومون به من إغراق لأسواق المسلمين من ألبسة فاضحة تنافي الشروط الشرعية للباس المرأة المسلمة، وذلك مما تنتجه بيوت الأزياء العالمية الفاجرة. فتارة نرى اللباس القصير الذي لا يستر جسد المرأة المطلوب ستره، وتارة بملابس رقيقة تشف ما تحتها، وتارة بملابس ضيقة تحجم ما تحتها، وتارة بملابس تشابه لباس الكافرات أو لباس الرجال. ومما يؤسف له

أن كثيراً من المسلمات أقبلن على مثل هذه الألبسة، ووقعن في حمأة التقليد الأعمى للكافرات مما ترتب عليه من فتنة بهن وعليهن . قال رسول الله ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[١] وقال أيضاً: «إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»[٢].

وليس المقام هنا مقام التفصيل والرد على دعاة تحرير المرأة والمنادين بسفورها، فهذا له مقام آخر[٣] وإنما المراد هنا بيان أعداء أمن البيوت والأسر والأخلاق، وأنهم هم أولئك المفسدون المتبعون للشهوات من الكفار والمنافقين.

ثالثاً: الحملة الحاقدة من الكفار وأذنابهم المنافقين في الغرب والشرق على الأسرة المسلمة، والسعي إلى كل ما من شأنه إضعافها، وتفكيكها، حيث غاظهم ما يرون في مجتمعات المسلمين من ترابط وتراحم وتكافل بين أفراد الأسرة المسلمة؛ فعقدوا من أجل ذلك مؤتمرات وندوات يهاجمون فيها بقاء المرأة في بيتها ويحرضونها على الخروج بحجة العمل، والحصول على حريتها، كما هاجموا فيها كثرة النسل وسعوا إلى إشاعة تحديد النسل أو منعه بحجة الكثافة السكانية التي يترتب عليها المجاعات والأمراض وعدم الاستيعاب!!، كما سعوا في مثل هذه المؤتمرات إلى النيل من أحكام الإسلام

---

(١) البخاري (٥٠٩٦) ، مسلم (٢٧٤٠).

(٢) مسلم (٢٧٤٢).

(٣) انظر: كتاب (عودة الحجاب) للدكتور محمد اسماعيل المقدم حفظه الله.

في الطلاق والتعدد بحجة المحافظة على حقوق المرأة، ومساواتها بالرجل والحفاظ على كرامتها زعموا، مع أنهم أعدى أعداء المرأة، وهم أعداء الأسرة لأنهم بذلك يجرونها إلى ما وصلت إليه المرأة والأسرة عندهم من إهانة وابتذال وهتك أعراض، وتفكك وانحلال.

رابعاً: ومما يسيء إلى أمن البيوت والأسر والأعراض إغراق مجتمعات المسلمين وبيوتهم بالخدم والخادمات. وهذا أثر من آثار خروج المرأة للعمل خارج منزلها. بل إن أكثر بيوت المسلمين اليوم تعج بالخادمات والسائقين دون حاجة إليهم؛ اللهم إلا الفخر والمباهاة والكسل والترف. ولا يخفى ما يترتب على وجود هؤلاء الخدم بنحلهم المختلفة، وأخلاقهم السيئة عند أغلبهم من فساد أخلاقي لكثير من البيوت، وتفكيك لها، وإهمال لتربية البنين والبنات، والاعتماد على الخدم في ذلك. وأعداء أمن الأسر والأخلاق يسعون جهدهم لمزيد من ذلك لما يرونه من آثار مدمرة للأسر والأخلاق وذلك ما كانوا يبغون.

خامساً: تشجيع السياحة إلى بلاد الكفر والخنا والفجور، وتسهيل السفر إليها بأرخص الأثمان، لما يعلمه هؤلاء المفسدون من تأثير ذلك في استمراء الفساد، وألف النفوس له. وبالتالي تقليد أهله، والوقوع في براثنه، والتأثر بما يرونه من عادات سيئة، وأخلاق رذيلة سواء كان ذلك في الأفكار، أو الأخلاق، أو الهدي الظاهر. وبالتالي رجوع هؤلاء السياح وهم يحملون هذه العادات والأخلاق من الكفار، ويدعون إليها قولاً وعملاً. والذي يتولى كبر هذه الأعمال هم أرباب الفساد، وأعداء أمن الأخلاق والأعراض

من الكفار والمنافقين والشهوانيين.

سادساً: إغراق أسواق المسلمين بوسائل الترف المتنوعة، وضخها بشكل مكثف، سواء كان ذلك في أصناف المأكولات أو المشروبات، أو المركوبات أو المساكن، والتوسع الزائد في تكميلها وتحسينها مما أدى إلى صرف الهم والتفكير فيها، والتنافس عليها، بل تجاوز ذلك إلى الوقوع في الشبهات والحرام جراء الاهتمام الكبير بها. ولا يخفى ما في ذلك من فساد في الأخلاق وركون إلى الدنيا وزينتها، ونسيان الآخرة وأهوالها، علاوة على ما تحدث من ترهل وكسل، وقعود عن المهام العالية، وتخلفاً عن ركب المصلحين والمجاهدين في سبيل الله تعالى الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله عز وجل، وزهدوا في الدنيا وترفعوا على متاعها الزائل.

سابعاً: الهجمة الشرسة من الكفار والمنافقين على أهل الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاولة تحجيمهم وتشويه سمعتهم. ولا يخفى ما في ذلك من حقد دفين وغيظ شديد في قلوب المفسدين من رؤيتهم لهؤلاء المصلحين – الذين هم بحق صمام أمان المجتمعات- وهم يحاربون الفساد والرذيلة، ويضيقون الخناق على المفسدين، وبذلك يدرأون عقوبة الله عز وجل وعذابه. وهذا لا يريح أهل الفساد بل يزعجهم ويغيظهم، ولذلك فهم لا يفتأون يعادون أهل الحسبة ويضعون العقبات في طريقهم ويسعون لتشويه سمعتهم.

ثامناً: تسليط المخدرات والمسكرات على مجتمعات المسلمين، وذلك لما

لها من الآثار السيئة المدمرة على الأخلاق والأعراض وانتشار الجريمة وزعزعة الأمن في حياة الفرد والأسرة والمجتمع، وتعريض المجتمعات لعقوبة الله تعالى في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: الاعتداء على أمن المال والاقتصاد

إن العدوان على أموال الناس واقتصادهم من قبل الكفار، وأذنابهم المنافقين لم يعد خافياً على أحد من المهتمين بأمر هذا الدين وأهله، حتى آل الأمر إلى أن يكون المال دُولة بين الأغنياء، الذين احتكروا المال، وأوقدوا فيه نار الربا، وأغرقوا الفقراء – وهم الكثرة من المسلمين – بسيل من الديون التي تتضاعف مع الزمن، فأكل القوي فيها الضعيف، ومحقت فيه بركة المال وأُكل المال بالباطل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأسوق فيما يلي بعض صور هذا العدوان على أمن الأموال والاقتصاد:

أولاً: التشبه بالكفار في حبهم العظيم للمال وكونه غاية عندهم لا يبالون من أي جهة حصلوا عليه من حلال أو حرام. ولذلك صدروا إلى ديار المسلمين صنوفاً من البضائع المحرمة، وأدخلوا على مجتمعات المسلمين وسائل كثيرة من المعاملات المحرمة. ومن أعظمها وأخطرها نشر الربا الصريح، واستحداث المعاملات المصرفية التي تقوم على الربا تارة، وعلى الجهالة والغرر تارة، وعلى التحايل تارة. ولا يخفى ما في ذلك من محق لبركة المال، وغش وتحايل على المسلمين، وظلم للفقراء وما أكثرهم. وفي كل ذلك عدوان على أمن الناس في أموالهم، ومؤذن بعقوبة من الله عز

وجل قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨،٢٧٩].

ثانياً: استنزاف الكفار لأموال المسلمين، وسحب رؤوس أموال المسلمين إلى الاتجار بها في ديار الكفار. ولا يخفى ما في ذلك من دعم لاقتصاد الكفرة. وفي المقابل إضعاف لاقتصاد المجتمعات المسلمة. فوق أن غالب هذه الاستثمارات الخارجية يقوم على الربا والتحايل والمعاملات المحرمة . المهم عندهم كسب المال بأية وسيلة كانت ولا يخفى ما في ذلك من إضعاف للمسلمين، ونهب لأموالهم وتسلط على مقدراتهم.

ثالثاً: نشأ من غزو الكفار وعدوانهم على الدين والأخلاق والأعراض، والذي سبق الكلام عنه أن قل الخوف من الله عز وجل وقل الوازع الديني، فانتشرت الجرائم ومنها السرقات، والاعتداء على أموال الناس بالقوة أو بالخلسة.

رابعاً: إشغال مجتمعات المسلمين باللهث وراء الدنيا، وجرهم إلى صنوف من المعاملات التي جعلتهم في دوامة من أمرهم، وجعلتهم في سعار شديد، وتنافس ممقوت على كسب المال. وأذكر من ذلك تجارة الأسهم التي في أغلبها هي أشبه شيء بالقمار والميسر، حيث يصبح الرجل غنياً ويمسى فقيراً ويمسى عاقلاً ويصبح منهاراً كئيباً. وقد أدى هذا إلى عمى القلوب عن الآخرة، وعن شئون المسلمين ومآسيهم. وهذا ما يريده الأعداء الكفرة

وإخوانهم المنافقون.

خامساً: تضييق الخناق على الجمعيات الخيرية للمسلمين التي كان لها الأثر العظيم في مواساة فقراء المسلمين في كل مكان، وكفالة أيتامهم ودعاتهم، وطباعة الكتب الإسلامية ونشرها، ونصر المجاهدين في سبيل الله تعالى، وإغاثة اللاجئين والمنكوبين من المسلمين. ولم يقف الأمر عند التضييق، بل ذهبوا إلى مصادرة أموال هذه الجمعيات أو تجميدها، وتخويف الناس وإرهابهم من دعم هذه الجمعيات، أو الإنفاق في وجوه الخير. فهل بعد هذا من عدوان على المال بل إنه تعداه إلى العدوان على الأنفس وإطعامها وكسوتها وإغاثتها.

سادساً: امتصاص الخيرات من الأراضي المسلمة وبخاصة البترول والنفط والتحكم في إنتاجه وأسعاره.

سابعاً: إغراق أسواق المسلمين بآلاف الأصناف من البضائع المختلفة التي تستورد من بلاد الكفار . وهذا بدوره يقوي اقتصاد الأعداء من الكفرة ويجعل بلاد المسلمين بلادا مستوردة ومستهلكة لا منتجة مصدرة. بل إن الكفار يضعون العوائق أمام كون بلدان المسلمين مصنعة منتجة تستغني عن مصانع الكفار. ولا يخفى ما في ذلك من عدوان على أموال المسلمين وإرادتهم وإضعاف لاقتصادهم . فوق ما في ذلك من تبعية للأعداء وبخاصة فيما يتعلق بالغذاء والطعام. ولا يخفى على ذي لب أن أمة لا تمتلك وتنتج غذاءها فإنها لا تمتلك أمنها. فالأمن على الغذاء ليس هو فقط

أمن أكل وشرب يأمن صاحبه فيه من الموت بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى أن يؤثر على أمن الدين والنفس والعرض. لأن المرأ تحت وطأة الجوع معرض أن يتنازل عن دينه أو عن عرضه عياذاً بالله تعالى.

ثامناً: القيام بالحملات الدعائية الفاجرة الكاذبة التي تروج السلع، وتخدع الناس وتؤزهم إلى شرائها أزاً. وبهذا تمتص الأموال من جيوب الناس، ولو كانوا كارهين. ولا يخفى ما في ذلك من أكل لأموال الناس بالباطل لأنه يقوم على الخداع والكذب والدجل. وفي هذا عدوان على أموال الناس ولو كان برضاهم.

ثانياً: فئة أهل الأهواء والشبهات

تختلف هذه الفئة عن التي قبلها في أن هذه الفئة تعد من أهل القبلة، ولكنها فارقت طريق أهل السنة والجماعة وهو ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وذلك بما ابتدعت من البدع المحدثة في الاعتقادات، والأعمال، متعلقة ببعض الشبهات والتأويلات الباطلة؛ فنشأ من ذلك خلل في أمن بعض الضروريات التي جاء الإسلام للمحافظة عليها وصيانتها من الاعتداء سواء بإتلافها أو إضعافها. ولكي يتبين لنا خطر هذه الفئة على أمن الناس أذكر بعض أصنافها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

المثال الأول: طائفة الخوارج:

ومن أهم أصول هذه الطائفة تكفير مرتكب الكبيرة بمجرد ارتكابها والحكم عليه بالخلود في النار إن مات مصراً عليها بدون توبة . وقد أدى بهم هذا المعتقد الفاسد إلى تكفير عموم الناس ممن ليس منهم ثم استحلال دمائهم وأموالهم، والخروج على الأمة بالسيف. ومن هذا يتضح لنا عداءهم للأمن وذلك من جهتين:

الجهة الأولى: كون هذا المعتقد مخالفاً للعقيدة الصحيحة التي كان عليها الرسول ﷺ وأصحابه الكرام. وهذا خلل في الدين واعتداء على أمن العقيدة وثوابتها، وتعريض أصحابها لعذاب الله عز وجل إن هم ماتوا عليها، لأن الخوارج من الفرقة الضالة المفارقة للفرقة الناجية التي أخبر عنها الرسول ﷺ في قوله : «والذي نفسي بيده لتتفرق أمتي على ثلاث وسبعين

فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار... الحديث»[1].

الجهة الثانية: ما تقوم به هذه الفئة من خروج على الناس المخالفين لهم من أهل الإسلام، واستحلال دمائهم وأموالهم . ولا يخفى ما في هذا الفعل الشنيع من عدوان على أمن الناس في دمائهم وأموالهم وإثارة للخوف والرعب بينهم.

المثال الثاني: طائفة المرجئة:

وتأتي هذه الطائفة في مقابل طائفة الخوارج، حيث تساهلت في الدين وأحكامه، فحصرت الإيمان في تصديق القلب، وزاد بعضهم قول اللسان أما الأعمال، والالتزام الظاهر بشرائع الإسلام فليس عندهم من الإيمان. ولا يخفى ما في هذا المعتقد الفاسد من خلل في أمن الناس وسلامتهم وذلك من جهتين:

الأولى: كون هذا المعتقد الفاسد مخالف لما عليه الرسول ﷺ وأصحابه وفي هذا اعتداء على أمن العقيدة وثوابتها وتعريض لعذاب النار المتوعد به الفرقة الضالة المفارقة لما عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

الثانية: ما يتسبب فيه هذا المعتقد من نشر للفساد والمعاصي وذلك لفصل الأعمال عن الإيمان، وكون المعاصي لا تؤثر في الإيمان مما يؤدي إلى الجرأة على الفساد وبهذا تختل أمن المجتمعات، ويتعرض أمن الناس في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم للخطر. كما أن من آثار المذهب الارجائي

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٩٩٢) وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٥٢٦).

إضعاف شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة الفتنة ولا يخفى ما في إضعاف هذه الشعيرة العظيمة من خلل في أمن المجتمعات، وفتح الباب لأهل الفساد بدون مدافعة ولا إنكار.

المثال الثالث: طائفة الصوفية:

الصوفية ليسوا على درجة واحدة، لأن منهم الزنادقة الباطنيون أهل الاتحاد والحلول والمشركون بالله عز وجل الشرك الأكبر، ومنهم المبتدعة الذين لم تصل بدعتهم إلى الخروج من الملة كأهل العبادات المبتدعة، والزهد المخالف لحقيقة التوكل على الله عز وجل فهؤلاء هم المعنيون في هذا المثال. أما الزنادقة منهم والمشركون بالله عز وجل، والباطنيون فإنهم يلحقون بالفئة الأولى من أعداء الأمن والدين من الكفرة والمنافقين.

وعداء المتصوفة المبتدعة من أهل القبلة يتمثل فيما يلي:

أولاً: الابتداع في الدين، والتعبد لله عز وجل بما لم يأذن به الله سبحانه إن هو إلا اعتداء على أمن الدين، والتشريع، وانحراف عما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وخير الكلام كلام الله عز وجل وخير الهدي هدي رسوله ﷺ .

ثانياً: إن ما يقوم عليه التصوف من الغلو في الزهد، وترك الدنيا، والانحراف في مفهوم التوكل على الله عز وجل وفعل الأسباب، والانحراف في مفهوم القضاء والقدر؛ كل ذلك ينشأ عنه انحراف في السلوك والممارسات والمواقف. ومن أخطرها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والجهاد في سبيل الله تعالى، والرضى بالأمر الواقع، وترك المجال لأهل الكفر والنفاق والفسوق والعصيان ليفسدوا في الأرض، ويعرضون أمن الناس بسبب هذا الفساد إلى الخطر سواء في دينهم أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم؛ كما أنه لا يخفى أن الأمر والنهي ومدافعة الفساد لمن أهم الأسباب في دفع عقوبات الله عز وجل عن المجتمعات في الدنيا والآخرة، وسبب رئيسي في تحقيق الأمن والاستقرار والطمأنينة في حياة الناس.

ثالثاً: فئة أهل الشهوات والفسق والمجون

وهؤلاء ليسوا من الكفار والمنافقين، وليسوا من المبتدعة المنتسبين إلى الفرق الضالة في المعتقد والأفكار؛ لكنهم من عصاة أهل السنة، ومن أهل الفسوق والمجون واللهو واللعب المتبعين للشهوات والأخلاق الرذيلة، وهم أيضاً ليسوا على درجة واحدة في السوء؛ فمنهم الماجن الفاسد في نفسه وبيته، ومنهم الداعي إلى الفساد الذي يساهم بماله وتفكيره وجهده في التصدر للفساد، واستخدام الوسائل المتاحة في ذلك وهؤلاء أشد جرماً من الفاسدين في أنفسهم فقط. ولا يخفى ما لأهل الفسق والمجون والشهوات من أثر خطير على أمنهم في أنفسهم، وعلى أمن الناس الذين يضلونهم وينشرون الفساد بينهم ، فكم من مستقيم على دينه ظل بسببهم، وكم من نفس تلفت أو لحقها أذى بسببهم، وكم من عقل اغتالته المسكرات والمخدرات بسببهم، وكم من عرض انتهك بسببهم، وكم من مال اعتدي عليه بسببهم. والمقصود أن أثر هذه الفئة ظاهر وجلي في تهديد أمن الناس في ضرورياتهم وحاجاتهم. وهم الذين يستخدمهم أعداء الدين من الكفرة والمنافقين في تمرير الفساد والخنا والرذيلة والفجور، حيث وافق فساد الكفرة ومخططاتهم الخبيثة هوى في نفوس هؤلاء الجهلة، وأهل الشهوات، ووافق حباً للدنيا في قلوبهم فأسهموا في تنفيذ مخططات الكفرة المفسدين في بلاد المسلمين. وهؤلاء هم الذين أمرنا الرسول ﷺ بالأخذ على أيديهم حتى لا تغرق سفينة المجتمع بسببهم وذلك في قوله «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها

وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم ونجوا ونجو جميعاً)[1].

(١) البخاري (٢٤٩٣).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي هدانا للإسلام والسنة – على ضعفنا وتقصيرنا- وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله عز وجل. والحمد لله الذي أنعم ويسر بكتابة هذه الرسالة في ضوء قوله تعالى: ﴿ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أسأله سبحانه وتعالى أن يرزقني فيها الإخلاص، وأن يكون ما جاء فيها موافقاً لما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه الكرام . كما أسأله سبحانه أن يغفر لي ما كان فيها من الزلل والخلل.

ويبقى في ختام هذه الرسالة أن أشير إلى أهم الأفكار، والوقفات التي وردت فيها.

الوقفة الأولى: ذكرت في مقدمة الرسالة الدوافع، التي كانت سبباً في كتابة هذا الموضوع، وذكرت أن من أهمها كثرة الحديث في الآونة الأخيرة عن الأمن والسلام والإرهاب، وكيف حصل اللبس والتضليل في هذه المفاهيم فتلاعب بها الكفرة والمنافقون؛ فأردت في هذا الموضوع كشف هذا التلبيس، وتحرير هذه المصطلحات تحريراً شرعياً مبيناً في ذلك الوسائل التي يمكن أن يُحصل بها على الأمن، فذكرت أنه لا يمكن ذوق طعم الأمن والطمأنينة إلا في ظل الإسلام؛ وأن من يحول بين الناس وبين دين الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً ومعاملات لهو العدو الحقيقي للأمن والسلام.

الوقفة الثانية: ذكرت بعد ذلك بعض الآيات، والأحاديث الواردة في الأمن، وما يضاده من الخوف والترهيب والإرهاب. وأطلت الوقوف عند آية الأنعام التي هي عنوان هذه الرسالة وما قبلها وبعدها من الآيات، وذلك في محاجة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه وبيانه لهم بأن الجدير بالخوف والقلق والانزعاج هو الكافر المشرك. والجدير بالأمن والاهتداء هم أهل الإيمان الذين سلمهم الله من الظلم؛ وأنه بقدر ما يسلم العبد من الشرك والظلم بأنواعه يحصل له الأمن التام في الدنيا والآخرة . وبقدر ما عنده من الظلم ينقص أمنه بقدر ذلك، حتى إذا وصل الظلم إلى الشرك الأكبر حرم مطلق الأمن في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى عن محاجة إبراهيم لقومه: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١،٨٢]. وقد سبق تفصيل القول حول هذه الآيات فليرجع إليه.

الوقفة الثالثة: تحدثت بعد ذلك عن مصادر الأمن وحصرتها في طاعة الله عز وجل وتوحيده، واجتناب محرماته ونواهيه من الشرك والفسوق والعصيان. وفصلت القول في أن هذا لا يوجد إلا بالالتزام بدين الله عز وجل الذي ارتضاه لعباده، ألا وهو دين الإسلام، الذي كله خير وصلاح وأمن وأمان لكل من التزم واستسلم له. وذكرت من ذلك أمثلة كثيرة مما أنزله الله عز وجل في كتابه، أو شرعه على لسان رسوله ﷺ من الأحكام

والتشريعات التي تتضمن وتكفل الحياة الآمنة المطمئنة لكل من أخذ بها، وذكرت ذلك على مستوى الأمن النفسي عند الأفراد، وفي أمن الأسر والبيوت، وأمن المجتمعات، وأمن البشرية بعامة. وذكرت في أمن البشرية أن الجهاد في سبيل الله عز وجل إنما شرع لأمن البشرية التائهة التي يستعبدها حفنة من الطواغيت يضللونها، ويحولون بينها وبين الحق والأمن والسلام فيأتي الجهاد ليزيل هذه العقبات الشيطانية، ويكسر هذه الحواجز الطاغوتية لينزاح الباطل عن طريق الحق فيصل إلى الناس واضحاً جلياً لينعموا في ظلاله في الدنيا، ويفوزوا بالجنة في الآخرة دار السلام والأمان الدائمين السرمديين.

الوقفة الرابعة: بينت في المبحث السابق أيضاً المفهوم الشامل للأمن، وأنه أشمل من أمن الناس على دمائهم وأموالهم، بل إن أمن الدين والعقيدة والشريعة أهم من ذلك كله، وبينت أن الأمن بمفهومه الشامل يعني أمرين:-

الأول: في الدنيا وهو حماية الضروريات الخمس التي جاءت الشريعة بالمحافظة عليها، وحمايتها من المخاطر؛ ألا وهي حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وأن أي اعتداء على أمن هذه الضروريات هو اعتداء على الأمن. وكذلك حماية المجتمعات من عقوبة الله عز وجل لها على ما يظهر فيها من المنكرات على أيدي أعداء الأمن.

الثاني: السعي للحصول على الأمن الحقيقي الذي هو أمن الآخرة متمثلاً ذلك في أمن القبر وفي الأمن في دار السلام يوم القيامة وأن أي جهة

تسعى لتفويت هذا الأمن على الناس فإنما هي العدو الحقيقي للأمن والسلام.

الوقفة الخامسة: ذكرت في ضوء الحديث عن المفهوم الشامل للأمن من هم الأعداء الحقيقيون لأمن الناس في الدنيا والآخرة، وفضحتهم وبينت أنهم أولئك الذين يحولون بين الناس وبين الالتزام بهذا الدين سواء بالشبهات، أو الشهوات وذلك بالاعتداء على أمن الناس في ضرورياتهم الخمس وهم بذلك يعرضون الناس للخوف والعذاب في الدنيا والآخرة، وذكرت أنهم ثلاث فئات:

الأولى: فئة الكفار والمنافقين

الثانية: فئة أهل البدع والشبهات

الثالثة: فئة أهل الشهوات والفسوق.

وبعد:

فما كان في هذه الرسالة من حق وصواب فمن الله عز وجل، فهو المان به وحده. وما كان فيه من زلل وخطأ فهو مني ومن الشيطان. وأستغفر الله منه. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ضحى الخميس ٨/٦/١٤٢٦هـ

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة وتتضمن أهمية الموضوع	٧
الفصل الأول: تعريف الأمن والإرهاب وما ورد فيهما من الآيات والأحاديث	٢١
التعريف اللغوي للأمن	٢٤
التعريف اللغوي للإرهاب	٢٦
تعريف المجمع الفقهي للإرهاب	٢٧
تعريف الإرهاب في اللغات الأجنبية	٢٨
الآيات الواردة في الإرهاب	٢٩
تفسير ابن جرير لآية الأنعام	٣٠
تفسير ابن القيم للآية	٣١
تفسير سيد قطب للآية	٣٤
الفوائد المستفادة من الآية	٣٦
المواطن التي يطلب فيها الأمن	٣٧
درجات الناس في الأمن	٣٩
الأحاديث الواردة في ذكر الأمن وما يتعلق به	٤٨-٥١
الآثار الواردة عند السلف في الأمن	٥١-٥٢
الفوائد المستفادة من الأحاديث والآثار	٥٣
الآيات والأحاديث الواردة في الإرهاب والرهبة وما في معناها	٥٣

كلام المفسرين على آية الأنفال: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» ٥٧
المعنى الذي يعنيه ذكر الإرهاب في القرآن والسنة ٦٨
الفصل الثاني: المفهوم الشامل للأمن وأنواعه ومصادره ٧١
الأمن في الحياة الدنيا ٧٥
الأمن النفسي على مستوى الفرد ٧٩
أسباب الأمن على الدين ١٠٢
الأمن على النفوس وأسبابه ١٠٦
الأمن على العقول وأسبابه ١٠٩
الأمن على الأعراض وأسبابه ١١١
الأمن على المال وأسبابه ١١٣
أمن البيت والأسرة ١١٧
أمن المجتمع ١٣١
أمن العالم والبشرية جميعًا ١٤٨
حال البشرية قبل الإسلام ١٥١
حال أكثر البشرية اليوم بعد أن تخلت عن الإسلام واستكبرت عنه ١٦٠
سبل إنقاذ البشرية من الجاهلية التي تعيشها ١٦٩
الأمن عند الموت وبعده ١٨٣
أسباب الأمن عند الموت وبعده ١٨٤
الفصل الثالث: أعداء الأمن والسلام ١٩٥
أصناف المعادين للأمن والسلام ٢٠٦

فئة الكفار والمنافقين ٢٠٨
نماذج من عداء المنافقين والكفار لأمن البشرية ٢١١
إفساد فئة الكفار والمنافقين للعقيدة والأخلاق ٢٣٧
وسائل إفساد دين المسلمين ٢٤٤
عدوان فئة الكفار والمنافقين على أمن الأعراض والبيوت والأسرة ٢٧٥
وسائلهم في ذلك ٢٧٦
اعتداءهم على أمن المال ٢٨١
فئة أهل الأهواء والشبهات ٢٨٥
فئة أهل الشهوات والفسوق والمجون ٢٨٩
الخاتمة ٢٩١
فهرس الموضوعات ٢٩٥

وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم